

# في العدد

٢	جورج مغماس	هؤلاء الدعاة البناة
٣		رئيس الجمهورية الى طلاب من الجامعة
٦	مؤتمر	الفقر والبطالة والتنمية في لبنان
٩	مؤتمر	الايمان بين الثقافة والعقيدة والسلطة
١٣	مؤتمر	كتاب الالهيات للسمعاني
١٦	مؤتمر	كرم ملحم كرم في مؤتمره
١٩	بيان واحصاءات	المجمع البطريركيّ المارونيّ الحقوق الاجتماعية - الاقتصادية
٢٦	عبدو القاعي	في الارشاد الرسولي، وبعد...
٢٩	د. ادوار صيّاح	وماذا بعد العراق
٣٢	د. معين رحّال	ألفياء المفاهيم الديمقراطية
٣٣	د. جورج ابو جوده	مفهوم الامم المتحدة للسلم
٣٤	د. عقل كيروز	ليس بالشعارات تبني الاوطان
٣٨	د. بول طبر	الاسلام في طرابلس..
٤٣	سمير شاهين (بتصرف)	مقاهي السياسيين في بيروت
٤٥	سهيل مطر	الابداع بين الواقع واللاواقع
٤٩	الاب بطرس طريبه	العربية وتحديات العولمة
٥١	الاب مروان تابت	المدارس والجامعات.. وتحسين العلاقة
٥٤	سعيد امين نخله	والدي كما عرفته
٥٧	د. فيفيان نعيمه	قصصنا مع جدّو ميشا
٥٩		رياض فاخوري: متّقف في خدمة الثقافة والمتّقين
٦٠	آخر ما كتب	
٦١	أمال ناضر	
٦٢	محمّد ماضي	
٦٣	فردريك نجيم	
٦٤	د. منصور عيد	
٦٤	د. جورج طراد	
٦٦		سلام الراسي: نبعه الى ضفة العطش
٦٦	إملي سلام الراسي	
٦٧	إملي نصرالله	
٦٨	د. الهام كلاب البساط	
٦٩	د. زاهي ناضر	
٧١	جورج غريب	جورج سكاف في صفحات من لبنان
٧٣	الاب بطرس بو ناصيف	كن ناثك... فأنت فريد
٧٥	الاب الياس كسرواني	إلى ذات مريم
٧٦	جورجيس مغماس	عنصرة الوجد
٧٧	جورج شكور	ها هنا للحسن معبد
٧٧	المحامي ريمون عازار	فيك كلّ الامهات
٧٨	د. فاطمة درويش	إلى العراق الذبيح
٧٩	أنور صابر	بين سنبله وعوسجة
٨٠	لويس ب. نصر	ربيع.. وقلب
٨١		من منشورات الجامعة

NDU Spirit نشرة دورية

حول علامات الحياة

في عالم جامعة سيّدة اللويزة

تصدر عن مكتب العلاقات العامة.

تمّوز ٢٠٠٣ العدد ٢٨



هيئة استشارية  
عمداء الكليات



رئيس التحرير  
جورج مغماس



التحرير بالانكليزية  
كينيث مورتيمر



تتبع أنشطة  
غادة معوض



مشاركة  
مندوبو الكليات والأندية الطلابية



إخراج  
تكنوبوب



طباعة  
مطابع معوشي وزكريا



جامعة سيّدة اللويزة

زوق مصبح: هاتف: ٥/٤/٢/١/٢١٨٩٥٠ (٠٩)

برسا: هاتف: ٥٢٤٩٤٠٢ (٠٣) - ٤١٦١٠١/٢/٣ (٠٦)

دير القمن: هاتف: ٥/٦/٤/٢/٥١١٢٠٢ (٠٥)

# لحدود: المحذر من التمادي في اللعب على الأوتار الطائفية والمصمم على منع أيّ تقاثل بين اللبنانيين

يقول لوفد من طلاب جامعة سيّدة اللويزة إلى قصر بعبدا:

**نحن زرعنا، وعلّيكم أنتم مع رفاق لكم في كلّ لبنان، أن تواصلوا الاهتمام  
بالزراع؛ ولا بدّ أنكم ستحصدون خيراً.**

أعلن رئيس الجمهورية العماد إميل لحود تصميمه «على منع قيام أيّ تقاثل بين اللبنانيين مهما كانت الأسباب». وحذر من «التمادي في اللعب على الأوتار الطائفية والمذهبية». وسأل: «إذا كان الاتفاق ضرورياً، ونحن نسعى إليه دائماً، فهل يجوز أن يكون هذا الاتفاق على حساب مصلحة البلاد العليا وخدمة لمصالح ذاتية؟»

وأكد أنّه من موقعه المؤتمن على الدستور، لن يقبل بأن تقاد البلاد إلى «خيارات ليست من مصلحتها»، مشيراً إلى «أنّ المتضررين من قيام الدولة أعلنوا الاستنفار ضدها، واستعملوا كلّ أنواع الأسلحة المادية والمعنوية لإسقاطها».



وأكد «أنّ ما يدعوه إلى التفاؤل هو ما تعبّر عنه الأكثرية الساحقة من اللبنانيين من تمسك بضرورة استكمال قيام دولة القانون والمؤسسات رغم العراقيل التي وضعت في طريقها».

وقد جاءت هذه الملاحظات اللافتة، في كلمة للرئيس لحود لدى استقباله وفداً من طلاب جامعة سيّدة اللويزة في قصر بعبدا قبل ظهر الاثنين ١٦ حزيران ٢٠٠٣، أعرب فيها عن ثقته بمستقبل لبنان، وتفاؤله بإمكان تجاوز الظروف الراهنة إلى حال أفضل على مختلف الصعد السياسيّة والاقتصاديّة والإنمائيّة والحياتيّة.



جورج ناصف

## هؤلاء الدعاةُ البناة...

ويشحنوا الهمم، متعاونين متضامنين، بوحدة إيمانٍ ورجاء، في سبيل نهضةٍ خلاصيةٍ، دونها المهاجرةُ بعدُ وبعد... والتلاشي في تلك المهاجر...

وإنهم، إذ يُقدِّمون، لا يَنفَعون أَنفُسَهم فحسب، بل يَنفَعُ بمثالهم آخرون، مثلاً وشركاء، في لبنان بالأخص، على قاعدة قول السيد البطريرك، الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير: الموارنةُ للبنان، وليس لبنانٌ للموارنة؛ ثم على قاعدة قول قداسة البابا يوحنا بولس الثاني: لبنانُ أكثرُ من وطن، إنَّه رسالة!

وإذا كان الموارنةُ، في لبنان، اتَّهموا، يوماً، بالانعزال للانفصال، فقد أثبتوا قطعاً أَنَّهُم ليسوا دعاةَ عيشٍ مشتركٍ طليعيين فحسب، بل بناةُ حازمون وحاسمون لهذا العيش. وإنَّهم بانتمائهم العضوي إلى لبنان، ينتمون انتماءً حيويًّا إلى العالم العربيِّ، ويفعلون فعله فيه، ويتفاعلون. تشهدُ لهم وعليهم رياداتهم الأدبية والفكرية والوطنية وسواها؛ ولا مئة، ما دام أن الغيرة والغيرية طبعٌ فيهم، تأتي من قيم مسيحيَّتهم أولاً، ومن محاورتهم الطبيعة التي اختاروها واستظلَّوها تالياً.

الموارنةُ، اليوم، يقرأون في تاريخهم الخاصِّ والعالم، القريب والبعيد.

يجتمعون؟! نعم، يجتمعون.

يُجمعون؟! نعم، يُجمعون.

يكتبون فصلاً جديداً.. رسالةً، وحياتاً تدوم.

ها نحن اليوم، في لبنان خصوصاً، وفي مواطن الموارنة عموماً، نعيشُ خبرةً جديدةً، فريدةً ربَّما، بل مفيدةً وواجبةً بالتأكيد، خلال المجمع البطريركيِّ المارونيِّ التاسع عشر، الذي، وإن طال انتظاره، منذ مجمع سيِّدة اللويزة الشهير تحديداً عام ١٧٣٦، لم يفتْ أو أن قيامه وقيام التفكير بغاياته. ولعله، إذ يأتي بعد عقدٍ ويزيد على حربٍ جارت على اللبنانيين عقدين ولما تزلُّ تداعياتها ملء العين والأذن، ينزلُ منزلَه في سلم التَّديبِ الإلهيِّ.

فهو، بالأخص، يلي الإرشاد الرسوليِّ وما سبق ولحق من خبرات وثمار، فصدور مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، وما كان من أشواقٍ وتحضيراتٍ عقبت المجمع الفاتيكاني الثاني..

إذاً، فليس هو فطر الساعة ولا خبرها الفطير، بل له خمائرُه ومقدّماتُه التأسيسيةُ الراسخة.

وقد جاءت دورته الأولى، ملقاةً شاملةً ومشاركاتٍ واسعةً وتنظيماً دقيقاً، وإن على بعض ما أخذ في المنهجية والمضامين والصيغات، تؤسَّس، هي الأخرى، لورشِ عملٍ مفتوحة، يحقُّ، بل يجب أن يساهم فيها كلُّ ذي رأي ورؤيا في «بيت مارون»؛ وفي هذا منتهى الديمقراطية، تلامز تدبيرٍ وتعبيرٍ! فما كان للجميع، يجب أن يكون من الجميع، فيلتزم به الجميع...

إنَّ أهلَ هذا البيت، كفاهم ما وسموا به وما سيموا؛ ولن يُجديهم نفعاً، في وجودهم وحضورهم ودورهم ومصيرهم... أن يقفوا بالطلول يَبكون ويستبكون؛ بل عليهم، كسالفِ عهدِهِم، أن يستلهموا تاريخهم الجهاديِّ،

وأعرب عن أمله في أن تحمل الأيام الآتية صورة أكثر صفاء بالنسبة إلى اللبنانيين، مبرراً أهمية الجيل الشاب في المشاركة في التأسيس للمستقبل.

**وكان المدير العام العلاقات العامة في جامعة سيّدة اللوزية الأستاذ سهيل مطر، استهلّ اللقاء بكلمة قال فيها:**

« فخامة الرئيس باسم جامعة سيّدة اللوزية، أشكر لفخامتكم هذا اللقاء، وأعتبره، بالنسبة لطلابنا، لقاءً يُسجّل في الذاكرة ويحفظ في القلب.

ومن باب الصدق والصداقة، وأنا أعرفكم، يا فخامة الرئيس، منذ عشرين سنة وأكثر، لا بد لي من التأكيد على أنّ شخصكم، بالذات، لا يرشق إلاّ بورد المحبة والاحترام، رغم كلّ ما تنسجه الأقاويل، ولا سيّما أنّ مسيرتكم، في العائلة، وفي الجيش، وفي القيادة العسكرية، وفي رئاسة الجمهورية، مطبوعة بصفة آدمية والأخلاق، والابتعاد عن «الأننا» وأنتم لا تطلبون لنفسكم شيئاً، لا المنصب ولا المال، لا التمديد، ولا التجديد، لا الشهرة والشهوة والوجاهة.

ومع ذلك، فقد أقيمت حواجز، وارتفعت جدران، وعمّقت هوة لتفصل بينكم وبين الأجيال الجديدة.

وكم نودّ أن تتحوّل هذه الجدران إلى جسور، يعبر عليها طلابنا إلى هذا البيت، بروح الانفتاح والمحبة.

نعم، فخامة الرئيس، لو تساءلتم لماذا هذه الغربة وهذه الهوة، لماذا يبتعد عنكم، أنتم المسؤولين، أجيالنا وطلابنا، لكان لي الجرأة أن أقول: ليس هم الطلاب المسؤولين عن هذه الغربة.

ماذا يمكن أن يكون موقف الطلاب عندما يسمعون المسؤولين يتراشقون بالتهم، ويتبادلون العبارات الوقحة والبشعة؟

ثلاثون مليار دولار من المديونية، الطلاب ليسوا مسؤولين عنها. فمن هو المسؤول؟

الفساد الإداري والسياسي، الطلاب ليسوا مسؤولين عنه. فمن هو المسؤول؟

بناء دولة القانون والمؤسسات، دولة الشفافية والمساءلة، التي رفعت عناوينها شعاراً لعهدكم، الطلاب ليسوا المسؤولين عن فشلها. فمن هو المسؤول؟

ضياح الحوار، انكسار الوفاق، تفخيخ العلاقات اللبنانية-السورية، تشويه القضاء، الطلاب ليسوا هم مسؤولين. فمن هو المسؤول؟

فشل الطائف وأهله والامتناع عن تطبيقه، الطلاب ليسوا مسؤولين عنه. فمن هو المسؤول؟

الوضع الاقتصادي السيئ الذي يدفع الطلاب إلى الهجرة، الطلاب ليسوا مسؤولين عنه. فمن هو المسؤول؟

الروح المذهبية الطائفية التي تنحر الوطن وتمزقه، الطلاب ليسوا مسؤولين عنها. فمن هو المسؤول؟

من يسمع يا فخامة الرئيس، لغة القادة، السياسيين والروحيين والتربويين، الوزراء والنواب، رجال الدين والاقتصاد والمجتمع، وهم «ينقون» ويقولون: البلد على كفّ عفرية، الوضع ينزلق نحو الإفلاس السياسي والمالي، يجب تغيير النظام، البلد بلد سرقة ونهب ومحسوبية ومصالح شخصية... لا يستطيع إلاّ أن يتساءل: الحق على من؟ وهل هو على الطلاب؟

أصدقك القول، يا فخامة الرئيس، أنّ هؤلاء الطلاب لم يستخدموا يوماً اللغة التي يستخدمها أهل السياسة، من الذين يتولّون الحكم؛ ومع ذلك، فهم يتلقّون العقاب، توقيفاً وهاواً وخراطيم مياها...

ماذا ننتظر من هؤلاء الطلاب عندما يقرأون في الصحف، ويستمعون في التلفزيون إلى مسؤول كبير أو وزير أو نائب، يستفيد من جنة الحكم، ولكنه يرميه بألف حجر، إذا لم أقل بأبشع النعوت، وهذا ما يقصّر عنه غلاة المعارضين، فإنّما أن يصدّق الطالب هذه التهم، وإنّما أن لا يصدّق، وفي الحالتين يكون نصيبه الحزن والقلق والهجرة.

نعم، فخامة الرئيس، هؤلاء الطلاب ينبضون محبة للبنان، وطموحاً إلى بناء المستقبل، حرّاً كريماً، وتجيّش فيهم روح الثورة والتغيير، وهي نفسها روح الثورة والتغيير التي تلوّن بها خطاب القسم الذي ميّز السنة الأولى من عهدكم.

نعم، هم الوطن الآتي، وهم المستقبل. ومن الموجه جداً أن يُبنى لهم وطن، هم غرباء عنه، وليسوا شركاء في بنائه، ولا يحمل وجهه بعضاً من ملامح وجوههم وبراءة قلوبهم وطهارة جباههم.

وهم، ونحن معهم، لا نزال نراهن على تنفيذ خطاب القسم في السنة الأخيرة من عهدكم، لأننا مؤمنون أنّه خارطة طريق لبنان متجدّد حرّاً. هؤلاء هم، أولادكم وأولادنا، يا فخامة الرئيس، آتون اليوم، بالجرأة والصراحة والأخلاق، ليخاطبوا رئيس البلاد، وليستمعوا إليه. فماذا ينفع الطالب، إن ربح العالم كلّه وخسر بلاده؟ وماذا ينفع الرئيس، إن ربح العالم كلّه، وخسر طلاب بلاده؟

أملنا كبير، يا فخامة الرئيس، أن نخرج اليوم، من هذا اللقاء، ونحن أكثر إيماناً ووعياً وفرحاً بالمستقبل ولبنان.

**هذا، وكان رافق الطلاب إلى هذا اللقاء نائب رئيس الجامعة للشؤون الأكاديمية الدكتور جورج عيد، وعميد كلية العلوم السياسية والإدارية والدبلوماسية الدكتور ميشال نعمه، ومدير شؤون الطلاب الجنرال الياس حتّا.**

## لا لضرب الانجازات

وأبدى تصميمه على العمل في ما تبقى من ولايته، لـ«منع قيام أيّ تقاثل بين اللبنانيين مهما كانت الأسباب، والمضيّ في المطالبة بحقوق لبنان العادلة في ما تبقى من أرضه محتلاً في الجنوب وفي حقّه في مياهه». وقال: «لن نسمح لأحد أن يضرب، من الداخل، الانجازات التي تحققت في لبنان، وسيبقى صوتنا مدوياً من أجل كلّ لبنان وجميع أبنائه دونما استثناء، وستبقى مصلحة البلاد العليا هي المعيار في مواقفنا وتحركاتنا وقراراتنا مهما سعى البعض إلى الإساءة والتشويه والتشكيك».

وأضاف: «لا يكفي أن يلتزم رئيس البلاد وحده هذه المواقف، فاليد الواحدة لا تصفّق، والأمر يتطلّب تعاون جميع المسؤولين والسياسيين، لا وضع العصي في الدواليب وافتعال المشاكل والخلافات التي لا تفيد البلاد».

## لا للطائفية والمذهبية

وإذ حذر من «التماذي في اللعب على الأوتار الطائفية والمذهبية»، اعتبر أنّ هذا الأسلوب «لم يعد له سوق رائجة في صفوف اللبنانيين لأنهم ناقوا مرارته ولا يرغبون في العودة إلى أيام التقاثل المذهبيّ والتناحر الأخويّ الذي دفع الوطن ثمنه غالباً له». وسأل: «إذا كان الاتفاق ضرورياً ونحن نسعى إليه دائماً، فهل يجوز أن يكون هذا الاتفاق على حساب مصلحة البلاد العليا، وخدمة لمصالح ذاتية؟ أوليس الأجدر بنا التركيز على ما يحصّن البلاد ويعزّز مواردها ويوفّر لها المناعة الوطنية والاجتماعية الضرورية لتمكّن من مواجهة التحديات الراهنة في المنطقة والعالم».

## قيام الدولة هدف دائم

وأكد أنّه من موقعه المؤتمن على الدستور، لن يقبل بأن تقاد البلاد إلى «خيارات ليست في مصلحتها، معتبراً أنّ قيام الدولة القويّة والقادرة المرتكزة على القانون والمؤسّسات هو هدف دائم قد لا يتحقّق دفعة واحدة أو في مدّة زمنية قصيرة، لأنّ المتضرّرين من قيام مثل هذه الدولة أعلنوا الاستنفار ضدّها واستعملوا كلّ أنواع الأسلحة الماديّة والمعنويّة لإسقاطها».

## التغيير والتجدد

وخاطب الطلاب: «نحن زرعنا وعليكم أنتم مع رفاق لكم في كلّ لبنان أن تواصلوا الاهتمام بالزرع، ولا بدّ أنكم ستحصلون خيراً لأنكم من جيل تألم وعانى، وسيستحقّ الوطن الذي يريد ويحلم به، هذا الوطن الذي نسعى اليوم إلى إرساء قواعده على أسس وطنية تغييرية متجدّدة، بعيداً من الاعتبارات الطائفية والحسابات التقليدية والأطماع القديمة؛ وإنّي أعتبر أنّ المسؤول، وإن كان ينتمي بالولادة إلى طائفة معينة، فهو من موقعه وفي ممارسته مسؤولياته، يجب أن يكون لكلّ لبنان، فلا يتصرّف على نحو يحدث فرزاً بين المذاهب والطوائف في محاولة للاستقواء، فهذا الخيار لا يخدم الوطنية ولا يعزّز الانصهار، وثمنه سيكون غالباً على كلّ الصعد».

## رفض التوطين

وردّ لحوّود على أسئلة الطلاب شارحاً الأسباب التي دفعت لبنان إلى رفض توطين الفلسطينيين على أرضه والمطالبة بحقّ العودة، معتبراً أنّ هذا الموقف ليس وليد الساعة، بل سبق أن أعلنه أمام دول العالم في قمّة الدول الفرنكوفونية في مونكتون في كندا، رغم النصائح التي أعطيت له لعدم إثارة هذا الموضوع في تلك القمّة، مشيراً إلى

أنّ لبنان أعاد تأكيد قراره في القمّة العربيّة في بيروت عندما أصرّ على إدخال هذا البند في صلب مبادرة السلام السعوديّة التي أصبحت في بيروت المبادرة العربيّة للسلام. وتعهّد لحوّود أن يتمسك لبنان بهذا الموقف، ولا يتراجع عنه مهما كانت الضغوط والمغريات.

## الحضور الدولي والإقليمي

ورداً على سؤال، قال لحوّود إنّّه يعتبر أنّ التزام لبنان تطبيق القرارات الدوليّة ومطالبته بحقوقه المشروعة، كما حصل في السابق عندما استعاد ١٧ مليون متر مرّبع من أراضيه الحدودية أثناء رسم «الخطّ الأزرق»، يعزّز حضوره الدوليّ والإقليميّ ويجعل كلمته مسموعة ومحترمة، على كونه دولة صغيرة في المساحة وعدد السكّان، و«ما دام أنّ الحقّ إلى جانبنا فلا يمكن أحداً أن يتجاهل ذلك، وهو إن فعل لفترة كما حصل سابقاً، فسرعان ما سيقرّ بالحقيقة ويعترف بحقوقنا».

## المعارضة والمواولة

ولدى سؤاله عن موقفه في المعارضة والمواولة، أجاب رئيس الجمهوريّة إنّ رئيس الدولة يجب أن يكون للمواولة وللمعارضة على حدّ سواء، وإلاّ أصبح طرفاً. وفي مفهومي أنّ الرئيس هو الحكم بين جميع الأطراف، لكنّ هذه الصفة لا تلغي مسؤولياته في التدخّل لتصحيح أيّ خلل لضبط أيّ ممارسة خاطئة على مختلف الصعد. وأضاف: «إنّ الاحتكام إلى الدستور يجب أن يكون المفصل، وأنا عندما أقسمت اليمين للمحافظة على هذا الدستور، فالأني مؤمن بأنّ دولة لا تقوم على احترام دستورها وقوانينها، لا يمكن أن تكون دولة قويّة وقادرة وعادلة».



الحرب، اتجه الشعب حكماً نحو اللامركزية الحكيمة والعشوائية.

ثمّ عرض د. انيس أبي فرح نموذجاً رياضياً عن القيمة المضافة في الصناعة اللبنانية وعلاقتها بحجم الاستثمار في هذا القطاع. وخلص إلى القول بأنّه من «الممكن زيادة الاستثمارات في القطاع الصناعي اللبناني من ٢.٧ مليار دولار إلى ٨.٦ مليار دولار. والزيادة في الاستثمار هذه سترتّب عليها قيمة إضافية صناعية تقدر بـ ٨٢٤ مليون دولار». كذلك، فإنّ عدد فرص العمل التي يمكن خلقها نتيجة هذا الاستثمار ستصل إلى ٢٧٤.٠٠٠ فرصة عمل.

وشدّد د. رشيد صابر من جهته على أنّ المناخ الاجتماعيّ- الثقافيّ العام هو سبب فقر الدول، لأنّه يكون غير مؤات لجلب الاستثمار. ولكي يأخذ النموّ مجراه يجب أن يستطيع البلد المعنيّ أن يجذب الكفاءات العالية والمنظّمين. وإنّ الأنظمة الديمقراطية هي التي استطاعت على مرّ السنين خلق الظروف الملائمة للنموّ المضطرد.

وقدّمت الباحثة مايا عون دراسة ميدانية مقارنة عن منطقتي قرطبا والضئيه. وجادلت بأنّ البطالة والفقر في المناطق الريفية ترجعان إلى عدم الاستقرار وإلى نقص في الموارد المحليّة الطبيعيّة والبشريّة والاقتصاديّة. لذلك، ركّزت على دور الدولة والهيئات المحليّة في الإدارة المثلى للموارد الطبيعيّة والبشريّة.

منذ سنة ١٩٩٢ حتى اليوم». والخطأ الفادح يكمن في العلاقة الاقتصادية التي بنتها هذه الحكومات بين «الفوائد وسعر صرف العملة المحليّة... لأنّ سعر الصرف لا يمكن أن يستقرّ بواسطة الفوائد... في لبنان الفوائد العالية لم يجذب رساميل». «فالحكومات سيّست الفوائد... وقرّرت سياسياً وسلفاً ما يجب أن يكون عليه سعر الصرف». وهذا ما عطلّ الاستثمارات وفرص العمل والنموّ الاقتصاديّ وسبّب البطالة والفقر والهجرة.

واعتبر د. بطرس لبكي أنّ «مشكلة التوازن في التنمية قديمة في لبنان». وأضاف أنّه منذ نهاية الحرب في لبنان، «أدخل مفهوم الإنماء المتوازن كهدف للدولة في صلب الدستور، وتميّزت السياسات الإنمائية للدولة بعناصر تدفع إلى إنماء أكثر توازناً مع عناصر تدفع إلى إنماء غير متوازن».

أمّا د. أحمد بعلبكي فقد بدأ عرضه بالإشارة إلى التحوّل الحديث «باتّجاه الاهتمام المركز على التنمية المحليّة للمناطق والجماعات الأقلّ تمثّلاً بالأزدهار الاقتصاديّ»، وذلك على حساب «النموّ الناجم عن السياسات المركزيّة».

### الجلسة الثالثة

ترأس الجلسة الثالثة النائب د. فارس سعيد، وكانت مخصّصة لدراسة الفقر والبطالة في مناطق لبنانية مختارة؛ فتكلّم النائب سعيد عن الوضع في بلده قرطبا وجوارها. وقال: بالنسبة للإنماء في لبنان «فقد خضع دوماً لمقايضة الولاء السياسيّ. وخلال

الرئيس الحص شدّد على حاجة لبنان إلى البرمجة الإنمائية، نظراً إلى انتشار الفقر بين فئات واسعة من الشعب، واستفحال البطالة ووجود مناطق متخلّفة وضعف الإنتاجية. وتساءل عن سبب تجاهل الدولة لمؤتمر البطالة والهجرة والفقر التي يجب أن تبقى في مقدّم اهتمامات الدولة. وذكر أنّ اتفاق الطائف ركّز على الإنماء المتوازن الذي يحقّق «رفع مستوى الدخل للفرد في المناطق الأقلّ نمواً أملاً بأن يساعد ذلك على الحدّ من حركة النزوح من الريف إلى المدن. كما ذكر بأنّ «سياسة الإنماء المتوازن مطلوبة أيضاً على مستوى مكافحة الطائفية في البلاد».

### الجلسة الثانية

وفي الجلسة الثانية التي ترأّسها النائب عبّاس الهاشم، ركّز الهاشم على أثر السياسات الحكوميّة والتنموية اللامتوازنة على مسألتي الفقر والبطالة، وكيف أنّ الحكومات النتعاقبة في لبنان تخلّفت عن التعاطي مع هاتين المسألتين الهامتين بما يهدّد السلم الأهليّ. فالتطرّف «بمساوئه العديدة ينمو ويزدهر حيث اللاعدالة ومنها الفقر. الفقر قهر، والقهر يولّد التطرّف». وإنّ محاربة الفقر تتطلّب تعاضد الدولة والمجتمع. وميّز بين الفقر المدقع والفقر المطلق.

ثمّ قدّم أوّل محاضر في هذه الجلسة د. إليي يشوعي ما سمّاه بـ«الأخطاء الاقتصادية الفادحة التي ارتكبتها الحكومات المتتالية

# الفقر والبطالة والتنمية في لبنان مناطق مختارة



نظّمت كلية إدارة الأعمال والعلوم الاقتصادية بجامعة سيّدة اللوزة بتاريخ ٤ نيسان ٢٠٠٣، مؤتمرها السنويّ تحت عنوان «الفقر والبطالة والتنمية في لبنان- مناطق مختارة»، على مدى يوم كامل، وتحت رعاية الرئيس د. سليم الحص. شارك الأساتذة: إيلي يشوعي، بطرس لبكي، أنيس أبي فرح، أحمد بعلبكي، رشيد صابر، مايا عون، محمّد حمادة، غسان بيروتي، كارول آصاف، أدالا الخوري وفيفيان نعميه. اشتمل المؤتمر، بالإضافة إلى الجلسة الافتتاحيّة، على جلستين متخصصتين ترأسهما على التوالي النائبان عبّاس الهاشم وفارس سعيد.

إعداد: د. أنطوان كرم

ثمّ قدّم المحاضر إحصاءات عن الفقر والبطالة في لبنان، وكيف تطال نسبة عالية من السكّان وتدفعهم إلى الهجرة حيث تكمن خسارة لبنان الكبرى. وأصبح الاقتصاد اللبنانيّ في وضع المصدّر للكفاءات البشرية على نطاق واسع على حساب تصدير السلع والخدمات. وختم بالقول: «إنّ كلّ اقتصاد تكون فيه وزارة المال كلّ شيء ووزارة الاقتصاد شبه غائبة أو مغيبّة، هو اقتصاد ريعيّ فاشل».

المتوازنة وغير المتوازنة منذ ١٩٥٠ وحتى الآن، وخلص إلى القول بأنّ التّمية المتوازنة هي الهدف في بلد متنوّع في مناطقه وطوائفه ومذاهبه كما لبنان. لكنّ التّمية المتوازنة (أو ما يسمّى في لبنان بـ«الإنماء المتوازن»)، بقيت شعاراً فارغاً يردّه السياسيّون منذ خمسين عاماً. وبالرغم من هجوم العولمة، فإنّ الدولة لا يمكن أن تتخلّى عن دورها الأساسيّ في تحفيز النموّ والتّمية، وفي تحقيق العدالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة للجميع.

ثمّ تكلم عميد كليّة إدارة الأعمال والعلوم الاقتصاديّة ومنسق المؤتمر، د. أنطوان كرم ترخّب بالرئيس د. سليم الحص لرعايته، كما شكر كلّ الذين ساهموا في إنجاح المؤتمر. وشكر النائبين فارس سعيد وعباس الهاشم لتروّسهما جلستيّ المؤتمر. ثمّ شدّد على أهميّة وخطورة قضيتيّ الفقر والبطالة في لبنان، وكيف أنّ عدم مواجهتهما يهدّد لبنان في استقراره ومستقبله. ثمّ قدّم مراجعة سريعة لأدبيّات التّمية

بعد كلمة ترحيبية من مدير العلاقات العامّة بالجامعة الأستاذ سهيل مطر، سأل رئيس الجامعة الأب بطرس طرييه: «لماذا نتحدّث عن الفقر؟ وهل كنا، منذ سنوات أو عقود، في حالة أفضل، وفي وضع اجتماعي- اقتصادي أكثر رفاهية واستقراراً. لماذا نتحدّث عن البطالة؟ وكيف نفسّر وجود مئات آلاف العمّال غير اللبنانيين، يعملون في لبنان، فيما أبنائنا يتزاحمون على أبواب السفارات، ويبحثون عن عمل، خارج أرضهم؟»

# الايمان بين الثقافة والعقيدة والسلطة هل من رؤى؟... وفي لبنان؟!!

## من المجال الديني السائب إلى روحانية الالتزام والتلاقي

أما برنامج المؤتمر فكان على الشكل الآتي:

### الافتتاح

كلمة رئيس جامعة سيّدة اللويزة الأب بطرس طربيه - كلمة المطران جورج خضر - كلمة سماحة العلامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله - كلمة صاحب النيافة والغبطة البطريرك مار نصرالله بطرس صفير - إشكاليّة المؤتمر: الدين قانون عقائديّ أم التزام إيمانيّ بالبحث والسعي نحو الحقيقة؟ **عبدو القاعي**

### المحور الأوّل

الانتماء الدينيّ: انتماء الى ثقافة عقائدية محدّدة أم بحث عن الله والانسان... في الثقافات كلّها؟

الرئيس: المطران بشارة الراعي

المتكلّمون: د. رضوان السيّد: نظرة تاريخية لسوسولوجيا الأديان في بعدها الانتمائيّ الثقافيّ والاجتماعيّ والسياسيّ - د. أنطوان مسرّه: الأديان في لعبة السلطة: معضلة رسم الحدود - د. جبروم شاهين: العلمنة والأديان: فصل بين السلطة السياسيّة والسلطة الدينيّة أم تمييز بين سلطة المؤسّسة وسلطة القيم؟ - د. أنطوان قربان: الأصوليّة المعاصرة بين التآزم الثقافيّ والانغلاق العقائديّ... ما العمل؟

### المحور الثاني

الدين والعقيدة: التزام عقائديّ أم عقيدة التزام؟

الرئيس: الأب بولس خوري

المتكلّمون: د. أحمد موصليّ: الالتزام الدينيّ والقراءة الانتروبولوجيّة لتشكّل العقيدة - د. رشيد شمعون: الالتزام الدينيّ والقراءة الانتروبولوجيّة للدين عبر هيكلية بيروت وهياكلها - د. يوسف الحاج: الالتزام الدينيّ والقراءة الفلسفيّة للعقيدة (العقيدة بين السؤال الفلسفيّ وتحديات المؤسّسين) - د. وجيه قانصو: الالتزام الدينيّ والنقد العلميّ: كيف ينقد الدين نفسه؟ وهل يمكن للمؤمن أن ينقد إيمانه ويبقى مؤمناً؟

### المحور الثالث

إيمان بالمعتقد أم اعتقاد بالايان (بين الغرباء)... كيف نوّمن

غداً؟ الإيماّن تشكّل معتقديّ أم تشكّل؟

الرئيس: د. سعود المولى

المتكلّمون: الأب د. مشير عون: الإيماّن بين المعلوم والمجهول في عالم اللاحدود - السيّد هاني فحص - أ. جورج ناصيف: الإيماّن بين ممارسة الشعائر الخاصّة والبحث عن الآخر في شعائره، في عالم انتفاء الفواصل بين الغرباء

انعقاد المؤتمر الرابع لجامعة سيّدة اللويزة للسنة الجامعيّة ٢٠٠٢-٢٠٠٣ حول موضوع: «الايماّن الدينيّ بين الثقافة والعقيدة والسلطة: هل من رؤى؟ وفي لبنان؟!»، هذا الانعقاد في ٢٠٠٣/٤/١١، أي قبيل أسبوع من ذكرى محاكمة يسوع وقيامته، كان مناسبة لاستعادة معاني هذا الحدث المتجسّد.

إنّ محاكمة يسوع معبّرة عن كلّ إشكاليّات العلاقة المأساويّة - بالمعنى الاغريقيّ لمفهوم المأساة - بين الدين والسياسة في كلّ الأديان والسياسات. إنّ الحكم على المسيح بالموت هو حكم سياسيّ بالرغم من تكرار المسيح أنّ مملكته ليست من هذا العالم، وبالرغم من تجنّبه أيّة إشارة تتعلق بالسياسة اليوميّة والسياسيين وسياسة زمانه. لكنّه، بعد أن خرج من عند والده يوسف النجّار ليجول في شوارع فلسطين ويعلم الناس، أصبح يشكّل خطراً على أصحاب السلطة والنفوذ وعنصر تغيير في المجتمع. ونحن اليوم ما زال نتكلّم عن «الفصل» بين الدينيّ والدينيّ، بينما المسيح نفسه كان ضحيّة عدم فصل معاصريه بين الدين والسياسة.

أما في الإسلام فلو قصر النبيّ دوره على القيادة الروحيّة لكان مصيره على الأرجح كمصير المسيح. فكان قائداً دينياً وسياسياً في آن. لأنّه النبيّ، عولجت العلاقة المأساويّة بين الدين والسياسة في زمانه. لكنّ بعد موت محمّد، وبالرغم من اعتبار النبيّ خاتمة الأنبياء وعدم وجود «ناطق رسمي» باسم الله بعد النبيّ، فإنّ الإشكالية كاملة ومنتشرة ومأساويّة في الإسلام حيث يستغلّ الدين في السياسة ويتحوّل الإسلام إلى مجال سائب يخترقه سياسيون ورجال دين طامعون في السلطة.

ليس النصّ التالي في الانجيل: «اعطوا لقبصر ما لقبصر ولله ما لله» هو الأساس، بل مقدّمته حيث جاء: «أرسلوا إليه جواسيس...» الغاية إذاً استغلال الدين لأهداف سلطويّة. لم يجب المسيح على السؤال الحيلة. من المؤكّد أنّ الدرهم يحمل صورة قيصر ويعود إلى الخزينة ولا علاقة للمسيح بهذه الخزينة. تكمن المعضلة العمليّة في الأمور الأخرى: ما الذي يعود إلى قيصر وما الذي يعود إلى الله؟ في الدين أمور خاصّة (كالصلاة داخل غرفة)، وأمور عامّة (كبناء كنيسة أو جامع أو تنظيم مسيرة بمناسبة دينيّة)، وهناك مجال واسع مشترك بين الخاصّ، العام حيث يقتضي العمل الدؤوب في سبيل رسم حدود الاختصاصات منعاً للتشابك النزاعيّ والمتآزم والمأساوي في أقصى الحالات، بين الدين والسياسة.

كان يوحنا من تلامذة المسيح، وعلى الأرجح معجباً به. لكنّه كان ينتظر من يسوع مخلصاً سياسياً من نير الاحتلال الرومانيّ. إنّه انتظار مشروع. ربّما كان يوحنا مستعجلاً للوصول إلى هدف سياسيّ مرتبط بالسلطة القائمة.

هذه القراءة التاريخيّة الواقعيّة لمحاكمة يسوع ومحاكمته ومأساة الحكم عليه بالموت حملت المطران بشارة الراعي على التعقيب: «وهكذا المسيح بفدائه حقق صفاء الإيماّن حامياً رسالته من التسييس».





مشكلة ثقافيةً عند هذه الشركات تجعلها غير قادرة على التجاوب مع الحاجات التمويلية في السوق. كذلك هناك عقبات مؤسسية وقانونية في الحصول على القروض الميسرة التي يفترض أن تقدمها المؤسسات المالية، وأن تكلفة القروض المعطاة ذات فائدة عالية.

وقدمت الباحثة أدالا الخوري دراسة ميدانية عن الفقر والبطالة في مدينة طرابلس مستخدمة أساليب تحليلية من علم «الاقتصاد القياسي». واستخلصت بأن طرابلس تواجه مشكلة فقر على نطاق واسع وخطير. كما أن مستوى التعليم منخفض جداً في بعض أحياء طرابلس (باب التبانة مكان الدراسة). فالفقراء متروكون لمصيرهم من دون أي عون أو اهتمام من قبل الدولة. ومعظمهم يقومون بأعمال هامشية بأجور جداً منخفضة. وأوصت الدراسة بضرورة إقامة مشاريع صغيرة ومتوسطة الحجم ومدّها بتمويل ميسر وبالتدريب المطلوب، وبوجوب أن تهتم الدولة بقضايا التعليم والصحة والتغذية للفقراء والعاطلين عن العمل.

والبحت الأخير في المؤتمر قدمته د. فيفيان نعيمه التي ركزت على التمويل للشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم. بحثها كان دراسة ميدانية عن وضع أحياء بيروت وفي بلدة قرطبا؛ فاكتشفت أن هناك

وركز د. محمد حمادة في دراسته الاقتصادية الميدانية عن منطقة قرطبا والجوار على حالة خاصة من أوضاع الفقر والبطالة، فقامت دراسته على مقابلات شخصية مع جميع العائلات التي كانت موجودة في منازلها خلال مرحلة الدراسة والمقيمة بشكل ثابت فيها، فوجد أن معدل البطالة في قرطبا 14٪، وأن معظم المقيمين يقومون بأعمال هامشية قليلة الأجور والرواتب. ومعظم الناس تعمل في الزراعة والتجارة وبعض الأعمال الحرفية والصناعات البسيطة. واستخلص بأن «الفقر يؤدي إلى البطالة والبطالة تؤدي إلى الفقر». كما يؤدي هذا الوضع إلى انخفاض نسبة التعليم، ما يزيد من حالة الفقر والبطالة. وطالب الباحث بتدخل الدولة لكسر الحلقة المفرغة هذه.

أما الورقة التي قدمها معاً الباحثان غسان بيروتي وكارول أصاف عن التنمية السياحية في منطقة قرطبا، فقد ركزت على ضرورة تشجيع وتطوير «السياحة البيئية» في المنطقة.



\* وقائع المؤتمر صدرت في كتاب من منشورات الجامعة.



السياسة والمجتمع وأفاق هذا الموقع ومحاذيره السلطوية في قمع الانسان وتشويه القدرة الالهية ورحمتها.

قد تكون الخبرة الايمانية المعاشة أكثر غنى من العقائد والنظريات الفقهية والتفسيرات الدينية. خلال جولة ثقافية في إيران برفقة ثلاثين من اللبنانيين، مسيحيين ومسلمين، زرنا جامع الامام في أصفهان (١٦١٢-١٦٣٧) الذي هو نموذج في الهندسة المعمارية الصفوية. تولّى هندسة الصوت فيه العالم بهاء الدين العاملي، من جبل عامل في جنوب لبنان. أخذ دليل سياحيّ مميّز يشرح ويبين عملياً أفضل نظام صوتي من دون تكنولوجيا. في صحن إحدى قاعات الجامع، وكلّها مزينة، وقف المؤذن وقفة المصلّي المسلم بإيمان وحزم وورع ورّم بصفاء: «اللّه اكبر. أشهد أن لا إله الا اللّه». انتشر الصوت، واضحاً ونقيّاً في كلّ زوايا قاعات الجامع الشاسع كما في كون لامتناه يجمعه ويوحده اللّه. أجاب دعاءه مجموعة من التلامذة في زيارة تربوية إلى الجامع برفقة معلّمهم. ارتعش جميع أعضاء المجموعة اللبنانيون، رجالاً ونساءً، مسلمين ومسيحيين، وانهالت دموعهم وهم ساعون لإخفاء هذا التدخّل من دون استئذان في عمق الانسان. قال أحدهم وقد أتى سائحاً: «اللّه هو حقّاً واحد». وقال آخر: «كم من الحواجز في نفوس البشر!» وقالت سيّدة: «ماذا سنفعل بعد اليوم بأنماطنا الذهنية». للمرّة الأولى شعرت روحياً وجسدياً بوحدة اللّه وكونيته. إنّه اهتداء، حميم وعميق

القوة المنظمة. وقد ظهر مفهوم القانون تاريخياً كوسيلة أقلّ سوءاً لحماية الانسان من تسلّط السلطة السياسيّة، وكذلك لحمايته من الدين في حال تحوّلته إلى سلطة بالمعنى السياسي. ويعني مفهوم دولة الحقّ أنّه لا يجوز منع انسان من القيام بعمل ما، أو إرغامه على القيام بعمل ما، إلا بموجب قانون وضعي صادر عن مجلس تشريعيّ هو نابع بدوره من انتخابات حرة وعادلة، ويتولّى تطبيقه قضاء مستقلّ. صدرت في هذا السياق اجتهادات عديدة في مصر تنصّ على أنّ «الاسلام مصدر التشريع، ولكنّه ليس تشريعاً». فلا يكون تالياً أيّ نصّ ديني ملزماً بمعنى الالتزام الاكراهي، إلا إذا توفّر نصّ تشريعيّ وضعي صادر عن سلطة مدنيّة تشريعية. وجاء في هذا السياق: «إنّ الدين الذي يقوم على الكراهة ليس ديناً وكذلك «استقطاب تفسيرات تعصّب من الدين» (السيد هاني فحص). وانتقد «تحول مذهبيات إلى نظريات مغلقة وتحول الالتزام الدينيّ إلى التزام سياسي للمعارضة وتأسيس فرق متناحرة للسيطرة والتشكيك في الالتزام الديني نفسه» (أحمد موصلي).

### ٣- اقتراحات استشرافية عملية

تحوّلت الأديان في عالم اليوم إلى مجالات هي غالباً سائبة يخترقها طامعون في السلطة أو يهرب منها المؤمنون بصفاء المعنى والغاية والرسالة. ولذا، فإنّ موضوع المؤتمر هو في صلب التحوّلات المعاصرة وصلب رسالة لبنان في تفاعل الأديان.

إنّ محاكمة يسوع هي حدث تأسيسيّ لدراسة موقع الايمان والأديان عامّة في

تصوّر واحد للعالم، وهو الكفّ عمّا هو غير الله، والصلوات المسيحية الخمس تتوافق مع صلوات الاسلام. إنّ الآخر الذي يبدو غريباً في شعائره هو قريب إذا دخلنا إلى البواطن. ليس ذلك توليفاً بين الشعائر وهي أنغام مختلفة ينشدها جوق البشر... لكنّه يبقى للعين أن تبصر» (جورج ناصيف).

٣. أماكن العبادة: تعبّر أماكن العبادة المسيحية والاسلامية المنتشرة في بيروت عن الذاكرة اللبنانية، وهي تدعونا إلى «الاستماع إلى المدينة لنتذكّر بعضنا بعضاً ونتصالح في هوية واحدة مركبة، فالأديان جزء من مدينة بيروت النابضة» (رشيد شمعون).

٤. السياسة والتسييس: توفّر وقائع المؤتمر تحليلاً لمفهوم العلمانية خارج المرحلة التاريخية القصيرة في بداية الثورة الفرنسية حيث ظهر عداء بين الكنيسة والدولة ومحاربة للاكليروس. لكنّ مصطلح العلمانية «يشبه الحرباء المتعدّدة الأشكال والتلون». وصفت العلمانية بأنها «تنظيم عقلائي للجانب التقني في حياة الجماعات، إذ ليس من دين دون مؤسسة شرط أن لا تختزل المؤسسة المعنى والحلم والمجانية» (جيروم شاهين).

إنّ الآية القرآنية: «لا إكراه في الدين» هي المنطلق لبناء نظرية في الممارسة العربية حول تنظيم العلاقة بين الدين والدولة ورسم حدود الصلاحيات. إنّ عبارة «إكراه» هي في أساس السياسة التي تفترض إمكانية اللجوء إلى القوة المنظمة. وعبارة «إكراه» تبين التمايز في الجوهر بين الايمان الذي يقوم على القناعة الذاتية والسياسة التي تعني في حدّها الأقصى لجوء الدولة إلى



«المشروعية القرآنية غير محصورة: كلّ مسلم هو قارئ للنصّ ومفسّر له» (أحمد موصلي).

## ٢- الممارسة الايمانية وتعابيرها الطقسية والاجتماعية والسياسية

يستخلص من الأبحاث والمناقشات أنّ «الظاهرة الدينية واحدة، وأنّ التمايز يكمن في اختلاف الوظائف وكيفية تعامل الأديان مع المقدّس» (رضوان السيّد). وتركزت المناقشات على أربع قضايا رئيسية:

١. التقليد: هناك «صراع على التقليد وهجوم على التقليد وتآزم التقليد لدى الأديان كافة، غالباً لحماية السلطة الدينية أو للوصول إلى السلطة، ويعود هذا التآزم إلى تضاول التجربة الروحية أو الارتباط بالسلطة السياسية» (رضوان السيّد). وهناك «موروثات» (سمير خوري) قد تكبّل المسار نحو الحداثة.

٢. الشعائر: وصفت الشعائر الدينية بأنّها «أعمال تنظّم العلاقات رمزياً وتعيد تقديس الزمن وهي تعبير عن الملموس في الايمان وتلتزم مشاركة الجسد. والايامن من غير مظهره هو تأمل فلسفي مجرد لا ممارسة دينية». ووصفت العبادة العامة بأنّها «شراكة مع الآخرين، فالجماعة كلّها تصلي وتقبل المعمد الجديد وكلّ الصلوات حتى الفردية هي مصاغة بصيغة الجماعة، فلا صلاة في المسيحية بصيغة المفرد، بل ترتفع الجماعة تسبيحاً لله». يملّي ذلك «ضرورة التعرف إلى شعائر الآخرين لادراك الفرادة لدى الآخر واكتشاف الجذور المشتركة». على سبيل المثال «الصوم على تنوع أشكاله ينبع من

بينما المعرفة ليست بالضرورة علماً، ويحمل المسار التاريخيّ الانسان على البحث عن نظرية لأنّ شيئاً ما لا يسير على ما يرام» (أنطوان قربان).

٣. النسبية والاطلاقية: تهدّد الاطلاقية غنى البعد الايمانيّ، لأنّ الاطلاقية «تصنّف الآخرين» (سمير خوري)، وتتناقض مع «ضرورة التجدد المستمرّ لما يختبره المؤمن». ولأنّ «الله المطلق هو أوسع بكثير من أيّ معرفة انسانية نسبية بطبيعتها، فالروح الايمانية هي تالياً الضامن، ولا يجوز ان نأسر المطلق، بينما مسار الايمان هو التعرّج» (الأب مشير عون).

٤. الفلسفة: طرح التمييز بين الايمان «والفلسفة التي تحاول تنظير ما يختبره المؤمنون: فأيّ فلسفة تخدم الخبرة الايمانية وأيّ فلسفة لا تخدمها؟» (الأب بولس خوري).

٥. الشكّ والنقد: قد يستغرب البعض «النقد داخل الدين لأنّ اليقين يناقض النقد، لكنّ الايمان الحقيقيّ هو الصحة من ثبات الدوغما» (وجيه قانصوه). والايامن «يبعد عن التعصّب الذي هو انغلاق» (محمّد حسين فضل الله).

٦. النصّ والوحي: يحمل الايمان «إبداعاً فكرياً وروحياً، والتساؤل هو محرّك المعرفة». ويقضي اعتبار العقل «رسولاً في الداخل، فاذا خالف النصّ العقل فلا بأس بالتوفيق مع العقل الذي هو سعي بالوسائل التجريبية» (محمّد حسين فضل الله). وتمّ التمييز بين «التنزيل والتأويل» (الأب بولس خوري). وجاء في إحدى المداخلات:

وقد تمحورت الأبحاث والمناقشات حول ثلاث قضايا: طبيعة الايمان والتزامه، الممارسة الايمانية في تعابيرها، ومقترحات استشرافية عملية، على ما استخلص ولخصّ الدكتور أنطوان مسرّه:

## ١- طبيعة الايمان والالتزام

يستخلص من تحقيق اجتماعيّ أجراه عبدو القاعي على عيّنة تمثيلية من ألف أسرة في لبنان في سنتي ١٩٨٩ و٢٠٠٣، ارتفاع الممارسة الدينية (٨٨٪ سنة ١٩٨٩ و٩٤٪ سنة ٢٠٠٣) و٩٩٪ يصرّحون أنّهم مؤمنون و٨٨٪ يفضلون الزواج الدينيّ، والغالبية ملتزمة «بأنظمة دينية وبمشروع يحقّق انسانيّتنا».

انطلاقاً من التحقيق طرحت ست إشكاليّات مرتبطة بالايامن:

١. الايمان والالتزام: طرح السؤال: «هل الايمان من الشأن العام؟ القضايا لتصبح شأناً عاماً حتاج إلى إيمان ولكن من دون هاجس السيطرة بل التضامن لنقوي بعضنا بعضاً» (عبدو القاعي). يجسد المسيح في سلوكه مواطنة بدوام كامل من خلال عشر توجّهات: ثقة بالقدرة المواطنة، دعوة إلى التحرّر، نقض مختلف أشكال الأدلجة (من إيديولوجيا)، مفهوم القريب، مفهوم الشأن العام، اعتبار المعرفة خدمة، التوجّه نحو المهتمّشين والمظلومين، الشجاعة، فضح الأضاليل مع ذكر مجالات العمل، والادارة السلمية للتغيير.

٢. البحث عن المعنى: وصفت العصرية اليوم بأنّها «تقدّم وتراجع بسبب انحسار البحث عن الحقيقة - المعنى لصالح المعرفة التقنية،

# كتاب الإلهيات للعلامة يوسف شمعون السمعاني من الفلسفة إلى اللاهوت فالنهضة



إثر نشر جامعة سيّدة اللويزة مخطوط العلامة يوسف شمعون السمعاني: كتاب الإلهيات، دعت الجامعة إلى حلقة دراسية، بتاريخ ٢١ أيار ٢٠٠٣، برعاية غبطة البطريرك الكاردينال مار نصرالله صفير، تحت عنوان: كتاب الإلهيات: من الفلسفة إلى اللاهوت فالنهضة، ووفق البرنامج الآتي:

## الافتتاح

ترحيب وتقديم أ. سهيل مطر

كلمة صاحب الرعاية البطريرك الكاردينال نصرالله صفير

كلمة رئيس جامعة سيّدة اللويزة الأب بطرس طربييه

كلمة مقدّم الكتاب: ذهنية العبور السمعاني د. أمين ألبرت الريحاني

## المحور الأوّل

### مسألة البرهان الإلهيّ

المشاركون: المطران جورج خضر: رؤية في مصادر السمعاني

السيد العلامة محمّد حسن الأمين: مسألة الرهان الألهيّ

الأب د. بولس صفير: هل الإلهيات نتاج فكريّ لتلامذة مدرسة روما؟

د. فكتور الكك: منهجية السمعاني في برهانه الإلهيّ

د. طانيوس نجيم: السمعاني والبرهان الإلهيّ

## المحور الثّاني

### بين الفلسفة واللاهوت

المشاركون: المطران كليّس بسترس: الفكر اللاهوتيّ عند السمعاني

د. سامي مكارم: صوفيّة المحبّة بين السمعاني والشيخ علي فارس (أحد متصوّفي الموحّدين الدروز)

الأب د. سليم دكّاش: البعد الفلسفيّ الدفاعيّ في براهين وجود الله عند السمعاني

د. أديب صعب: اللاهوت الطبيعيّ: نطاقه وحدوده

د. جوزف يعقوب: Reflections on the Issue of Perfection

## المحور الثّالث

### كتاب الإلهيات ومطلع النهضة الفكرية العربية

المشاركون: المطران حميد موراني: السمعاني في التقليد السكولاستيكيّ المدرسيّ

د. ناصيف نصّار: الإلهيات ضمن كليّات السمعاني وكليّات عصر التنوير

الخوري د. ناصر المجميل: تأثر السمعاني بالتيارات الفكرية الغربية تمهيداً للنهضة

الأب د. أنطوان ضوّ: السمعاني رائد التفاعل الثقافيّ

د. ضومط سلامه: السمعاني والفلسفة الكلاسيكية حول وجود الله

في كلمة الترحيب، سأل المدير العام للعلاقات العامة في الجامعة، الأستاذ سهيل مطر، ما إذا كان صدفةً أم ميعاداً أن تنعقد هذه الحلقة الدراسية قبل أسبوع واحد على انعقاد المجمع المارونيّ، وقد كان السمعانيّ محور المجمع الذي انعقد في دير سيّدة اللويزة ١٧٣٦!

المطران شكر الله حرب، ممثلاً صاحب الرعاية، نقل إلى الحضور تحيات غبطة البطريرك صفير وبركته الرسولية، قادراً وشاكراً ومهتماً على هذه الخدمة الثمينة التي تؤدّيها الجامعة بمحبّة وسخاء...

رئيس الجامعة الأب بطرس طربييه الذي توقّف عند أهميّة نشر المخطوطات على الصعيد الوطنيّة والبحثيّة والتربويّة، أعلن عن اهتمام الجامعة في إحياء التراث اللبنانيّ منذ القرن السابع عشر، من طريق مباشرتها منذ سنتين في تصوير المخطوطات إلكترونياً ووضعها على أقراص ممغنطة ثمّ نشر ما يستحقّ منها ذلك.



5. النقد الدينيّ والشك: إنهما جزء من البناء الایمانیّ، لأنّه مع «الجهل بسود التجاهل وینتشر التكفير، بینما الحاجة هي إلى مزيد من المكاشفة والبحث سعياً إلى الدیان» (السید هانی فحص). والشعائر الدينية التي تبدو متنافرة تتلاقى في باطنها (جورج ناصيف). للجامعة دور مميز في هذا الاطار، لأنّها «مكان التساؤل عن الحقيقة» (المطران بشاره الراعي).

جاء في المؤتمر هذا القول: «أن تكون مسلماً اليوم يعني، في الحرب على العراق والمنطقة العربية، أن تنضمّ إلى جراح المسيح: المسلمون والمسيحيون في العراق اليوم هم جسد المسيح» (جورج ناصيف). فهل نعمل جميعاً، وبخاصة في لبنان، على صياغة لاهوت خلاصي للجميع، وليس لاهوت الجماعة الناجية» (سعود المولي)؟



\* وقائع المؤتمر صدرت في كتاب من منشورات الجامعة.

ليس لها وجود في الكتاب المقدس. لفظة إكسوسيا اليونانية في العهد الجديد التي عرّبت سلطان لا تعني المرجعية الالزامية التي تفرضها عليك هيئة إكليريكية معصومة ينزل عليها وحي من فوق. إكسوسيا تعني القوة أو القدرة، بمعنى أنّ الكنيسة هي التي تحفظ وديعة الايمان» (المطران جورج خضر).

2. الثقافة: يقتضي «إدخال الانجيل في عمق ثقافة البشر وفي الثقافات عملاً بمبدأ الانتقاف أو التثقاف في وثائق الفاتيكان منذ 1970، وذلك في عملية تفاعل متبادلة داخلية وخارجية ومن دون تغيير جوهر الدين» (المطران غي بولس نجيم). ينطبق هذا المنحى على مختلف الأديان في احترام متبادل، والقرآن «حريص على التثقاف شرط الحرص على التقوى» (السید هانی فحص).

3. التزام: تنمية مفهوم الالتزام الایمانیّ لأنّ «القضايا، لتصبح شأنًا عامًا، تحتاج إلى إيمان بالعمق» (عبدو القاعي). وبخاصة التزام قضايا المهمّشين والمظلومين.

4. الحوار بين الأديان: الحاجة إلى «توسيع مساحة المشاعات في المعرفة الدينية» (السید هانی فحص). إنّ المؤتمر هو تجسيد لما جاء في كلمة رئيس الجامعة الأب بطرس طربيه: «إنّ الموضوع يخدم الوحدة الوطنية. وقد ركّز الارشاد الرسوليّ على الحوار البناء والاعتراف المتبادل في منأى عن التباينات الكبيرة بين الأديان. ومن الأهمية بمكان أن يصار إلى العمل، أولاً وقبل كلّ شيء، على تبين ما يجمع اللبنانيين في شعب واحد، وفي أخوة مشتركة. وأهمّ ما يجمع هو هذا الايمان المسيحي-المسلم بإله واحد».

وصوفيّ، إلى إله الاسلام الذي هو اله المسيحية أيضاً وكلّ الأديان، ليس في عقائدها، بل كما يعيشها المؤمنون.

يستخلص من تشعب أوراق ونقاشات المؤتمر خمسة اقتراحات استشرافية عملية:

1. السياسة: إنّ المؤمن هو ملتزم إلى أقصى الحدود مواطنياً، لكنّه يقتضي عدم اللجوء إلى القوة في العمل السياسيّ باسم الله، لأنّ الله لا ناطق رسمياً له على الأرض. ونبیّ الاسلام هو «خاتمة الأنبياء». انتجت البشرية طوال ألفي سنة مجموعة من التشريعات والمواثيق والشرعات التي تحدّد مجالات اللجوء إلى القوة المنظّمة وحدودها. عندما يتمّ اللجوء إلى القوة باسم الله، فما الذي يؤكّد صدقية هذا اللجوء، وإذا كان لأهداف شخصية أم للصالح العام؟ يطرح فيلم «جان دارك» الذي عرض في بيروت سنة 2001 هذه الاشكالية.

والحاجة أيضاً في العمل السياسيّ إلى تجنّب استعمال الدين كوسيلة برهان، إذ ما الذي يؤكّد أنّ ذكر الآية الفلانية هو على سبيل تبرير الذات، أم حقاً بدافع الخدمة العامة؟ هنا أيضاً يوفّر التراث الانسانيّ طوال ألفي سنة ترسانة من التبريرات البشرية لمن يبحث عنها.

إنّ السياسة هي صراع على السلطة ونفوذ وتعبئة ونزاعات وتفاوض. والسياسة أيضاً، في أرقى معانيها، هي إدارة للشأن العام مع إمكانية اللجوء إلى القوة المنظّمة لتحقيق النظام العام. تكمن تالياً الاشكالية في شرعية اللجوء إلى الاكراه. جاء في مداخلة: «إذا عنت الكلمة سلطة حقوقية أي سلطة إكراهية مفروضة عليك كالحكم المدنيّ، فهي



الدكتور ضومط سلامه رأى أنّ من الطبيعيّ أن يعرّج باحث مثل السمعاني في بدء القرن الثامن عشر، على ما أنجزه القديس توما الأكويني. وأضاف هذا لا يعني بأنّ السمعاني صرّح بأنّه سيقوم بذلك تحديداً، كما أنّه لا يعني بأنّه قام تماماً بما قام به الأكوينيّ قبله لكن يصحّ القول بأنّ هناك بعض التشابه في الأهداف والمواضيع والطرح وطريقة المعالجة...

وبينّ الخوري د. ناصر الجميل أنّ السمعانيّ المشرقيّ لم يكن شاهداً أو مستمعاً في لقائه علماء أوروبا، بل كان محاوراً على قدر طاقته وممارساً للتبادل الثقافيّ. أغنت أعماله ولا تزال تغني، الغرب والشرق معاً. خصّ الأوروبيين على الاستشراق الدينيّ والعلميّ على السواء، وعلى نشر الثقافة الأوروبيّة التي نشأت لدى الشعوب المشرقيّة على الرّغم من بعض التحفّظ.

الموقف السليم، إذ رأى أنّ الدفاع عن أيّ دين موحى يفترض الدفاع الفلسفيّ أولاً عن مفهوم الألوهة قبل الدفاع العقليّ أيضاً عن العقائد.

وأما الدكتور يوسف يعقوب فرأى أنّ الكمال لدى السمعاني إنّما يعني التصوّف، وأنّ السمعاني لا يفصل بين الحياة الروحيّة والمبادئ الأخلاقيّة، مدافعاً عن موقفه بآيات من الكتاب المقدّس؛ وبالتالي، لا حياة ضالة من دون حياة رويّة!

الأب د. أنطوان ضوّ اعتبر أنّ السمعانيّ ظلّ، في مشاريعه الاصلاحية، أميناً لمارونيّته، وملتزمّاً بالتطوّر والاصلاح. كان ضدّ التغريب والليتننة وإلغاء الآخر، أو الانتقال من التراث المشرقيّ الأنطاكيّ المارونيّ الأصيل. لقد حافظ على التراث، واستجاب للتطوّرات والتغيّرات والتحوّلات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والكنسيّة، فكان رائد الإصلاح والنهوض في الكنيسة المارونيّة وفي سائر الكنائس المشرقيّة، في لبنان والعالم العربيّ. كما أنّه يعتبر أحد روّاد النهضة العربيّة.

وبالوصول إلى المحور الثالّث: كتاب الإلهيات ومطلع النهضة الفكرية العربية، فقد أوجز المطران أنطوان حميد موراني قوله: محاولة السمعاني مهمّة، لأنّها ميّزت بين توما الأكوينيّ وسواه بعد أجيال. استطاع أن يعبر بدقّة لا بأس بها، وإن لم يوقّف دائماً، بأهمّ العبارات الفلسفيّة. لكن في محاولته هذه جرأة وقدوة، لأنّه علينا أن نقبل بمسيرة التاريخ. وطالما طرحت علينا قضية بهذا الاتّساع والأهميّة، فالباب مفتوح أمام الفلاسفة واللاهوتيّين، وكلا العلمين أساسيان في كلّ ثقافة.





يؤدّي في الوقت عينه إلى التعمّق في سرّ الإنسان وإلى مساعدته على تحقيق ذاته وتحقيق الصورة التي خلق عليها، والتي لا يمكن أن تصل إلى كمالها إلاّ في العلاقة بالله الأب والابن والروح القدس.

الدكتور سامي مكارم أقام مقارنة بين السمعانيّ والشيخ علي فارس أحد متصوّفي الموحّدين الدروز، فرأى أنّهما يلتقيان على صوفيّة المحبّة التي توصل إلى الوحدة في الله الواحد الأحد، سواءً أحببنا الخير الموجود أو أحببنا أن يوجد الخير.

الأب د. سليم دكّاش انتهى إلى أنّ فحوى رسالة السمعاني إلينا اليوم، أنّه لا يكفي أن نترجم الفكر الغربيّ، أكان لاهوتياً أم فلسفياً أم اجتماعياً، بل الأهمّ هو أن نستوعب هذا الفكر جيّداً بلغتنا وثقافتنا التي تجعلنا شركاء مع عالم الثقافة العربيّة، وأنّ نؤوّن هذا الفكر... ربّما أخطأ السمعاني في عدم توسيع رؤيته الفكرية في الأخذ المباشر بعين الاعتبار المعطيات الفلسفية العربيّة، إلاّ أنّه استطاع مرتاحاً أن يعبر بلغة عربيّة فلسفية متينة ما أراد أن يعده عدّة لاهوتية لثقافة كنيسته المارونية.

ومما جاء في مداخلة الدكتور أديب صعب: ولئن كان كتاب الإلهيات يفتقر إلى شيء من تلك الروحانيّة أو الصوفيّة التي تميّز اللاهوت الشرقيّ عموماً. فهذا ليس هدفه، لا بل إنّ هدفه هو الدفاع العقليّ عن الدين المسيحيّ. وقد وقف السمعانيّ

بشيء، لأنّه اقتباس من الخلاصة ومختصر مفيد لها، والمختصر المفيد يضاهاه غالباً الشرح المستفيض للمؤلّفات القيّمة.

الدكتور فكتور الكك تبدّى له السمعانيّ بارعاً في طرح إشكاليّات البحوث التي تناولها، فيحدّد الموضوع الكلّيّ، بإرثائه أسس جدليّة معرفيّة في اتجاهين: برهانيّ ونقاشيّ؛ ويتدرّج من الكلّيّ إلى الجزئيّ... وفي هذا السياق، يضيف، تبرز موهبة السمعانيّ المعلم المقتدر، الصارم في منطقة، المتمكّن من تفريع تحدياته وآرائه.

الدكتور طانيوس نجيم تناول معالجة السمعاني للبرهان الإلهيّ، متطرّقاً إلى إشكاليّة مارونيتّه وليتنه وتمثيله المشرقيّ والكاثوليكيّ. وانتهى القول: ليست الأصالة الحقيقيّة أن ننعزل ونكفئ على نواتنا ونتحجّر، ولا الحداثة أن نتنكّر لماضينا ونأخذ بأيّ جديد ونعيش في غربة عن نواتنا. قد يكون الحلّ الأمثل لنا في الجمع والمؤلّفة بين الأصالة والحداثة... ولعلّ مثل السمعانيّ، في هذا المجال، جدير بأن يُحتذى به، لأنّه كان ناجحاً وفعالاً.

وبالانتقال إلى المحور الثنائيّ: بين الفلسفة واللاهوت، تستوقفنا أوّلاً كلمة المطران كليركس سليم بسترس، حيث يخلص إلى القول:

إنّ كتاب الإلهيات هو موسوعة للإيمان القويم في كلّ ما يتعلّق بالله الواحد المثلث الأقانيم. منهجيّته واضحة، وبراهينه مركّزة، وقرآته متمتعة. والتعمّق في سرّ الله الواحد الثالوث

مقدّم الكتاب الدكتور أمين ألبرت الريحانيّ خلّص في كلمته إلى أنّ عمل السمعاني عبور لاهوتيّ مشرقيّ من العقل إلى الإيمان، يمكن أن يتوازى، بنسبٍ مختلفة، مع العبور الأوروبيّ. وهو كذلك عبور أدبيّ من السريانيّة إلى العربيّة، ومنها إلى اللاتينيّة فعوداً إلى العربيّة. إنّ الدائرة القطبيّة في ترسيخ الحداثة ركناً من أركان النهضة العربيّة.

بعد الافتتاح، إلّام المحور الأوّل: مسألة البرهان الإلهيّ، فاعتبر المطران جورج خضر أنّ منهلي السمعانيّ الحقيقيّين هما أوغسطين والأكوينيّ؛ ولذلك نحتاج إلى مطالعة كلّ تراثه لتبنيّ مدى إبداعه وأخذ خط على السمعاني أنّ الغرب كان حياته ومثواه.

العلامة السيّد محمّد حسن الأمين صرّح أنّ البرهان والجدل المعتمد على الأحكام الأوّليّة الفطريّة للعقل هي الأساس الذي تقوم عليه أبحاث العلامة السمعاني في كتاب الإلهيات، وهي بهذه الصفة تسهم إسهاماً عالياً في بلورة الأسس المنطقيّة العقليّة لحوار لاهوتيّ مسيحيّ إسلاميّ محرّر من المسبقات التاريخيّة والثقافيّة الخاصّة، التي تشكّل ميدان النزاع والاختلاف الدينيّ بين الديانتين...

الأب د. بولس صفير تبين له أنّ السمعاني اقتبس فحوى كتاب الإلهيات من خلاصة القديس لوقا الأكوينيّ في الجزء الأوّل منها. إلاّ أنّ هذا لا يقلل من قيمته



﴿ في جلسة الذكريات التي ترأسها نقيب الصحافة محمد البعلبكي، قال البعلبكي: إن كرم كان في زمانه صحافياً مميزاً، لأنه طعم الصحافة بالأدب، وجبل الأدب بزيت الصحافة... وحيًا مبادرة جامعة سيّدة اللوزة في إحياء هذا اليوم، إذ تتجاوز شخص المكرّم إلى تكريم الأدب العربي الحديث كلّه وتكريم الصحافة اللبنانية كلّها. ﴾

﴿ ويبيّن الأستاذ إميل الرامي أنّ كرم جال في حقلين فجلى في كليهما: ففي الصحافة تشبّع للحقّ وثار على الالتواء والاعوجاج...، وفي القصة أبدع وشوّق وأكثر... ﴾

﴿ الوزير والنائب السابق إدمون رزق جال في الصداقة العائلية، وكيف هو كان يلتهم، وهو على مقاعد «الحكمة»، قصص « ألف ليلة وليلة» ويتملّى أسلوبها الفني، نحتاً وصقلًا، حبكاً وقفلاتٍ وإخراجاً... ﴾

﴿ الدكتور جميل جبر أشاد بكرم على أنّه كان قلماً حرّاً قاطعاً في خدمة لبنان والقيم...، وأنّه مجموعة في فرد... ثار على الجهل، ودعا إلى نهضة الشعب، وقدّس حرمة الكلمة... ﴾

﴿ الوزير السابق عصام الخوري أشار إلى أنّ كرم ما كتب كلّ ما كتب لتتبني البراعة إنّما لتشبع الحقيقة. وقد تميّز بأسلوبه الحيّ

يولد فيها أمثال هذا العبقريّ الذي ما ترك ضرباً من ضروب الكتابة إلّا كان له فيه الإسهام المشرق المشرف... فهو ثروة من ثرواتنا. ﴾

﴿ ثمّ ألقى الوزير مروان حماده كلمة باسم الأستاذ وليد جنبلاط، جاء فيها: «لقد تجلّى صحافياً وأديباً. وتجلّى شاهداً على عصره: يفعل به، ويتفاعل معه. يزيده بمثله وإبداعاته، ويعكس شؤونه وشجونته كمرآة جليّة، فنكتشف بعد حين أنّ قضايانا السياسيّة والوطنية تكاد تكون هي هي منذ ما قبل الاستقلال وحتى يومنا هذا.» ﴾

﴿ وسجّل الوزير ميشال سماحه، ممثلاً رئيس الجمهورية العماد لحود، وقد منح كرم وسام الاستحقاق اللبنانيّ المذهب أمير الأدب، أنّ كرم في عشقه للقصة والحرية لم يخطئ حيال الكلمة، ولم يخطئ بحقّ مسؤوليّة... ولكم غدا، منه، فينا، بنوّة فكرة أو مسؤوليّة فكرة... وهو إرثه اليوم تطلقه عائلته وعائلة كلّ من جعل القلم سلطته وحكمته ورفعته، وتسير به بلدته ولبنانه... ﴾

﴿ وكان للسيدة سوزان كرم شديد كلمة باسم العائلة جاء فيها: «تميّز كرم بمبيرة فيه صوب الإنصاف، وكان في الحرص على حقوق المرأة كمثل ما كان في الحرص على الحرية والديمقراطية ورحابة التلاقي الوطنيّ ووضاءة الإنسان.» ﴾

﴿ البطريك صفير رأى أنّ كرم رفع الرواية العربيّة إلى مستوى الروايات العالميّة. ﴾

﴿ والشيخ قبلان رأى أنّ كرم استمرّ على نهجه قلماً ينسج الحرية، وفكراً يصوغ القيم. ﴾

﴿ أمّا جلسة الافتتاح، فاستهلّها الأستاذ سهيل مطر، المدير العام للعلاقات العامة في الجامعة بترحيب، اعتبر فيه أنّنا مع كرم، الحاضر الأكبر، نلتقي كرمًا ولبنان... ﴾

﴿ مدير فرع الجامعة في دير القمر، الدكتور أسعد عيد، وقد سمّى كرم بصقر لبنان والروائيّ المدرسة، اعتبر أنّ «غير كثير أن تجتمع هذه الكوكبة من قادة الرأي والفكر والسياسة والأدب حول مائدة كرم ملحم كرم الغنيّة بزادها وثمارها وعناقيدها. ﴾

﴿ رئيس الجامعة الأب بطرس طرييه، الذي قدّم لعائلة المحتفى به درع الجامعة، أكد أنّ كرم «قلم لا يهادن، عبقريّة لا تستريح، ريشة تأبى إلّا ملاعبة الجمال، وطنيّ كبير يدعو إلى لبنان واحد حرّ ويقف في وجه الانتداب الفرنسي...» فنحن إنّا بحاجة أن نعلم أولادنا وطلابنا هذه القيم التي مثلها في مقالاته وقصصه؟؟ ﴾

﴿ وباسم رئيس بلدية دير القمر، قال نائبه المحامي فادي نون: شرفٌ لدير القمر أن



# يوم كرم ملحم كرم في جامعة سيّدة اللويزة - دير القمر في مئويّة ولادته الأولى ١٩٠٣ - ٢٠٠٣



القيّة ليلّة وليّة

٢٠٠٣ - ١٩٠٣

أحيّت جامعة سيّدة اللويزة، بتاريخ ٢٣ أيّار ٢٠٠٣، في فرعها بدير القمر، المئويّة الأولى لولادة علم الأدب والصحافة والوطنية، كرم ملحم كرم، برعاية الجمهوريّة اللبنانيّة العماد إميل لحود، وفي حضور حشد رسميّ وشعبيّ، وذلك وفق البرنامج الآتي:

## الافتتاح

كلمة أ. سهيل مطر

كلمة د. أسعد عيد

كلمة رئيس جامعة سيّدة اللويزة

الأب بطرس طرييه

كلمة رئيس بلدية دير القمر أ. دوري شمعون

كلمة أ. وليد جنبلاط

كلمة آل كرم سوزان كرم شديد

## ذكريات

رئيس الجلسة: نقيب الصحافة أ. محمّد بعلبكي

المشاركون: الوزير السابق عصام خوري: لا

للتبديّ البراعة، بل لتشعّ الحقيقة

الوزير السابق إدمون رزق: غفوة لحظة،

صحوّة أبدا!

الأديبة إملي نصرالله: أبو القصة والرواية ولا

تجد له كتاباً في مكتبة

أ. إميل الرامي: جال... وجلّى

د. جميل جبر: قلم حرّ قاطع في خدمة لبنان

والقيم

نقيب المحامين أ. ريمون شديد:

العماق الذي يكتب بسهولة وروعة

## دراسات

رئيس الجلسة: د. منصور عيد

المشاركون: د. وليم الخازن: السرد القصصيّ

عند كرم ملحم كرم

د. صادق مكّي: صورة الأدب من خلال مؤلّفات

كرم ملحم كرم

د. الياس ناصيف: الفكاهاة في كتابات كرم

ملحم كرم في مجلّة العاصفة

د. إميل كبا: ثنائيّة الرحيل... والعودة

د. منيف موسى: قطاف وجدانية في كتاب

«قطاف العناقيد» لكرم ملحم كرم

أ. جان كميد: روعة الديباجة في أسلوب كرم

ملحم كرم

د. نبيه الجردى: كرم ملحم كرم في دير القمر

وقبل الشروع في جلستي الذكريات

والدراسات، تليت رسالتان من: البطريك

الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير،

ونائب رئيس المجلس الإسلاميّ الشيعيّ

الأعلى المفتي الجعفريّ الممتاز الشيخ عبد

الأمير قبلاّن.

# المجمع البطريركيّ المارونيّ يَقْظَةُ في سبيل نَهْضَة



## البيان الختاميّ

### لدورة المجمع البطريركيّ الأولى سيّدة الجبل في ٢١ حزيران ٢٠٠٣

بنعمة الله، وبدعوة من صاحب الغبطة والنيافة الكردينال مار نصرالله بطرس صفير بطريك إنطاكية وسائر المشرق الكليّ الطوبى وبرئاسته، التأم المجمع البطريركيّ المارونيّ في دورته الأولى، من الأوّل الى السابع من حزيران ومن السادس عشر الى الحادي والعشرين منه سنة ٢٠٠٣ في دار سيّدة الجبل في فتقا - قضاء كسروان، لبنان. وقد شارك فيه، بموجب القوانين المقدّسة، أصحاب السيادة مطارنة الكنيسة المارونيّة، يرافقهم، بصفة أعضاء، كاهن وراهب أو راهبة وعلمايّان عن كلّ أبرشيّة، وقدس الآباء العامّين والرئيسات العامّات للرهبانيّات المارونيّة، ورؤساء الجامعات وعمداء كليّات اللاهوت والحقّ الكنسيّ ورؤساء المدارس الإكليريكيّة المارونيّة في لبنان وخارجه، وعدد من الخبراء ذوي الاختصاص وأعضاء اللجنة المركزيّة الذين أوكل إليهم مواكبة تحضير المجمع منذ بدايته حتّى اليوم.

وقد لبّينا جميعاً هذه الدعوة، وفي قلوبنا فرح لا يوصف باللقاء العائلة المارونيّة بكامل أبرشيّاتها وجماعاتها وذلك لأوّل مرّة بعد انتشارها، إذ توافدنا من لبنان ومن سوريا والأرض المقدّسة والأردن ومصر وقبرص وأوروبا والأرجنتين والبرازيل والمكسيك والولايات المتّحدة الأميركيّة وكندا وأستراليا. فتحولّ مكان لقائنا إلى عليّة وموعده الى عنصره جديدة للروح، تزامن مع عيد العنصرة الأولى (أع ٢ / ١٣٠١). وتملّكنا شعور عفويّ بأنّ مجرد إجتماعنا على هذه الصورة يحمل في ذاته بذور نجاحه، وبأنّ هذا المجمع البطريركيّ سيبرز كمنعطف كبير في حاضر الكنيسة المارونيّة ومستقبلها.

افتتح المجمع مساء الأحد الواقع فيه الأوّل من حزيران بقدّاس احتفاليّ ترأسه صاحب الغبطة والنيافة، رئيسه الأعلى، في باحة الكرسيّ

أما وقد انتهت الدورة الأولى من المجمع البطريركيّ المارونيّ، فإنّ ثمة بعدُ خمسة عشر شهراً تُعقدُ فيها ورش عمل على غير مستوى وصعيد، ليس على ضوء الاقتراحات والتوصيات التي تقدّم بها المجمعيون تعديلاً وتبديلاً في الملفّات المُعدّة فحسب، بل، وأيضاً، من منطلق أنّ باب الاجتهاد مفتوح لكلّ مخلص حريص، أفراداً وجماعات، في لبنان وخارجه، في سبيل أوسع شراكة ممكنة، لعلّ الحصاد يكون على قدر الانتظارات!

فإذا كان ما جرى حتّى الآن هو رسمُ الطريق، وهو أمرٌ ليس بالسّهل ولا اليسير، وكان من مهمّة «البعض»، فإنّ سلوك هذا الطريق بات في عهدة «الجميع».

ولذا، مأمولٌ من كلّ عارف وقادر، أبرشيّاتٍ ورهبانيّات ومدارسٍ وجامعات...، تشكيلُ مجموعات تفكير وتوير، تسهم وتشيّع، في إطار من الحوار مع مختلف الفئات العمريّة والقضاة، دينا ودنيا، نساءً ورجالا...

نعم. أن ينعقد المجمع، على ما حدث، هذا هو الحدث! كان المهمُّ أن يبدأ، ولو على بعض مآخذ في المنهجية والمضامين والصياغات. ففي الطريق إلى دورته الثانية يمكن فعل الكثير بفضل الكثير الكثير من بني الصّلاح والإصلاح في بني مارون، هنا وهناك، ومن يعيشون معهم ويعرفون حتماً أنّ شمس الخير متى أشرقت تَعْمُ أنوارها الناس جميعاً.

إنّ هذا المجمع إنّ هو إلاّ يقظة خاصّة في سبيل نهضة عامّة. فغداً تحذو سائر الطوائف حدوّ الموارنة، كما في سالف العهد مع المجمع اللبنانيّ عام ١٧٣٦، وكان بشير مسيرة تنويريّة غامرة، فإذا لنا عودة إلى صفاء الينابيع تتيح التجديد الحرّ في حاضر يوتسُس لمستقبل تستحقّه أجيالنا الطالعة...

إنّ أحداً يتلکأ، لن يعذره التاريخ. ومن شاء النقد فلينقد، ولكنّ حذار الجلد: فالنقد صليبٌ مجدٍ، والجلد صليبٌ خزيّ وعار!



﴿ وجاء في كلمة الدكتور إميل كبا: أديبنا بدأ قلماً يتعيّش فكان منه الصحافيّ، وصار الخيال يتعيّش فكان منه القصّاص، وبات المراقب يتعيّش فكان منه النقاد الأديب. واعتبر أنّ كرم، بما أنفق البصر من أجله ومن ثمّ مات في عجالة من أمره، قد أضاف معنى إلى الحياة به تستحقّ أن نعاش وعلمّ بالقلم كيف لا نموت.

﴿ أمّا القاضي د. الياس ناصيف فأثار موضوع النكتة لدى كرم، فكانت سياسيّة وأدبيّة واجتماعيّة ودينيّة، في الشكل والصورة والحركة وفي استعمال الأضداد، والتشابه والاستعارات والتشويق والخيال،... أحياناً لاذعة وعنيفة أو مقذعة، وأخرى خفيفة أو طريفة، بلغة بسيطة، وأحياناً عاميّة...

**وانتهى المنتدون أخيراً إلى:**

- إعلان دار النهار للنشر استعدادها لإعادة طبع كتب كرم.

- الدعوة إلى تعليم إنتاج كرم في المدارس والجامعات، وتخصيص كرسيّ باسمه في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية.

- إصدار طابع بريديّ باسمه ورسمه.

- وضع تمثال له في أحد شوارع بيروت، وإطلاق اسمه على هذا الشارع.

﴿ ونوّه الأستاذ جان كميد بديباجة في أسلوب كرم قلّ أن ارتقت إلى مثلها أقلام «المعلّمين» في صناعة الإنشاء العربيّ. وهذا الترف البيانيّ ليس بالقليل في يومنا الذي أسفّت فيه البراعات إلى ما دون الركافة...

﴿ وإذ رأى الدكتور صادق مكّي أنّ كرم أديب بالطبع صحافيّ بالمهنة، تحدّث عن همّين كانا يشغلانه: أولهما الارتقاء بالأدب كفنّ ليلبغ على يديه مستويات مرموقة وليكون رائداً من رواد تطوير الأدب العربيّ في العصر الحديث...، وثانيهما أن يوجّه تلك الرسالة في سبيل خدمة الإنسان تثقيفاً وتهذيباً وتوعية...

﴿ وبعد التأكيد على أنّ كرم هو أبو القصّة اللبنانيّة وتمتّع بأسلوب قد يكون فريداً بين كتّاب العربيّة جمعاء، أضاف المحامي د. نبيه الجردي بأنّ كرم كان سلسل الديباجة، طويل النفس، موفور الخيال، خصب الإنتاج... تميّز ببساطة الكلام وبمراعاة لغة الحوار...

﴿ وأبرز الدكتور وليم الخازن براعة كرم في الصحافة والسياسة والاجتماع والقصّة والرواية؛ ثمّ أطلق على أسلوبه في رواياته عموماً صفة السلامة والمتانة والرومانسيّة، منوّهاً بالتالي بمنحى الحوار عنده يأتي قبل أو بعد السرد من دون تنازل عن فصاحة...

وواقعيّته وقدرته الفائقة على نقل التجارب الحياتيّة بصدق وعفويّة. وأضاف: «الدعوة إلى طلب المعرفة كانت في بيت كرم بمثابة أمر اليوم. وكرامة المعرفة لدى أبو عصام كالمعرفة اثنان متكاملان لا ينفصلان».

﴿ الأديبة إملي نصرالله دعت إلى إعادة طبع كتب كرم طباعة عصريّة ليبقى القارئ على تواصل مع تلك الينابيع السريّة... وقالت: لا يسع قارئ نصوص كرم إلا أن يتوقّف عند لغته اللافتة ببنائها وجماليتها، حتّى لتسحر القارئ وتميل به أحياناً، لشدّة فنتتها، عن مسار السرد.

﴿ نقيب المحامين ريمون شديد قال: هذا العصاميّ النازل إلى بيروت عبر دير القمر ليتقن صياغة الذهب، صكّ الكلمة بأبهى ما يكون الإبداع والرؤى ليصبح عبقرىّ العرب وصوت الحقّ الصارخ أدباً ووطنية ثمّ استقامة وإباء.

﴿ وتوجّه الدكتور منيف موسى إلى روح المحتفى به قائلاً: ويا قابضاً على ناحية القصّة ورائدها، ويا محدثاً الصحافة وباني أعمدتها، ويا حاضن الثقافة وأبنائها، على درب كرمك حياّت من «عناقيدك» تسلّلت من سلالك عند الإياب، فكانت بعض معالم طريق إلى فكرك الحصين...

نشترك فيه مع إخواننا من سائر الكنائس الإنطاكية. وكان وعي لما يمليه علينا من مقتضيات انتماء كنيستنا إلى عائلة الكنائس السريانية المنتشرة من البحر المتوسط إلى المحيط الهندي، الذي يشركنا في إرث حضاريّ ثمين. لأنّ التقليد السريانيّ هو تقليد روحيّ عريق أغنى الكنيسة الجامعة مثلما أغنتها «التقاليد الكنسية الأخرى بترائيات الليتورجية واللاهوتية والروحية والتنظيمية» (انظر مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، ١٨). وأدركنا أهمية لقاء البعدين الكاثوليكّي والمشرقيّ في كنيستنا، واندراجها في العالم العربيّ، اللذين أعطياها مقدرة خاصة على التواصل بين الجماعات، وأسسا لها دعوة أهلتها لخدمة العمل المسكونيّ، ولتعزير الحوار المسيحيّ-الإسلاميّ وللتواصل بين الشعوب والحضارات. وبرز أماننا التراث النسكيّ كعنصر أساس من عناصر هويتنا الكنسية، والعيش الرهبانيّ الذي دمغها منذ انطلاقتها، مع شفيبعها القديس مارون ومع الدير الذي حمل اسمه على العاصي. وهو تراث قادها الى التقرب من الناس بمقدار ما هي تتقرب من ربّها وتلقى نفسها فيه. وقد أعرب في النقاش حول موضوع هذه الهوية عن أمنيات بأن نتعمق في دراستها خلال السنة المقبلة، فيسهم توضيحها إسهاماً فعّالاً في توحيد أبناء هذه الكنيسة، وفي التزامهم دعوتها ورسالتها في أيّ محيط وجُودوا.

### كنيسة تتجدد في أشخاصها وهيكلّياتها

وانتقلنا إلى شؤون الملفّ الثاني، وهو بعنوان «التجدد الراعويّ في الكنيسة المارونية». فتوجّهت أنظارنا إلى جميع الذين يحملون رسالة الكنيسة، وهم على التوالي أساقفتها وكهنتها ورهبانها وراهباتها وعلمانيّوها وعائلاتنا المسؤولة عن تواصل أجيالها وشبابها الطالع والمكانة التي يجب أن تحفظ لهم اليوم في قلبها. وتوقّفنا حول الأهمية القصوى التي يجب أن تعطى لتنشئة الكهنة ليكونوا فاعلين في الزمن الحاضر. وقدّمت أفكار واقتراحات حول التعاون بين الأبرشيات لتأمين الخدمة الكهنوتية بصورة أشمل، وحول تأسيس مدرسة إكليريكية

خاصة بالرسالات يتهيأ فيها المدعوون إلى الخدمة في أيّ مكان يطلبون إليه، وبخاصة في أبرشيات الانتشار حيث الحصاد كثير والفلة قليلون. أما عن الحياة الرهبانية فإننا شكرنا الله على أنه أعطى كنيستنا منذ نشأتها حتى اليوم نعمة تواصلها وتطورها بالأمانة لبعديها التأمليّ والرساليّ. فالرهبانيّات الرجالية والنسائية تواكب بأديارها ومؤسّساتها التربويّة والإجتماعيّة مسيرة الكنيسة في كلّ مكان شاهدة على جذريّة الإنجيل ومقدّمة العون بسخاء في كلّ خدمة رعائيّة تطلب منها لمجد الله وخلص النفوس.

وفي شأن العلمانيّين سجّلت فكرة التلازم بين قيامهم بالدور العائد لهم في الكنيسة وبين احتضانهم من قبل السلطة وتوفير وسائل النجاح لهم وتأمين تنشئتهم الأساسيّة والمستمرّة، على أن يكون للمرأة في الكنيسة حضورها الفاعل فلا تهمل المواهب الروحية والإنسانية المعطاة لها من الله لخير الكنيسة وبنينها.

وكان اهتمام كبير بموضوع العائلة وقضاياها. فهي أساس المجتمع ومدرسة للإيمان وللفضائل، وقد طالب المشاركون برسم خطة رعائيّة شاملة لمواكبتها في مجمل ظروفها، وبالعامل الدؤوب على تعزيزها وحمايتها لتبقى الشاهدة الأولى لقيمة الحياة وقديسيتها منذ اللحظة الأولى لتكوينها حتى نهايتها.

وقد استحوذ الشباب في المجمع على الاهتمام الأكبر، فهم يحيون اليوم في لبنان قلقاً مضمناً على الغد الذي لا تبدو أسباب الاستقرار مضمونة فيه. وقد طُلب أن تزيد الكنيسة من رعايتها لأمر الشباب، روحياً وإنسانياً، وأن تسخر طاقاتها في سبيل مساعدتهم على مواجهة مستلزمات لا يستطيعون مواجهتها لوحدهم، في إكمال دروسهم وتأسيس عائلاتهم والبحث لهم عن عمل لم يعد في متناول أيديهم.

وبحثنا موضوع تجديد الهيكلّيات في كنيستنا، فحصل إجماع كامل في إطاره حول دور الكرسّي البطريركيّ في توحيد الموارد وجمع

شملهم في العالم كلّ. لأنّ البطريرك هو مرجع الكنيسة وهو أبوها ورئيسها. كما أجمعنا على دور الليتورجيا المقدّسة كعنصر توحيد للموارنة في سائر أوطان العالم. فإذا ما صلّى الموارنة صلاة واحدة واحتفلوا برتبة موحّدة للقُدّاس تُنقل إليهم بلغاتهم الحيّة كلّها، فإنهم بذلك يسرون على طريق وحدتهم الحقّة ويحافظون عليها. وكم كان مشجّعاً موقف موارنة الانتشار الذين تمّنوا ألا يكونوا متقبّلين للّيتورجيا المارونية وحسب أو ممارسين لها، بل أيضاً من العالمين على إصلاحها.

ومن الإصلاح الليتورجيّ توجّهت أنظارنا إلى نطاق الرعاية وأعمال الكرازة. وقد سلّطت الأضواء على إعادة تنسيق هذه الأعمال، فلا يقوم بها أشخاص منفردين مهما كانوا قادرين، بل يتحوّل العمل الراعويّ في الكنيسة إلى عمل منظم يعكس حقيقة مجمعيّتها مع التأكيد بأنّ التنظيم الكنسيّ لا ينفى دور الشهود فيها بل يستدعيه، لأنّ الرسول الحقيقيّ على حدّ تعبير بولس هو «من رأى المسيح» وعرفه معرفة حقّة (١ قو/٩-١).

### كنيسة حاضرة

واستعرضنا ملفاً آخر كبيراً هو ملفّ الكنيسة المارونية في عالم اليوم، المتمحور حول خدمتها في إطار السياسة والثقافة والاجتماع والاقتصاد والاعلام وما سواها. وعالم اليوم في هذا الإطار يعني واقعاً وبصورة أولى الوطن اللبناني، ويعني ثانياً دنيا العرب حيث الانتشار القديم للموارنة ومن ثمّ بلدان الانتشار الجديد. وقد أكدنا أنّ رسالة الكنيسة في ميادين السياسة والاجتماع وما سواها تنبع أولاً من حقيقتها الروحية، ويستدلّ عليها من ثوابت عملها عبر التاريخ. فالكنيسة المارونية لم ترد يوماً في المجال السياسيّ أن تكون كنيسة قوميّة، ودعوتها لم تقم في اقتطاع أرض لها دون سواها. بل إنّ الله ألهم أبناءها على الدوام رسالة المشاركة بالمصير مع آخرين في كيان سياسيّ واحد. إلّا أنّ هذا المنحى الروحيّ لا يدعو المؤمنين أبناءها إلى التخلّي عن حقوقهم المشروعة كمواطنين، ولا عن التثبّت بالأرض واحترام قديسيّتها.



تجلّت في عرض مواضيع البحث بحريّة وبساطة وفي تقبّل المناقشات كافّة بإصغاء ومحبة كليّين. وها نحن نُشرككم فيها، لندخل معاً في حالة مجمعيّة «يقودها الروح القدس إلى الحقيقة كلّها» (يو ١٦ / ١٣).

### كنيسة بطريكية إنطاكية سريانية

استحوذ موضوع هويّة الكنيسة المارونيّة وانتمائها على اهتمام جامع من المشاركين. فأبناء كنيستنا التي ارتبط تاريخها بأرض لبنان على مدى أربعة عشر قرناً من الزمن، وترسّخ في العالم العربيّ، قد حملوها مع انتشارهم إلى القارّات الخمس. فكانت الكنيسة الأمّ في الوطن الروحيّ لبنان، وكانت كنائس الانتشار. وتنوّعت اختباراتهم وفقاً لتنوّع الأجواء الثقافيّة والاجتماعيّة الجديدة التي عرفوها، وتعدّدت اللغات التي أدخلوها تبعاً إلى صلواتهم الطقسيّة، فبات لزاماً عليهم في لبنان والعالم أن يسعوا للحفاظ على تراث كنيستهم الإنطاكيّة السريانية وعلى وحدتها وغنى تنوعها، لكي تكون، في قلب الكنيسة الجامعة، معدّة لكلّ عمل صالح (٢ تيم ١٧/٣) وللخدمة في بناء جسد المسيح السريّ (اف ٤ / ١٢).

لقد أكّدتنا هويّة كنيستنا على أنّها كنيسة مشرقية إنطاكية الجذور والانتماء، وأدركنا إداركاً جديداً مضامين دعوة قداسة البابا في الإرشاد الرسوليّ المذكور لاكتشاف هذا التقليد الذي

والأرثوذكسيّة الشرقيّة والإنجيليّة وممثّلون عن الرهبانيّات غير المارونيّة، ومندوبون عن الطوائف السنيّة والشيعيّة والدرزيّة في لبنان. وقد شرفّ المجمع بحضوره لبعض الوقت، وأفداً خصيصاً من القاهرة، صاحب الغبطة والنيافة الكردينال مار اسطفانوس غطاس بطريك الإسكندرية للأقباط الكاثوليك.

### الحوافز

إنّ الحافز الأوّل على إطلاق هذه المبادرة الروحيّة الكبيرة كان في الربيع المتجدّد الذي طلع على الكنيسة الجامعة بفضل المجمع الفاتيكانيّ الثاني، والسينودس من أجل لبنان الذي دعا إليه قداسة الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني واختتمه في بازيليك سيّدة لبنان، حريصاً، بتوقيع الإرشاد الرسوليّ «رجاء جديد للبنان» في العاشر من أيّار ١٩٩٧، وصولاً إلى يوبيل سنة الألفين وبداية الألفيّة الثالثة. والحافز الثاني كان في حاجة الكنيسة المارونيّة إلى أن يلتقي أبناؤها بعضهم بعضاً وأن يصلّوا معاً ويستلهموا الروح القدس من أجل البحث في ما آلت اليه كنيستهم، وفي هويّتها ووحدها ورسالتها بعد التحوّل الكبير الذي عرفته بانتشار أكثرية أبنائها في كلّ قارّة من قارّات الأرض. فجاء المجمع تحقيقاً لانتظارات واسعة وعميقة في قلب الكنيسة، وحصيلة جهود كبيرة ومستمرّة بذلت في سبيل إعداده منذ أكثر من خمس عشرة سنة. وقد سادته روح إجابيّة بناة

البطريكيّ في بكركي، شارك فيه صاحب الغبطة البطريك الإنطاكيّ السريانيّ مار بطرس النامن عبد الأحد، والسادة المطارنة، وحضره صاحباً الغبطة غريغوريوس الثالث لحام بطريك إنطاكية وسائر المشرق للروم الكاثوليك، ونرسييس بدروس التاسع عشر بطريك كيليكية للأرمن الكاثوليك، وممثّل سيادة السفير البابويّ في لبنان والسادة المطارنة ممثّلو الكنائس، والأعضاء المشاركون وجمهور من الكهنة والرهبان والراهبات والمؤمنين. وقد رفعوا الصلاة، بالاتّحاد مع جميع الموارنة في لبنان والعالم، على نيّة هذا المجمع الذي كانوا يتشوقون من زمن لانعقاده.

بدأت الجلسات صباح اليوم التالي بكلمة ترحيب وتوجيه من صاحب الغبطة والنيافة رئيس المجمع، وتليت رسالة من نيافة الكردينال البطريك موسى الأوّل داوود، رئيس مجمع الكنائس الشرقيّة، أعرب فيها عن أمنياته بنجاح الأعمال المجمعية. وكانت كلمة دعاء لسيادة السفير البابويّ المطران لويجي غاتي. كما تليت في مستهلّ الأسبوع الثاني رسالة وجهها فخامة رئيس الجمهورية اللبنانيّة العماد إميل لحود إلى غبطة السيّد البطريك رئيس المجمع والأعضاء المشاركين متمنياً لهم التوفيق في أعمالهم كافّة.

وقبل الدعوة مشكورين إلى حضور المجمع والمشاركة في أعماله سادة أحرار ورؤساء مثّلوا الكنائس الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة

## إحصاءات في المجمع البطريكيّ المارونيّ

١١٧٥٤٢	الصفحات المنسوخة
No. Of Photocopies	117542
٤٣٣	المدخلات التي تليت
No. of Interventions	433
٤٨ ساعة	مدّة المدخلات
Intervention's time	48 hours
٤٥	المؤسّسات الاعلاميّة
Media	45
٦٧	الإعلاميّون
67	Media members
٤٥٦٠	اللقطات الفوتوغرافيّة
Photos	4560
٢٣	أجهزة الكمبيوتر
No. of computers	23
٤٤٣	المشاركون
No. of participants	443
١٢	البلدان المشاركة
No. of countries	12
٨٣ سنة	أكبر مشارك
Oldest Participant	83 Yrs. old
١٩ سنة	أصغر مشارك
Youngest Participant	19 Yrs. old
١٨٨	المكرّسون
Clericals	188
٢٥٥	العلمانيّون
Lay people	255

منهم على كلّ المستويات، نجمع حصيلتها ونستنير بها في صياغة النصوص التي سيتبنّاها المجمع فيما بعد، بصورة نهائيّة. وإنّ هذا الاهتمام الواسع للموارنة في مواكبة المجمع سيكون له دور كبير في إنجاح هذا الحدث التاريخيّ وفي الانعكاسات الإيجابيّة المرتقبة له على حياة الكنيسة المارونيّة ومستقبلها.

### الخاتمة

إنّ هذا المجمع البطريكيّ يقوّي الرجاء المبارك في قلوبنا جميعاً، ويدعو الموارنة الذين اجتمعوا في أرجائه بواسطة ممثّلين عنهم، إلى أن يشكروا الله الأب بنعمة الروح القدس لإنجيل ابنه يسوع على ما خصّهم به من نعم في حياة كنيستهم، فيتجدّدوا بالحقّ وينقّوا ذاكرتهم وينفضوا غبار الموت بقوة القيامة، وأن يسألوه نعمة الأمانة للرسالة التي أوكلها إليهم بأن يكونوا شهوداً لإنجيله الطاهر وخداماً لمحبتّه الشاملة، وأن يواجهوا مستقبلهم ومستقبل أوطانهم بالثقة التي يوحيها إليهم إيمانهم بالعناية الإلهيّة التي تسيّر التاريخ. وهم، إن يسألون من أجل نجاحه شفاعة أمهم العذراء مريم التي رافقتهم مدى الأجيال في اليسر وفي العسر، وشفاعة قديسيهم: مار مارون وما أفرام ومار يوحنا مارون ومار شربل والقديسة رفاقا والطوباويّ نعمّة الله، والشهداء المسابكيين وشهدائهم كافّة، يرفعون صلاة حارّة على نيّة الشرق الذي يجتمعون على أرضه لتنزعه منه الحروب والخصومات، ويحلّ فيه وفي العالم سلام الله وأمانه تحت راية الأخوة المستعادة بين البشر، فيتقدّس اسمه في كلّ مكان ويأتي ملكوته، ملكوت الحقّ والعدل والرحمة والمحبة.

ومرحلة قيامها برسالة مميّزة لدى محيطها الفسيح في أجواء عالميّة باتت تتقبّل تكامل الحضارات أو هي بحاجة إلى تقبلها والإفادة منها.

إنّها فعلاً مرحلة التوفيق بين الوحدة والعالميّة في الكنيسة المارونيّة. فهي كنيسة واحدة بترانها وصلاتها وقديسيها وانتماؤها المشرقّيّ وتمسّكها بلبنان موطنها الروحيّ وتعلّفها بشخص بطريكتها المقيم في بكركي والضامن لوحدها ماضياً وحاضراً ومستقبلاً؛ وهي عالميّة الانتشار وعالميّة الدور والرسالة في التلاقي مع الآخرين أيّاً كانوا وأينما كانوا، لأنّها صارت على طريق ملكوت الله خبيرة في العيش المشترك لشعوب الأرض، كما أنّ كنيسة المسيح الواحدة الجامعة المقدّسة الرسوليّة هي، بحسب تعبير البابا بولس السادس، «خبيرة في الإنسانيّة» في العالم كلّه. إلّا أنّ الضامن لهذه الوحدة في ظروف العولمة والانتشار هي كنيسة لبنان، وبدون هذه الكنيسة تتحوّل المارونيّة في العالم إلى مارونيّات.

### كنيسة تلّزم

وفيما ننهي أعمال الدورة الأولى من هذا المجمع، نتطلّع جميعاً إلى دورته الثانية التي ستنعقد في أواخر تشرين الأوّل من السنة القادمة ٢٠٠٤. وقد أعدت الأمانة العامّة برنامج عمل لإعادة صياغة النصوص التي درست في المرحلة الراهنة، ولإرسالها من جديد إلى الأعضاء المشاركين لإبداء الرأى فيها قبل لقائهم المقبل. ولم يغب أبداً عن بالنا أنّ هذا المجمع هو للموارنة جميعاً أينما كانوا، فنطلب اليهم مواكبته بالصلاة وبالتفكير حول المواضيع المطروحة فيه والتي سيحملها إليهم في كلّ مكان «دليل» يوجزها ويقدم إشكاليّاتها ويكون وسيلة لمشاركة واسعة

لأيّ توسّع وجديد حول المجمع البطريكيّ المارونيّ، يمكن مراجعة موقعه على الانترنت:

<http://www.maronitesynod.org/index800.htm>

والموهبة، التي يجب أن تكون قاعدة لمسلك المسيحي، بل تعطيلها الأولوية، وتسهّل نموّها وتفعّل ممارستها (البابا يوحنا بولس الثاني: Sacrae Disciplinae Canones) «خير النفوس ينبغي أن يكون دائماً في الكنيسة الشريعة السُمياً» (مجلة الحق القانوني ١٧٥٢).

### كنيسة أمّ وكنائس إنتشار

أما الانتشار الماروني فقد تمّ البحث فيه من كلّ جوانبه، وربما لأول مرة، يمثل هذا الوضوح. فإنّ مرحلة تاريخية أولية للعلاقات بين لبنان المقيم ولبنان المغترب قد باتت من الماضي، بحيث أنّ الإغتراب لم يعد ظرفاً موقّناً للذين غادروا بلادهم على أمل العودة السريعة إليها، بل تحوّل إلى حضور جديد لهم في بلدان جديدة وإلى اختبار إنسانيّ جديد لحياة كنيستهم وامتدادها في العالم. على أنّ هذا الواقع لا يبعدنا عن التطلّع إلى عودة اللبنانيين الذين أكرهوا على الرحيل عن وطنهم تحت وطأة الأحداث الأليمة التي عصفت به في الحرب الأخيرة، والذين ما يزالون يرغبون في العودة إليه والانخراط مجدداً في الحياة على أرضه. بل على العكس، فإنّ علينا العمل على تحقيق هذه الرغبة، وعلى إيقاف نزيف الهجرة من لبنان الذي بات يتعرّض بخسارته طاقات كبيرة من شبابه ومن أدمغته، إلى ما يهدّد كيانه ومصيره بالضياع.

وأنّ مرحلة ثانية من مراحل الانتشار قد باتت اليوم هي أيضاً على أبواب منعطف جديد. لقد كانت هذه مرحلة التأقلم مع أهل البلدان التي صار المنتشرون من أبنائها والتزموا مصيرها وأصابوا فيها نجاحات لافتة على كلّ صعيد. وقد ساعدتهم في ذلك توجّهات منفتحة أملاها المجمع الفاتيكاني الثاني على الكنيسة، في الحفاظ على الكنائس الشرقية التي برزت في العالم المسيحي قاطبة قيمة روحية ثمينة ينبغي على الجميع احترامها والإفادة من غناها الروحي الأصيل.

وقد بدأت فعلاً اليوم ملامح مرحلة ثالثة ومستقبلية بالظهور في حياة كنيسة الانتشار. إنّها مرحلة تثبتت وحدتها بالروح وبالتراث.

الشخص البشري، وهي اليوم مدعّوة مع جميع القوى الحيّة فيه إلى التضامن من أجل قيام العدالة والحرية والتطور في ربوعه لتنعّم بها أجياله الجديدة، ومن أجل حلول عادلة لقضايا شعوبه ودوله، وعلى رأسها قضية فلسطين.

أما في العالم الواسع، فلقد قدر أيضاً للموارنة أن يكونوا عنصر تلاق بين الأديان والحضارات. وقد يكون عطاؤهم لنجاح هذا التلاقي من أثنى العطاءات، لأنهم حملوا ويحملون إلى بلدانهم الجديدة خبرة فردية وجماعية في العيش المشترك وحوار الحياة تجعلهم رسلاً للتوافق بين الشعوب. فهم يقدمون بثقافتهم خير دليل للعالم بأنّ صراع الحضارات فيه شرّ مميت، وبأنّ الحوار بينها يضمن وحده المستقبل الواعد للبشرية بأسرها.

### كنيسة تكمل شرعها الخاص

وقبل الانتقال إلى ملفّ الانتشار تطرّقنا إلى ملفّ القضايا القانونية، فأجريت مداخلات طالبت باستكمالها في السنة المقبلة، وعبر المشاركون في إطارها بالإجماع عن ضرورة ارتباط قانونيّ أشمل وأوثق للكنيسة المارونية المنتشرة بالسنة البطريركية في لبنان، وذلك خدمة لوحدها وصوناً لهويتها من الضياع. وبما أنّ المجمع البطريركيّ سيبلور، من خلال نصوصه ومداخلات الأعضاء والتوصيات، هوية الكنيسة المارونية وروحانيّتها وميزاتها ومقتضيات حياتها ورسالتها، فلا بدّ لنا من استكمال الشرع الخاصّ بكنيستنا، لأنّه الوسيلة الفضلى والضامنة، إلى جانب الشرع العام، لحفظ إرثنا وتثمينه في خدمة الكنيسة والمؤمنين والمجتمع. فالتوصيات التي ستصدر عن المجمع تحتاج إلى مقرّرات يصدرها سينودس أساقفة كنيستنا، والمقرّرات تصاغ بدورها موادّ في الشرع الخاصّ، فتحمل صفة الإلزامية والتوجيه لأبناء الكنيسة المارونية ومؤسساتها وهيئاتها حيثما وجدت. وهذا عمل جوهريّ وطويل الأمد. وفي كلّ حال، فالشرائع الكنسية والأنظمة القانونية لا تحلّ محلّ شريعة المحبة التي أوصى بها السيّد المسيح (يو ١٥/١٢) ولا محلّ الإيمان والنعمة

وفي ما خصّ عمل الكنيسة في لبنان، فقد أكدنا من جديد أنّ خيار الموارنة هو خيار العيش المشترك. وأكدنا أيضاً أنّ لبنان لا قيمة له ولا وجود من دون الحرية. فالعيش المشترك والحرية هما شرطان متلازمان لبقاء هذا الوطن على حقيقته. وعلى هذا الأساس توجّهت أنظارنا نحو الواقع الذي يعرفه لبنان في هذه الحقبة من الزمن. فمسيرة إعادة البلاد إلى وضعها الطبيعيّ بطيئة أو متعثّرة. والمشاركة الكاملة في المسؤوليات تنتظر إلى الآن سبيلها إلى التحقيق. والحرية بكلّ أبعادها تنتظر ترجمتها كاملة في المنحى الديمقراطيّ الصحيح. لذلك، فإنّ دعوة الكنيسة موجّهة للجميع ومن أجل الجميع بتبني قيم المشاركة والحرية في لبنان حتى يستعيد هذا الوطن كلّ مقومات سيادته واستقلاله وقراره الحرّ، ويقوم بدوره كرسالة حرية ونموذج تعددية للشرق كما للغرب بحسب قول قداسة الحبر الأعظم فيه (رسالة ٧ أيلول ١٩٨٩، فقرة ٦).

أما القضايا الاجتماعية في لبنان فإنّ الكلام عنها كان صدى لصرخة الناس بفعل زروهم تحت أثقالها. لأنّ المواطنين باتوا يشكون العوز وضيق ذات اليد بنسبة صارت مخيفة. فمشاكل العلم والتطبيب والسكن تتفاقم كلّها تحت وطأة الديون العامة والخاصة، والبطالة تدفع الشباب إلى الهجرة لجمود سوق العمل وقلّة الإستثمارات. ومن المعروف أنّ هذه لا تطرق أبواب لبنان ما لم تجد فيه استقراراً سياسياً ملائماً. إلا أنّ الكنيسة وأبناءها لا يظنون شعلة الرجاء في قلوبهم. والمجمع منكبّ على هذه المواضيع لاستكمال بحثها، والكنيسة واقفة مع الجميع في عبورهم هذه الأزمة الخائفة بالتضامن والمحبة.

وما يصحّ لجهة خدمة الموارنة في لبنان يصحّ أيضاً لجهة خدمتهم في العالم العربيّ الذي يعيشون فيه، وهم جزء منه ومن القيم الإنسانية التي اختزنها له عبر تاريخه. فالكنيسة المارونية كانت رسالة الحداثة بمعناها الإيجابي في هذا المحيط، إذ أسهمت في نهضته الأدبية والفكرية، وشهدت في أرجائه للقيم الديمقراطية ولحقوق

## ١٩- المجمع البطريركيّ المارونيّ، انعقد هذا

المجمع في دورته الأولى من ٢ الى ٢١ حزيران ٢٠٠٣. وقد كانت له مسيرة تحضير طويلة تعود إلى أوائل القرن العشرين، عندما بدأت أصوات كنسيّة وعلمانيّة تطالب بعقد مجمع مارونيّ جديد، ومنها بنوع خاصّ المطران بشاره الشمالي سنة ١٩٢١. ثمّ تلتها الرابطة الكهنوتيّة في الخمسينات والستينات، وحركة كنيسة من أجل عالمنا في السبعينات، وغبطة البطريرك صفير لمّا كان نائباً بطريركيّاً عامّاً، سنة ١٩٨٣.

أمّا مسيرة التحضير المباشر فبدأت سنة ١٩٨٥، عندما عرض الخوري يواكيم مبارك فكرة عقد مجمع مارونيّ جديد على أعضاء الرابطة الكهنوتيّة المجتمعيين في المدرسة الاكليريكيّة البطريركيّة في غزير، والذين رحّبوا بها وعيّنوا لجنة خاصّة تعمل على دراستها وتنفيذها، وبدأ المعنيّون عملهم بإطلاق «مشاورة راعويّة في سبيل مسيرة مجعنيّة مارونيّة» بمباركة غبطة البطريرك أنطونيوس خريش، ثمّ المدبّر الرسوليّ سيادة المطران ابراهيم الحلو وبمعاونة أساتذة جامعيين. وقد رفعوا حصيلة دراسة المشاورة إلى غبطة البطريرك صفير ومجلس مطارنته، الذين قرّروا، في حزيران ١٩٨٧، تشكيل لجنة مجعنيّة برئاسة المطران يوسف الخوري وعضويّة المطارنة جون شديد ويوسف بشاره وبشاره الراعي، يعاونهم في الأمانة العامّة الخوري يواكيم مبارك والخوري منير خيرالله؛ وكلّفوا هذه اللجنة «درس الظروف المواتية وتهئية الأجواء لعقد مجمع مارونيّ عامّ لإعادة النظر في الشؤون الكنسيّة». وفي حزيران ١٩٨٨، قدمت اللجنة المجعنيّة إلى المجمع البطريركيّ حصيلة عملها، وقد جاء في عشرة مجلّدات ومن ١١٥٢ صفحة. أثنى صاحب الغبطة والسادة المطارنة على العمل، وكلّفوا اللجنة البدء بالأعمال التحضيريّة، التي دامت من حزيران ١٩٨٨ حتى حزيران ٢٠٠٢. ولكنّ الاعمال توقّفت بين حزيران ١٩٩١ وأيار ١٩٩٧، لكي «تنصبّ الجهود لنجاح سينودس الأساقفة من أجل لبنان والافادة من نتائجه في وضع النصوص للمجمع المارونيّ المقبل». ثمّ

## المجمع اللبنانيّ - دير سيّدة اللويزة -

زوق مصبح ١٧٣٦

بطاركة	١ مارونيّ
أساقفة موارنة	١٣
أساقفة أرمن كاثوليك	٢
أساقفة أرمن أرثوذكس	٠
أساقفة سريان كاثوليك	٢
أساقفة روم ملكيين	٠
أساقفة سريان أرثوذكس	٠
ممثل الطائفة الانجيليّة	٠
طوائف إسلاميّة	٠
رؤساء عامّون	٢
رئيسات عامّات	٠
كهنة	١٧
رهبان موارنة	١٥
رهبان لاتين	١٠
راهبات	٠
عدد المشاركين	١١٠
علمانيّون	٤٩
المرأة	٠
عدد الأبرشيّات	٠
قدّيسون وطوباويّون	٢
مار مارون	
مار يوحنا مارون	

## المجمع البطريركيّ المارونيّ

دار سيّدة الجبل، فتقا ٢٠٠٣

٥ منهم أرمن كاثوليك، أقباط كاثوليك، روم ملكيّن كاثوليك، سريان كاثوليك
٣٦
١
١
١
١
١
١
١
٣
٤
٩
٢٨
٥٨
١
١٤
٤٤٣
٢٥٥
٦٨
٦٨
٢٨
٨
مارمارون
مار يوحنا مارون
مار شربل
القدّيسة رفقاً
الطوباويّون المسابكيّون (٣)
الطوباويّ نعمّة الله

المنعقد في حزيران ٢٠٠٢. فاتخذ صاحب الغبطة والسادة المطارنة القرار بافتتاح الدورة الأولى من المجمع في حزيران ٢٠٠٣، على أن تتبعتها دورات أخرى.

استكملت اللجنة التحضيريّة، وكانت قد أصبحت برئاسة سيادة المطران يوسف بشاره بعد وفاة رئيسها، معظم النصوص التي كانت ترسلها تباعاً إلى المعنيّين بالمجمع، وقدّمها إلى المجمع



١- مجمع قنوبين، (الكرسيّ البطريركيّ)، ١٥٥٧ برئاسة البطريرك موسى العكّاريّ.

٢- مجمع قنوبين، ١٥٦٩ برئاسة البطريرك ميخائيل الرّزيّ.

٣- مجمع قنوبين، ١٥-١٧ آب ١٥٨٠ برئاسة البطريرك ميخائيل الرّزيّ وحضور الأب إيلانو، موفد البابا غريغوريوس الثالث عشر. وقد كان المحاولة الأولى لاعتماد بعض مقرّرات المجمع التريدينيني بما يخصّ الحياة الكنسيّة والتنظيم الداخليّ وخدمة الاسرار الإلهيّة.

٤- مجمع قنوبين، ١٨-٢٠ أيلول ١٥٩٦، برئاسة البطريرك سرّكيس الرّزيّ وحضور الأب دانديني، موفد البابا اكليمينوس الثامن (Clément VIII). وقد تفحصّ الكتب الدينيّة، وأتمت على صحّة إيمان الموارنة، وتبيّن حياة الاكليروس وحالتهم وتعاليمهم وممارستهم الكهنوتيّة ورعايتهم للمؤمنين، ونظر في كفيّة الإفادة من المدرسة المارونيّة في روما ومن تلاميذها.

٥- مجمع قنوبين، ١٣ تشرين الثاني ١٥٩٦، برئاسة البطريرك يوسف الرّزيّ وحضور الأب دانديني. وكان هدفه تثبيت ما قرّره المجمع السابق.

٦- مجمع ضيعة موسى - إهدن، ١٥٩٨، برئاسة البطريرك يوسف الرّزيّ. ونظر في بعض القوانين الواجب اتّباعها في إقامة الأسرار والاحتفالات الطقسيّة التي لم يُؤتَ على ذكرها في المجمعين السابقين.

٧- مجمع حراش، ٥ كانون الأوّل ١٦٤٤، برئاسة البطريرك يوسف العاقوريّ. وكان هدفه إعادة الكنيسة المارونيّة إلى تقليدها المشرقيّ وعاداتها القديمة في مواجهة التأثير اللاتينيّ المتصاعد.

يمكن أن تعتبر هذه المجامع السبعة بمثابة مسيرة تحضير للمجمع اللبنانيّ.

٨- المجمع اللبنانيّ في دير سيّدة اللويزة - زوق مصبح، ٢٨ أيلول ٢-تشرين الأوّل ١٧٣٦، برئاسة البطريرك يوسف ضرغام الخازن،

وحضور المونسنيور يوسف سمعان السمعانيّ، موفد البابا اكليمينوس الثاني عشر (Clément XII). وقد عمل، في قوانينه، على تطبيق المجمع التريدينيني وإصلاحاته بكلّ جوانبها الدينيّة والتنظيميّة والثقافيّة، في الكنيسة المارونيّة.

٩- مجمع بقعاته، ١٢ أيلول ١٧٤٤، برئاسة البطريرك سمعان عوّاد. وقد سعى هذا المجمع إلى تطبيق مقرّرات المجمع اللبنانيّ في ما يخصّ فصل أديار الرهبان عن أديار الراهبات.

١٠- مجمع مشموشه، ١٠ نيسان ١٧٤٧، برئاسة البطريرك سمعان عوّاد وحضور القاصد الرسوليّ الأب ديسيداريوس الفرنسيّسكانيّ. وسعى إلى تطبيق مقرّرات المجمع اللبنانيّ في ما يخصّ رسامة المطارنة ومراكز إقامتهم في أبرشياتهم وانتخاب وكيل السيّد البطريرك.

١١- مجمع قنوبين، ٢٨-٣٠ تشرين الثاني ١٧٥٥، برئاسة البطريرك سمعان عوّاد. وسعى إلى تطبيق مقرّرات المجمع اللبنانيّ في ما يخصّ تقسيم الأبرشيات ورسامة المطارنة وفصل أديار الرهبان عن أديار الراهبات.

١٢- مجمع بقعاته، ٢٥-١٣ آب ١٧٥٦، برئاسة البطريرك طويّبا الخازن. ودعا المطارنة إلى التقيّد بقوانين المجمع اللبنانيّ في أبرشياتهم، وبخاصّة في ما يتعلّق باحترام تقسيم الأبرشيات وحدودها وتنظيم الخدمة الراعيّة.

١٣- مجمع غوسطا، ١٦-٣٠ أيلول ١٧٦٨، برئاسة البطريرك يوسف اسطفان. وبحث في قضية الرهبان، وأرغمهم على الخضوع المطلق للبطريرك والمطارنة، ومنعهم من ممارسة خدمة الرعايا تطبيقاً لمقرّرات المجمع اللبنانيّ، وأكّد على واجب كلّ مارونيّ في قبول المجمع اللبنانيّ.

١٤- مجمع ميفوق، ٢٠-٢٨ تموز ١٧٨٠، برئاسة النائب البطريركيّ المطران ميخائيل الخازن، وحضور القاصد الرسوليّ الأب بطرس دي موريتّا، إبان تنحية البطريرك يوسف اسطفان، على أثر قضية الراهبة هنديّة. وذكّر هذا المجمع بتقسيم الأبرشيات وتحديداتها، والمقرّر في المجمع اللبنانيّ، وأمر بتنفيذه. وقبّل

بقرار البابا بيّوس السادس الداعي إلى تنحية البطريرك اسطفان، وطلب من مجمع نشر الايمان أن يطبع ترجمة عربيّة لمقرّرات المجمع اللبنانيّ.

١٥- مجمع عين شقيق في وطا الجوز، ٦-١١ أيلول ١٧٨٦، برئاسة البطريرك يوسف اسطفان. قبّل هذا المجمع بقرار البابا بيّوس السادس الداعي إلى إعادة البطريرك اسطفان إلى منصبه، وذكّر بتقسيم الأبرشيات وتحديداتها، ولكنّه أجبر المطارنة على السكن بقرب البطريرك، لاغيّاً بذلك قانون سكن المطارنة في أبرشياتهم.

١٦- مجمع بكركي الأوّل، ١٣-٦١ كانون الأوّل ١٧٩٠، برئاسة القاصد الرسوليّ المطران جرمانوس آدم والبطريرك يوسف اسطفان. وقد أكّد على تقسيم الأبرشيات وتحديداتها، وعلى حقّ البطريرك والمطارنة وحدهم في انتخاب مطارنة جدد، وعلى وجوب سكن المطارنة في أبرشياتهم، وعلى فصل أديار الرهبان عن أديار الراهبات.

١٧- مجمع دير سيّدة اللويزة في زوق مصبح، ١٣-٥١ نيسان ١٨١٨، برئاسة البطريرك يوحنا الحلو، وحضور القاصد الرسوليّ يوسف لويس غندولفي. وقد بحث في قضيتي مراكز إقامة المطارنة ووجوب سكنهم في أبرشياتهم، وفي قضية فصل أديار الرهبان عن أديار الراهبات.

١٨- مجمع بكركي الثاني أو المجمع البلديّ، ١١-٣١ نيسان ١٨٥٦، برئاسة البطريرك بولس مسعد، وحضور القاصد الرسوليّ المطران بولس برونوني. وقد أتت قوانين هذا المجمع مطابقة تماماً لقوانين المجمع اللبنانيّ «إلا في بعض الأمور التي اقتضى تبديلها أو تلطيّفها»، بهدف الاسراع في تطبيقها من قبل الشعب. ولكنّ حوادث ١٨٦٠ وما تبعها أسدلت ستار النسيان على المجمع ومقرّراته.

يمكن أن تعتبر هذه المجامع العشرة، التي عقدت بعد المجمع اللبنانيّ، بمثابة مسيرة تطبيق لمقرّراته.

القانون، تبرز حياته حقوق الإنسان، أي احترام كل شخص وكل جماعة. لأن الإنسان الذي يحيا في آن معاً، في دائرة القيم المادية والقيم الروحية، يفوق كل نظام اجتماعي وهو القيمة الأساسية. (١١٤)

■ يجب على السلطة الشرعية داخل الأمة أن تسهر على تمكين كل الجماعات والأفراد، من التمتع بالحقوق نفسها والخضوع للواجبات عينها، وفقاً لمبادئ الإنصاف في المساواة والعدالة... يُدعى المسؤولون عن الحياة العامة إلى الانتباه بالأخص لمن هم مهتدون دائماً بالتهميش في المجتمع، فيعملون على تحسين أوضاع حياتهم وعملهم. (١١٥)

■ أحتّ السلطات وجميع المواطنين اللبنانيين على أن يعملوا بكل قواهم لكي تحترم حقوق الإنسان كل الاحترام... وأن تحترم خاصة في توزيع العدالة، وفي الضمانات التي تحقق شرعاً للمتهمين أو المسجونين. (١١٦)

■ تستحقّ النساء عناية خاصة تكفل لهنّ مراعاة حقوقهنّ في مختلف قطاعات الحياة الاجتماعية والوطنية. (٥٠)

■ في ضمير الشعب اللبناني، وداخل الكنيسة في لبنان، يجب أن يشغل الشباب محلاً مرموقاً... فالجماعات المسيحية مدعوة إلى أن تفسح لهم مجالات أوسع للاندماج في كل نشاطاتها... وهم كذلك مدعوون ليكونوا مشاركين مشاركة عادلة في بناء المجتمع... (٥١)

■ يجب ألا يستثنى أحد من شبكات العلاقات الاقتصادية الاجتماعية. الفقراء والأشخاص والمهشون والمعوقون عقلياً وجسدياً، يجب أن يتمتعوا باهتمام أقوى وتضامن مطرد.

**المنظور الرابع:** الإرشاد الرسولي هو دعوة الكنائس المحلية، وبخاصة الكاثوليكية منها، لتأمين بلوغ جميع أبنائها حقوقهم الاجتماعية- الاقتصادية المشروعة (تربية، صحة، سكن، عمل...،) ولتمكين الضعفاء منهم من فقراء ومهشمين ومنبوذين من أجل توفير مزيد من الفرص لهم في كافة المجالات الاجتماعية- الاقتصادية التي تتمحور عبرها مظاهر تفاوتاتهم.

وفي مثال على ما ورد في الإرشاد الرسولي في هذا المجال، نذكر ما يأتي:

■ إن عواقب الحرب تنوء بثقلها على المجتمع اللبناني، وتولد أزمة اجتماعية اقتصادية تتناول الأفراد والأسر، وتؤثر في قضايا السكن والصحة والتربية والعمل. أود أن أحيي الالتزام الذي لا يكل للعديد من العلمانيين والمؤسسات الدينية في الخدمات التربوية وفي الخدمات الطبية والاجتماعية وفي مساعدة الأكثر فقراً (١٠٢)

■ أطلب أيضاً من المؤسسات التعليمية أن تعاود النظر، قدر الإمكان، في قضية الأقساط المدرسية، لئلا ترهق العائلات المعذمة. (١٠٧)

**المنظور الخامس:** الإرشاد الرسولي هو دعوة لتطوير رسالة الكنيسة وتمتينها في مجالات توفير بلوغية الحقوق الاجتماعية- الاقتصادية لكل اللبنانيين على المستوى الوطني، عبر تفعيل تعاون الكنائس في ما بينها ومع القطاع الأهلي الذي يجمع بين المواطنين المسيحيين وغير المسيحيين على حد سواء.

■ في مجتمع أصبحت الأمور فيه تزداد تعقيداً، بالأخص في لبنان وفي مجمل الشرق الأوسط، ينبغي تنشئة رجالات ذوي مستوى رفيع من الأهلية يتمتعون بالكفاءة، لإدخال وطنهم في جميع مسالك الحياة الدولية، لأننا نشهد في الوقت الحاضر عولمة متزايدة لجميع الظواهر الاجتماعية (١٠٣)

**المنظور الثاني:** الإرشاد الرسولي هو تذكير بالحقوق الاجتماعية- الاقتصادية التي دعت إليها الكنيسة في مجامعها وتعاليمها المتتالية، وبخاصة منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى اليوم، والتي تناولت بشكل خاص مسائل العمالة والأجور والصحة والتربية وحقّ الراحة وحقوق الشعوب في تداولها، وواجب الشعوب الكبرى في مساندة الشعوب الصغرى. ومن أهم هذه المجامع والتعاليم، نركز على ما يأتي:

■ Rerum Novarum 1895

■ (تذكير الأربعين سنة بـ

Inadrajiesius amo, (Rerum Norvarum

■ (تذكير المئة سنة بـ

Centesimo amo, (Rerum Novarum

■ Mater et Majistre 1960

■ Populorum Progressio 1970

**المنظور الثالث:** الإرشاد الرسولي هو تأكيد على الحقوق الاجتماعية الاقتصادية التي أطلقتها الشرعات الدولية لحقوق الإنسان، والتي ناقشتها وساهمت في توضيحها المؤتمرات العالمية للأمم المتحدة، وبخاصة خلال العقود الثلاثة الأخيرة. وقد تمّ التركيز في هذه المناقشات على حقوق المرأة والأطفال والشباب والمعوقين والأقليات الخ...

ومن أهم ما ورد في الإرشاد الرسولي في صلب هذا المنظور نذكر ما يأتي:

■ من بين العناصر الأساسية لقيام دولة

# الحقوق الاجتماعية - الاقتصادية في الإرشاد الرسولي... وبعد في المجمع البطريركيّ المارونيّ؟!

أطرح تحت هذا العنوان ثلاثة أسئلة ، هي:

**الأول:** ما هي المنظورات الحقوقية التي ينطوي عليها الإرشاد الرسوليّ، والتي تضمّنتها، بشكل خاصّ، الأفكار والمبادئ والاقتراحات المطروحة لمعالجة القضايا الاجتماعية الاقتصادية الحاضرة في لبنان؟

**الثاني:** أين نحن اليوم من التوجّهات المطروحة في الإرشاد الرسوليّ؟

**الثالث:** ما هي التغييرات والمراجعات التي يفترض القيام بها من أجل التمكن من تحقيق طموحات الإرشاد الرسوليّ في مجالات تطوير الحقوق الاجتماعية - الاقتصادية بشكل عام، وفي لبنان بشكل خاص؟



عبدو القاسبي

## I- المنظورات الحقوقية في الإرشاد الرسوليّ: قراءة تطبيقية

لقد سمحت لي قراءتي للإرشاد الرسوليّ، بالاستناد إلى الإشكالية المطروحة أعلاه، باكتشاف خمسة منظورات، يمكن أن تتمحور حولها تطبيقات حقوقية مفيدة في المستقبل.

**المنظور الأول:** الإرشاد الرسوليّ هو تنبيه صريح وواضح حول أهمية المخاطر الناجمة عن تفاقم التعاون الاجتماعي والاقتصاديّ وعن ارتفاع نسب المهمّشين والمنبوذيين في لبنان والعالم، نتيجة للتحوّلات التكنولوجية والمالية والسياسية والاقتصادية التي تعولم المجتمعات وتعزلها في آن.

لقد أتى في الإرشاد الرسوليّ في هذا المجال ما يأتي:

- لا بدّ للكنيسة من أن تكون حاضرة حضوراً مرثياً، خصوصاً إلى جانب المحتاجين...، ومن المرغوب فيه أن تدعم المؤسسات وجودها في المناطق المنكوبة والناثية... (٥٥)
- إنّ المساعدة التي يمكن أن تقدّمها الكنيسة في الحياة الاجتماعية لأوسع بكثير من النقاط التي أشرنا إليها (سكن، صحّة، تربية، عمل، تهميش، إعاقة...) يجب أن تدرس القضايا المعقّدة... في الحقل الاجتماعي والاقتصاديّ، وأن تكون موضوع أعمال تداول فيها البطريركيّات... (١٠٣)



د. إدوار صيَّاح

## وماذا بعد العراق؟

فالمرحلة التي تمرّ بها منطقة الشرق الأوسط، هي رمادية بامتياز. فلا أحد يعرف إذا كان هناك عملية عسكرية أميركية أخرى ستحدث، وفي أيّ مكان ومتى. فمن قائل إنّ التغيير سيكون كبيراً وشاملاً ولن ينجو منه أحد، إلى آخر يعتقد بأنّ العاصفة ستكون محصورة ولن تتخطى مناطق معينة وفي مدّة زمنية قصيرة. وهناك من يعتقد بأنّها لن تتخطى نطاق الضغط السياسيّ القويّ الذي ستمارسه الولايات المتحدة الأميركية، بغية تحقيق تنازلات سياسية تسهّل مهمة الإدارة الأميركية في تحقيق السلام الشامل وحلّ النزاع العربيّ- الإسرائيليّ في الشرق الأوسط.

والتغيير إنّ حصل، فإنّه سيكون على محورين أساسيين: أولهما داخل العراق لإعادة ترتيب البيت العراقيّ بعد سقوط نظام صدام حسين، وثانيهما دول الشرق الأوسط جميعاً بما فيها إيران وتركيا. فكون المنطقة بمجملها وحدة جغرافية متكاملة ومتجانسة جغرافياً واجتماعياً ودينيّاً وعرقياً، فلا بدّ أن تتأثر جميعها بكلّ ما يجري داخل أحدها. ولا شكّ في أنّ الحرب على العراق قلبت الكثير من المعادلات السياسيّة، وغيّرت الكثير من المفاهيم الاجتماعيّة وبدلت العديد من المعطيات الواقعيّة. فاجتمع من لم يكن في الإمكان جمعهم في الظروف العاديّة، وتباعد من كان يوحد بينهم تحالف أو لقاء.

فعلی صعيد العراق، يبدو أنّ الوضع لا يزال ضبابياً للغاية، وجميع الأبواب مفتوحة ولا أحد يعلم كيف سيكون شكل العراق ما بعد نظام صدام حسين. فالمجتمع العراقيّ تعدديّ يضمّ مجموعة من الأعراق كالعرب والأكراد والتركمان والأشوريين والكلدان، كان يجمعهم بعضهم مع بعض نظام حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ الواحد وعلى رأسه رجل قويّ يمسك بالبلاد من أطرافها الأربعة ممتطياً جواد أبو العباس السفّاح وحاملاً سيف الحجاج بن يوسف الثقفيّ.

إنّ الفسيفساء العراقيّة تشبه إلى حدّ بعيد، تلك الموجودة في لبنان. فالأكراد في الشمال قد يطمحون إلى تأسيس دولة لهم، أو على الأقلّ إلى من فريد من الحكم الذاتيّ. والشيعية في الجنوب والذين يشكّلون سنّين في المئة من الشعب العراقيّ، بدأوا يظهرن بقوة على المسرح السياسيّ وينادي زعماءهم علانية بإنشاء نظام الجمهوريّة الإسلاميّة على غرار الجمهوريّة

في مقال «العراق بين الأفغنة والبلقنة» والذي نُشر في مجلّة **NDU Spirit** العدد ٢٥ الصادر في شهر تمّوز ٢٠٠٢، أي قبل الهجوم الأميركيّ على العراق بعشرة أشهر، اعتبرنا بأنّ الحرب الأميركيّة على العراق كانت محسومة وهي لا بدّ واقعة والمسألة كانت فقط مسألة وقت لا أكثر ولا أقلّ. ودارت الأيام ومرّت ما بين كرّ وفرّ، وإنّ الحرب التي اعتبرناها يومها القدر المحتوم الذي لا مفرّ منه، تصبح واقعاً ملموساً، بحيث بات السؤال المطروح اليوم في جميع الأوساط المحليّة والإقليميّة والدوليّة: وماذا بعد العراق؟!

سؤال يثير في حدّ ذاته التساؤل والحيرة؛ والجزم أو التكهّن فيه يعتبر نوعاً من التنجيم. فلنتحاش التنجيم عملاً بالقول الكريم «كذب المنجمون ولو صدقوا». ومع أنّ المؤشّرات على اختلافها تشير كلّها إلى أنّ هناك شيئاً ما سيحصل وقد لا يكون ذلك بعيداً زمنياً، إلّا أنّ إرادة الله سبحانه وتعالى تبقى هي الكلمة الفصل بالنسبة لما ينتظر لبنان والمنطقة برمتها من أحداث قد تحدّد مصيرنا جميعاً لسنوات طويلة قادمة.

■ معالجة أزمة المعرفة للانتقال من عقدة اكتنازها وأدلجتها إلى بناء مسار الحوار المتواصل معها، في مشوار بحثي دائم يمكن من تحقيق تراكمها في الذات وفي التواصل مع اكتشافاتها المتنوعة والمتتالية عبر الذاكرة التكنولوجية التي تسمح ببناء الإنسان العالمي في كل مكان.

■ معالجة أزمة التنمية عبر مواجهة أسباب الإفقار الإنساني والبيئي الشامل. ويفترض في هذه المعالجة العمل على إعادة بناء الصلة الاجتماعية المدنية بين الإنسان والمجتمع والبيئة، على أساس مواطني، من أجل تحسين نوعية الحياة وتطويرها. ويتم التركيز في سبيل ذلك على توفير أطر المشاركة السياسية للجميع، والتواضع في الاستهلاك، والحد من استغلال الموارد، وتوسيع التوزيع الاجتماعي، وتمكين قدرات التحول لدى الشباب ليتمكنوا من التحاور مع العالم.

■ معالجة الأزمات الثقافية عبر توسيع أطر الحوار والتفاعل وتمتينها بين الثقافات والأديان.

ومن أهم ما تمّ التركيز عليه في الإرشاد الرسوليّ في ما يعود إلى تطوير بلوغية الحقوق الاجتماعية الاقتصادية، نورد النقاط الثلاث الآتية:

- إنّ خيرات الكنيسة هي وسائل للرسالة والعمل الاجتماعيّ والخدمات التي على المسيحيين أن يؤدّوها، متطلّعين إلى التطوّر والعدالة (١٠٤)... أطلب إلى الجماعات الكاثوليكية الشرقية أن تهتمّ على الدوام بتأمين إدارة عقلانية وشفافة لخيراتنا... على يد أشخاص من أهل الكفاية للقيام بخدمة كنسية واجتماعية.
- من الضروريّ وضع تخطيط شامل للاحتياجات وللإستخدام الصحيح للأوقاف. (١٠٥)
- أدعو جميع اللبنانيين إلى متابعة أعمال فعلية في التضامن والتقاسم وتنشيطها.

## II- أين نحن اليوم من التوجّهات المطروحة في الإرشاد الرسوليّ

### من نظرة سريعة إلى واقع الحال في لبنان اليوم، نلاحظ بروز التوجّهات الآتية:

■ كثير من التفاوت الاجتماعيّ-الاقتصاديّ وقليل من التعاضد المجتمعيّ. الاقتصاد ينكمش على الأقوياء، والعمل الاجتماعيّ يزداد ضيقاً فينحصر بالخدمات الضيقة في إطار التكوين الطائفيّ السائد. حتّى المساعدات التنموية (سكن، تربية، عمل)، لم تتمكّن هي أيضاً من الخروج من الأطر الرعائية الخاصة بكلّ طائفة من جهة، ولم تستطع من جهة أخرى أن تخرج من أطر العلاقة التبعية العاطفية والميكانيكية المركنتيلية التي تربط المساعِد بالمساعِد بهدف أن تطول البعد التنمويّ عبر متابعة إعدادية وتمكينية متوازنة ومرتبطة ببناء شبكات اجتماعية مجتمعية.

■ كثير من القوانين الضامنة للحقوق وكثير من التحوّلات الاجتماعية-الاقتصادية من جهة، وقليل من الآليات الفاعلة لبلوغ الحقوق من جهة أخرى، إن في مجالات التربية أو الصحة أو العمل (وبخاصّة عمل الشباب) أو عمالة الأطفال أو تطوير الوظائف الاجتماعية في مؤسّسات العمل (مؤتمر البطارية والأساقفة لسنة ٢٠٠٠، المطالبة ببطاقة تعليمية...)

■ كثير من اكتناز الخيرات، وقليل من التوزيع الاجتماعيّ المجتمعيّ (مطالعة بكركي للرئيس الحريري).

■ كثير من الانتماء المذهبيّ، وقليل من الإيمان المنفتح على إنسانية الإنسان والمندفع في مجالات تذليل مصاعب المعذّبين والمهمّشين والمنبوذيين والمهدّدين في كرامتهم، متخطياً عقائدهم وانتماءاتهم وتعابيرهم الثقافية.

## III- الإرشاد الرسوليّ وطموحات تطوير إنسانية المجتمع اللبنانيّ

### يمكن التركيز على الطموحات الآتية من أجل إعادة تصويب الحقوق الاجتماعية من ضمن أعمال المجمع البطريركيّ المارونيّ لسنة ٢٠٠٣:

■ معالجة أزمة الرأسمال الذي يتكوّن اليوم أكثر فأكثر في حلقة تدور على ذاتها، فيزداد الغنى على الأرض وترتفع نسبة الفقراء ويعمّ الفقر البيئيّ جميع أنحاء المسكونة. (عقدة النموّ والغنى والتزايد والفقر الشامل الناتج عنها).



القرار السياسي في كل بلد عربي على حدة.

لقد أنهى الاحتلال الأميركي للعراق حقبة كاملة مما سمّيناه النظام الاستقلالي في العالم العربي، ولو أنه كان دائماً تحت النفوذ الأجنبي بشكل أو بآخر. وهذا السقوط لبغداد هو استكمال لأحداث خطيرة أظهرت إفلاس النظام العربي في شكله الوطني والإقليمي معاً، وعجزه عن تلبية حاجات الشعوب العربية والرد على التحديات الجديدة. هذا يعني أننا نعيش اليوم حالة تفكك وانحلال لجميع الأطر والمؤسسات الاجتماعية في منطقة الشرق الأوسط، والقواعد التي حكمت العلاقات داخل البلدان نفسها وفي ما بينها، ما يعني أنّ التحديات تلخّص في الإجابة عن السؤال الآتي: كيف نعيد بناء النظام العربي من حيث هو نموذج للحكم والإدارة والإنتاج داخل كل دولة عربية، ومن حيث هو منظومة تعاون وتكثّل وتضامن بين المجتمعات العربية نفسها. ولا أعتقد أننا نستطيع أن نتجاوز وضع الانحلال وما سينجم عنه من تفتت للقوى وتنازع وصراعات وفوضى، ما لم ننجح كمجتمعات في إعادة بناء رؤية موضوعية جديدة وخلافة لهذا النظام العربي الذي نتحدّث عنه في جانبه المجتمعي والإقليمي.

لقد كانت فلسطين دائماً، الجرح النازف في خاصرة العالم العربي. إنّ استمرار دوامة العنف الدموي في الأراضي الفلسطينية، وتصاعد وتيرة الاصطدامات اليومية، إضافة إلى العمليات الإرهابية التي تعرّض لها لبنان والمغرب والسعودية، كلّها إشارات لا تشجّع على الإطلاق، لا بل تنذر بهبوب عواصف عاتية قد تؤدّي إما إلى التغيير القسري أو إلى الدخول في عالم مجهول.

إنّ الوضع في لبنان دقيق، نظراً إلى

المعطيات في المنطقة بفعل الحرب الأميركية على العراق. واللبنانيون يعلمون بأنّ هناك ضغوطاً تمارس على سوريا وإيران، ما يجعل لبنان غير بعيد كلياً عن تفاعلات هذه الأزمة. فالتهديدات الأميركية لسوريا، سلّطت

## «حذار حذار»

## التغيير من الداخل

## وإلا

## التغيير من الخارج

الأضواء على الأخطار الجيوسياسية التي ربّما ستصيب لبنان بشظاياها، تماماً كما ستصيب سوريا. ولذا، فإنّ على جميع اللبنانيين من مواطنين ومسؤولين، الارتقاء إلى مستوى الأحداث الجسام التي تتجازها المنطقة ولبنان، والتصرف بمنتهى الحذر والحيلة والتضحية بكلّ المصالح الفردية على مذبح المصلحة الوطنية العليا. فالمسؤولون هم في مقدّمة المعنّيين بالتغييرات الإقليمية، وعليهم تقع مسؤولية تحصين الجبهة الداخلية في لبنان عن طريق تأليف حكومة وفاق وطني جديدة تكون على مستوى التعامل مع كلّ ما يمكن أن يواجهه لبنان من مخاطر جسيمة في هذه المرحلة المليئة بالمفاجآت.

إذاً، وطننا الحبيب لبنان لا بدّ متأثر بكلّ ما جرى في العراق وما يجري في فلسطين، ولا

أحد يعرف كيف سيتأثر وإلى أيّ مدى سيتأثر. فعلى المسؤولين استغلال المناخ الإيجابي الذي شاع في البلد، نتيجة المواقف الإيجابية لغبطة السيّد البطريك مار نصرالله بطرس صفير، والعمل على تشكيل حكومة وحدة وطنية لا تتجاهل أيّاً من المرجعيّات الوطنية، وتكون قادرة على التصدي لأيّ عاصفة يمكن أن تهبّ على لبنان.

ففشل الفلسطينيين والإسرائيليين في التفاهم على خريطة الطريق، كحلّ سياسي للقضية الفلسطينية، يعيد إلى الواجهة المخاوف المتجدّدة من أن يكون الحلّ عسكرياً. وهنا يطلّ بوجهه من جديد، ما سُمّي بعملية الترانسفير. ومع أنّ الدلائل تشير إلى أنّ العراق، لا لبنان، قد يكون المكان الذي سيتمّ إليه ترحيل الفلسطينيين، إلّا أنّ لا شيء يمنع من استمرار مخاوف اللبنانيين من عملية التوطين التي رفضها اتفاق الطائف نفسه.

إنّ استمرار فقدان لبنان للوفاق الوطني الصحيح والوحدة الوطنية الحقيقية التي وحدها تحصّن البلد وتدرأ عنه الأخطار المحدقة به، وعلى رأسها قضية التوطين وفقدان الهوية والحرية والسيادة والاستقلال إذا ما عصفت رياح التغيير الهوجاء الآتية من العراق، كلّها مواضيع تقلق اللبنانيين وتجعلهم في غاية الخوف على النفس والولد والوطن. فقبل فوات الأوان وساعة لا يعود ينفع الندم في شيء، علينا جميعاً أن نتكاتف ونتضامن ونرصد الصفوف للذود عن المصير الواحد المشترك.

حذار حذار من الغضب الساطع الآتي، ونحن من دون إيمان لا بأنفسنا ولا بلبنان. فلنبادر إلى التغيير الذاتي، قبل أن يُفرض علينا التغيير الخارجي.

الإسلامية في إيران. وهنا يكمن الخوف من اندلاع فتنة داخلية سنيّة- شيعيّة، الأمر الذي قد يؤدي إلى تفتيت وحدة التراب الوطني العراقيّ وإلى أن ينسحب ذلك على مجمل منطقة الشرق الأوسط، وخاصة تلك الدول المجاورة للعراق.

ولقد أعلنت الولايات المتحدة الأميركية صراحة بأنها لن تقبل بأيّ نفوذ إيرانيّ أو تركيّ في عراق ما بعد صدام حسين. فالإدارة الأميركية لن توافق على إقامة دولة كردية في العراق، لأنّ ذلك مرفوض من تركيا التي يجمعها وأميركا حلف الناتو. كما أنّ الإدارة الأميركية لن تسمح، تحت أيّ ظرف، في قيام نظام جمهوريّة إسلاميّة شيعيّة مماثلة لتلك الموجودة في إيران. ومن المرجّح أن تقوم الولايات المتحدة الأميركية بإنشاء نظام سياسيّ في العراق الجديد، هدفه المحافظة على التعدديّة ضمن الوحدة، عن طريق تبني النظام الفيدراليّ الذي يجمع الشمال الكرديّ والجنوب الشيعيّ والوسط السنيّ.

أمّا على صعيد دول الشرق الأوسط على وجه العموم، فإنّ كلّ شيء متوقّع وغير مستبعد حدوثه. فمنطقة الشرق الأوسط تمرّ في أدقّ ظروفها في تاريخنا الحديث. إنّ ما حدث في العراق يعتبر عن حقّ بمثابة زلزال كبير، قد تصيب شظاياه غير مكان في شرقنا هذا. الكلّ يتساءل اليوم ماذا بعد العراق؟ من التالي!

لا شكّ في أنّ ما حدث في العراق سيترك آثاره وبصماته على منطقة الشرق الأوسط، على المدى البعيد. فباحثالولايات المتحدة للعراق، نشأ واقع جديد على جميع الأصعدة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة لم يكن متوافراً من قبل. فهي الأعمال الإرهابية

تضرب يميناً وشمالاً من هنا ومن هناك، موقعة المزيد من الخسائر البشريّة والماديّة، ومحوّلة الشرق الأوسط كلّّه إلى ساحة معركة مكشوفة.

إنّ مسلسل التفجيرات الأمنيّة في كلّ من لبنان والسعوديّة والمغرب، يثير الكثير من المخاوف الجديّة من أنّ الأمور ربّما تكون متّجهة نحو مزيد من التصعيد الأمنيّ الذي لن ينجو منه أحد لأنّ شرارته ستطول الجميع. فسقوط العراق في أيدي القوّات الأميركيّة من جهة، واستمرار الانتفاضة المسلّحة في الأراضي الفلسطينيّة من جهة

## «كلّها داويت جرحاً سال جرح»

أخرى، قد تودّي إلى تشديد قبضة الحركات الأصوليّة وتشجّعها على القيام بالمزيد من العمال الانتقائيّة ضدّ المصالح الغربيّة في الشرق الأوسط، فتضعه على فوهة بركان يودّي انفجاره، إذا حصل، إلى دخول شعوب المنطقة، من دون استثناء، في نفق طويل لا يعرف إلّا الله سبحانه تعالى كيف تخرج منه أو متى!

فكلّ نظام سياسيّ في شرقنا العربيّ قد يكون معرّضاً للتغيير السياسيّ الذي تريده الولايات المتحدة وترغب فيه، بصرف النظر عمّا إذا كان القيّمون على الأمور داخل المجتمعات العربيّة موافقين على ذلك أم لا.

إنّ الإدارة الأميركيّة تريد إعادة صياغة الشرق الأوسط على الأسلوب الأميركيّ، بحيث تقوم بإنشاء أنظمة ذات صبغة ديمقراطيّة أميركيّة. بمعنى أوضح: إنّ الولايات المتحدة تسعى إلى أمركة أنظمة الدول العربيّة، وتحويل منطقة الشرق الأوسط بكاملها إلى بحيرة أميركيّة.

إلّا أنّ الانتقال إلى الديمقراطية في العالم العربيّ، كما تريدها الإدارة الأميركيّة، سيواجه عراقيل نتيجة لزيادة الإرهاب والصراع لعقود مقبلة. ولن ينتهي الإرهاب مع انتهاء الولايات المتحدة من تغيير الأنظمة السياسيّة القائمة وتنصيب أنظمة سياسيّة بديلة ديمقراطيّة على النمط الأميركيّ، بل على العكس قد يصير الإرهابيون الأفراد خلال أقلّ من عشر سنين سلاحاً للدمار الشامل، بحيث تصير عمليّة التعافي أكثر صعوبة نتيجة لاستمرار الاغتيالات بأسلوب زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن والأعمال الحربيّة؛ وإنّ الحرب نفسها على العراق ستنتج تطرّفًا لم تعهده منطقة الشرق الأوسط من قبل. وبصريح العبارة، فإنّ الحرب على العراق قد تكون من وجهة النظر الأميركيّة داوت جرحاً، إلّا أنّها قد تودّي إلى فتح جروح كثيرة على غرار القول: «كلّمنا داويت جرحاً سال جرح».

وقد تكون الفيدرالية هي النظام السياسيّ الأرجح، الذي ربّما تسعى الولايات المتحدة الأميركيّة إلى فرضه على دول المنطقة في المستقبل. فهناك من يعتقد، داخل الإدارة الأميركيّة، بأنّه، من خلال النظام الفيدراليّ على النسق الأميركيّ، تستطيع الأقليات العرقية والدينيّة في المجتمعات العربيّة التعبير عن نفسها أكثر بعيداً كلّ البعد عن القهر والإذلال، وأن يتحقّق بذلك أكبر قدر ممكن من المشاركة الشعبيّة في عمليّة صنع

# مفهوم الأمم المتحدة للسلام\*



د. جورج أبو جوده  
سفير الأمم المتحدة سابقاً  
نائب رئيس مجلس أمناء جامعة سيّدة اللويزة

عليه المسؤولية الأولى للمحافظة على السلم والأمن الدوليين، وهو يقوم بهذه المهمة نيابةً عن جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة.

والناحية الثانية التي يجب نكرها هي أنّ الأمم المتحدة تُعتمد كمنبر للدبلوماسية الدولية في السعي لحلّ النزاعات التي يمكن أن تهدّد السلام. فالدبلوماسية، كما نعلم، هي أقدم وسيلة والأكثر طبيعةً لفضّ النزاعات الدولية.

أمّا الناحية الثالثة، والأهمّ بنظري من حيث مفهوم الأمم المتحدة للسلام، فهي الإيمان الثابت بأنّ بناء السلم وتركيزه يعتمدان على مدى توعية الشعوب لمصيرها المشترك على هذه الكرة الأرضية وتنميتها اقتصادياً واجتماعياً. وهكذا نرى أنّ الأمم المتحدة، وعبر برنامجها الإنمائي الذي كان لي شرف تمثيله في عدد البلدان النامية، والذي هو أكبر مصدر للمساعدات والتعاون الفني في العالم بالاشتراك مع منظماتها المتخصصة- تسعى إلى رفع مستوى الشعوب الاقتصادي والاجتماعي وتركّز على التنمية البشرية.

التنمية في معناها الواسع هي الطريق إلى المحافظة على السلام وتقويته. فمن طريقها يمكن تحقيق الإمكانيات البشرية، ما يدعم بناء السلام ويخلق له الأساس المتين. ومن أهداف التنمية دعم حرية الشعوب، التي بدورها تقوي الديمقراطية ويقوى السلام العالمي.

وختاماً، أقول إنّ طريق السلام طويلة دونها صعوبات جمة. فإذا طبّقنا مبادئ الأمم المتحدة بطريقة أفضل ونية سليمة، فلا شك أنّنا سنقطع هذه الطريق لنصل إلى العيش في عالم أكثر عدالةً واطمئناناً.

الحرب التي زعزعت السلم العالمي كلياً، وللمرّة الثانية في القرن العشرين، ولدت منظّمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ لتضع حدّاً للحرب، والأهمّ من ذلك: لوضع الأسس الثابتة لبناء السلم.

وقد نصّت مقدّمة شرعة الأمم المتحدة على «أنّنا نحن شعوب الأمم المتحدة، وقد صمّمنا على تخليص الأجيال القادمة من آفة الحرب التي جلبت للبشرية المآسي التي لا يمكن وصفها مرّتين خلال النصف الأوّل من هذا القرن. وفي سبيل بلوغ هذه الأهداف، صمّمنا أن نمارس التسامح ونعيش سوياً في سلام؛ وأن نوحّد جهودنا في سبيل المحافظة على السلم والأمن الدوليين؛ وأن نعمل على استخدام الآلية الدولية لتقوية ودعم تقدّم جميع الشعوب اقتصادياً واجتماعياً... ثمّ إنّنا قرّرنا أن نوحّد جهودنا في سبيل تحقيق هذه الأهداف».

وهكذا نرى بوضوح أنّ الأهداف الأساسية من إنشاء الأمم المتحدة هي المحافظة على السلم والأمن الدوليين، وفي سبيل ذلك أخذ الإجراءات المشتركة الفعّالة لمنع التهديدات للسلام ونزعها. ثمّ إنّ حلّ النزاعات الدولية يتمّ باستعمال الوسائل السلمية.

وهناك تركيز على تحقيق التعاون الدولي في حلّ المشاكل العالمية ذات الطابع الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الإنساني، وفي دعم وتشجيع الاحترام لحقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع من دون التفرقة بين العرق والجنس واللغة والدين.

والذي أودّ أن أشدّد عليه هنا أنّ الأمم المتحدة تركّز في مفهومها للسلام على شموليته، وعلى المسؤولية الجماعية للمجتمع الدولي في المحافظة عليه. وفي هذا الإطار، تمّ إنشاء مجلس الأمن الدولي الذي تقع

منذ فجر التاريخ ويُنظر إلى السلم كنعمة وهبت للإنسان، وإلى نقيضه الحرب كأفة تهدّد مصيره. ومع ذلك، فإنّ المحاولات لوضع السلم العالمي على أساس متين، من خلال عمل سياسي مسؤول، لم تظهر إلّا في أوائل القرن التاسع عشر، بعد أن كان الفلاسفة ورجال الدولة بدأوا يعالجون الموضوع بطريقة منتظمة منذ نهاية القرون الوسطى. فكانت تجربة الحروب النابوليونية الحافز الذي قاد إلى وضع إجراءات سياسية في عصرنا الحاضر، من أجل جعل السلم العالمي أكثر استقراراً وصلابة.

لقد كان لتلك التجربة مفعول مزدوج على النظام العالمي الحديث، إذ ألغّت من ناحية أولى توازن القوى الذي كان أساس السلم والنظام العالميين منذ انتهاء القرون الوسطى، وعملت على استبداله بإمبراطورية عالمية يمكن أن تؤمّن السلام مؤقتاً؛ ومن ناحية ثانية، فإنّ الحروب النابوليونية ساعدت على نجاح فكرة القومية التي كادت تقضي على الأنظمة الملكية القديمة، وفتحت الطريق لصرعات وحروب دولية كثيرة.

ومع إطلالة القرن العشرين، وقعت الحرب العالمية الأولى واهتزّ السلم العالمي من جذوره. فكان لا بدّ من مواجهة هذا الواقع الخطير في العلاقات الدولية بخلق نظام عالمي وآلية دولية على المستوى المطلوب، فكانت عصبة الأمم في سنة ١٩١٩، ومعها المحكمة الدولية الدائمة للعدل في السنة نفسها. لكنّ هذه «الحكومة العالمية» سرعان ما انهارت كسابقتها، إلى حدّ ما، الحلف المقدّس، نتيجة الصراع بين الدول الأوروبية.

واندلعت الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٣٩، فكانت عالمية بالفعل إذ شملت جميع أصفاع الدنيا بنتائجها المدمرة اقتصادياً واجتماعياً. ونتيجة لهذه

\* هذه الكلمة أُلقيت في مناسبة أكاديمية منذ أكثر من عشر سنوات. غير أنّنا نشهد اليوم (ما أشبه اليوم بالأمس!) بكلّ أسى عودة استنثار قطب عالمي شبه آحادي بمصير الحرب والسلم في العالم، وبتهميش الآلية المثلى التي أوجدتها الشعوب خلال نصف قرن، وهي الأمم المتحدة كمنبر عالمي للحوار الذي يصلق نتاج جميع الحضارات ويصهرها كقلعة متينة للازدهار والعدالة والسلم المستمرّ في العالم... وهنا الطامة الكبرى!!!



# ألفاء المفاهيم الديمقراطية



د. معين رحال

اختبأت خلفه مجموعة من الأنظمة العربية، لتبرير فشلها وأطماعها، ولإخضاع شعوبها لمشيتها رافعة شعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة». وباسم هذا الشعار كمت أفواه أحرارها ومفكرها، وغالباً ما استعملت هذه الأنظمة الأحزاب والانقلابات العسكرية، كجسر لاستلام السلطة. بعدئذ، يحولون أنفسهم إلى آلهة يجذبون لأنفسهم عبر استفتاء، نتيجته معروفة سلفاً: ألم ينل صدام ١٠٠٪ من الأصوات قبل سقوطه بأيام؟

إن هذا الفهم أو بالحري هذا الاستعمال للديموقراطية وللأحزاب السياسية يُعتبر كوسيلة أو كتكتيك، وليس كهدف يسعى إليه الأحرار بملء ارادتهم. وهذا الخلط للبشري بالإلهي، يضاف إليه التخطيط للسيطرة على السلطة عن طريق شعارات الوحدة والديموقراطية والقوة العسكرية أو العدوية، إنما هي عوامل أدخلت الرعب إلى مفاصل الفئات الأخرى التي يتشكل منها المجتمع، وعمقت الاحتقانات، داخل الطبقات والإثنيات والطوائف والمذاهب، وكذلك بين أولئك الحريصين على التعامل مع الأمور انطلاقاً من كونهم مواطنين لا رعايا ولا أرقاماً في قطع أياً يكن اسمه.

وإذا كان يحلو للبعض أن يستغلوا الأحداث العابرة لتحقيق أهداف موسمية مرتبطة باحتلال أجنبي أو باختلال موازين القوى، فإن أبناء الأرض الحقيقيين سواء في العراق أو في أي مكان من هذه المنطقة المنكوبة سياسياً، يتطلعون لا للانتقام من الماضي ولا لوضع اليد على السلطة انتقاماً من ماضٍ مظلم، بل لإرساء دول قانون ومؤسسات تحفظ مصالح الجميع سواسية كما خلقهم الرب، شرطاً لا بد منه لقيام الحياة الديمقراطية التي تمنح المجتمع ما يحتاج إليه من حصانة تمنع تفتته مهما اشتدت عليه العواصف وتحالفت عليه أطماع الطامعين. فهذه هي الصيغة التي تضمن مصلحة الجميع الراهنة والدائمة، والتي يندفع الجميع للالتفاف حولها وللدفاع عنها مهما اشتدت الأعاصير.

فهل الحرمان من دولة يحكمونها بأنفسهم هو الذي يحرك كلاً من الأكراد والشيعية في العراق اليوم، أم الظلم الواقع عليهم تاريخياً، وفي ظلّ صدام تحديداً؟ وهل كانت هذه المشاعر لتتعرّز، لو قيّض للعراق رجال دولة تعاطوا مع أهلها على خلاف ما هم كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات؟

إن الانفجار الشيعي الملاييني غير المسبوق الذي شهدته كربلاء، يوحي بأن الزمن قد توقف في نظرهم عند مقتل الإمام الحسين بن علي في كربلاء إيّاهما، عام ٦٨٠. وهذا طبيعي، لأن ما حدث في ذلك التاريخ كان أخطر الصدمات التي تلقاها، لا المسلمون الشيعة فحسب بل جميع المسلمين والعرب، إذ حوّل الحياة الراشدية إلى «مسلسل محموم لقنص السلطة بقوة السيف، وخسرت لعبة تبادل السلطة السلمي دون أمل في استعادتها» (٢). أمّا الأنظمة التي توالى على السلطة فلم تتسهم فظاعة الحادثة.

فالاحتلال التركي جاء ليعيد إبعاداً كلياً فكرة الدولة كراع لمصالح الجميع، متبوعاً سياسة التفريق كما هو معروف. وخير مثال على ذلك هو أن مدينة النجف الأشرف، كانت مقسمة إلى أربعة أحياء عند خروج الأتراك منها، ولم تتبدل الحال إلا بعد قيام المملكة العراقية.

وفي مرحلة الاستقلال التي تلت الحرب العالمية الثانية، انحسرت احتمالات تبلور فكرة قيام دولة، أمام ضغطين:

أولهما طرح فكرة الوطن العربيّ الوحدويّ الذي يضمّ جميع الأقطار العربية، واتهام من يعمل لترسيخ دعائم كلّ دولة على حدة، بالعمالة والخيانة والإقليمية، لأن الأقطار والأقاليم موقّعة، والثابت والنهائي هو الوحدة. وهذا ما يفسّر استسهال التدخّل في شؤون الأقاليم المجاورة، وحتى احتلالها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بحجة المصلحة العليا للأمة.

أمّا الضغط الثاني فكان نشوء الكيان الإسرائيليّ المفاجيء في قلب هذه المنطقة من العالم. وقد

وقعت «بقرة» العراق وكثر الجزّارون، والتهمة خلّو العراق من أيّ أثر

للميموقراطية. واللافت في هذه الاتهامات، هو صدورها عن أناس نحروا الديموقراطية منذ زمن، أو لم يعرفوا إليها سبيلاً قطعاً، وبينهم أيضاً من اعتاش طويلاً من طاولة الطاغية نفسه، أو من كان به شبيهاً، مع فارق في العناوين والشعارات.

صحيح أن الاحتلال كشف حقيقة الواقع السياسيّ في العراق في ظلّ النظام السابق، وافتقاره إلى الفناء المفاهيم الديمقراطية. ولكن، ما هو أجدر بالتوقّف عنده ليس الديموقراطية، بل مسألة القانون والمؤسسات ومدى ارتكاز الدولة العراقية عليها؛ فلو كانا موجودين في العراق، لما كان سقوطها عظيماً على النحو المأساويّ الذي شهدناه. ذلك أن المؤسسات التي يربعاها القانون لا تسقط بسقوط الحاكم ولا بسقوط النظام، لأنها تستمدّ شرعيتها من الشعب نفسه.

لكنّ الصحيح أيضاً هو أن مأساة العراق التي عرّأها الاحتلال من ورقة التين هي في الواقع مأساة العرب جميعاً، ولو حاول بعضهم الاختباء وراء إصبعه. وجلّ ما تتمناه لهؤلاء هو الاقلاع عن عادة إطلاق الكذبة ومن ثمّ تصديقها، معتقدين أن الآخرين يصدقونها أيضاً.

أما أن أوان الاعتراف بأننا كعرب لم نختبر على مدى تاريخنا الطويل تجربة العيش في نطاق دولة منتظمة ثابتة ودائمة، ولم نختبر بطبيعة الحال تجربة انشاء دولة، بالمعنى السياسيّ للكلمة. وفي ذلك يقول الجابري<sup>(١)</sup>: «العرب لم تتح لهم تاريخياً تجربة الدولة المؤسسية العضوية الثابتة، في كثير من عصور حياتهم. وإذا علمنا أن الدولة مدرسة السياسة ولا سياسة منظمة خارج الدولة، تبين لنا مدى تواضع المحصلة التاريخية للعرب من هذه الوجهة». وهذا ما يفسّر طبيعة ردود الفعل على سقوط النظام. وأهمها ردّ الفعل الإثني من جهة الأكراد على النظام «السنّي - العربي»، وردّ الفعل الشيعي على النظام «السنّي».

(١) محمّد عابد الجابري: نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربيّ المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٢.

(٢) خالص جليبي: ظاهرة العنف، مجلة العربي، ١٩٩٨ أيار.

البلد ماشي وكل شس ماشي - لبنان سيّد حرّ مستقلّ أبديّ  
أزليّ سرمديّ - أمة عربيّة واحدة ذات رسالة خالدة - العيش  
المشترك وغسل القلوب - سنقاتل من لا يمشي بخطّنا حتّى  
الموت - بالروح بالدم نفديك يا...؟ شعارات وشعارات..

## ليس بالشعارات تبني الأوطان

كفانا إيماناً على الاتهامات المجانيّة  
والمتبادلة التي تتخطّى حدّ التجريح  
الشخصيّ بالكرامات إلى إثارة الغرائز  
الطائفية.

كفانا وعوداً من أبطال المنابر.

كفانا ارتداء قبّعات ومعاطف الغشّ والبغضاء.

كفانا خطابات فارغة، وكفانا عبوديّة.

كفانا دفع ضرائب، تُسرق أموالها وتُهدر.

إنّنا نريد أخوة وشراكة ومحبة وتفاعلاً  
محوراً بين بعضنا بعض.

نريد احترام الحريّات العامّة والحفاظ عليها،  
والعيش تحت سقف ديمقراطية صحيحة.

نريد قياديّين «وطنيين» بتصنيف من شعبهم،  
وليس من خلال أوسمة خارجية تعلق على  
صدورهم.

نريد أن يعكف هؤلاء القياديّون على إصلاح  
وزارتهم وإدارتهم، ويتركوا التنظير  
والخطابات والتهديدات والمهرجانات. نريد  
من هؤلاء أن ينزلوا من كراسيهم العاجية  
ويختلطوا بالشعب ويعيشوا مشاكله وآلامه.

أين هم؟

للنفايات - مناهج متطورة للتربية والتعليم -  
تعديل وتحديث القوانين التي ما تزال تراوح  
خلال فلسفات رثة - تسريع تطبيق  
اللامركزية الإدارية الموسّعة - إقرار قانون  
واقعيّ للانتخابات ولترخيص الأحزاب  
وغيرها، وتوضيح صورة ومرتكزات  
السياسة الاقتصادية الوطنية العامّة.

إنّ هذه المواضيع هي من أهمّ أسباب آلام  
المواطنين وحالة الضياع والفساد في  
الوطن. فالشعب يطلب من قياديه وممثليه  
«التنازل» عن خطابيّة وصف العلاجات  
الإقليمية وتتبع تقلّبات قضاياها «والتطوّع» في  
مسيرات صراعاتها من أجل الاهتمام بشؤون  
«الصغيرة» التي تتحكّم بحاضره ومستقبله  
وتقذف بأبنائه إلى دوّامات الهجرة بسبب  
انسداد الأفاق الداخليّة الراضحة تحت  
التيئيس والقسر واللامبالاة.

هل كتب لنا، نحن اللبنانيين، أن نقاتل  
ونبغض بعضنا البعض وندفع فدية الآخرين  
من فاتورة الدمار والخراب والجوع؟

كفانا يصرخ الشعب اللبنانيّ لأذان صمّاء.

كفانا كذباً وخداعاً وترقيعاً.

المعالي إلى السعادة وإلى وإلى... وينجرف  
في ما يخطّط له.

يُدرّسُ الجهل بدل الحقيقة، والتطرّف بدل  
التساهل، والمحبة والخلاف بدل الحوار،  
والانقسام بدل الوحدة.

وكأنّه بات عليه أن يتمرّس في ارتداء وتبديل  
أقنعة «لكلّ مقام مقال» لكي يستطيع  
الاستفادة من خدمات ومكتسبات هي من  
حقّه أصلاً، والتي يصادها أسياذ إقطاعيّون  
وسياسيون نصبوا ذواتهم حراساً ومدافعين  
عن حقوق الله والإنسان. فبينما ينشرون  
البغضاء والتطرّف ويبذرون أموال الشعب  
على مصالحم الخاصة، يتحجّجون بالفضيلة  
والبطولة.

إنّ لبنان اليوم هو بأمرّ الحاجة لنوع آخر  
من المنجزات بعيداً عن الشعارات، تخدم  
مصالح الوطن والشعب، لكنّها مبنية على  
برامج عمل وخطط واضحة ممكنة التطبيق  
ولا ترتكز على الطروحات النظرية التي شيع  
الشعب من منابرها وأدبيّاتها والتي تتعلّق:  
بالإصلاح الإداريّ - اعتماد سياسة ضريبية  
عادلة - المحافظة على الصّحة العامّة وعلى  
البيئة التي جعلت لبنان الأخضر مكباً



## ليس بالشعارات تُبنى الأوطان

د. عقل كيروز

رؤوس. واختفى التمثيل الشعبي الصحيح، وتحولت السلطات إلى مافيات ديكتاتورية متعدّدة، منها الاقتصادي والسياسي والحزبي والعسكري وحتى الديني وغيرها. والبارز الملفت في كلّ هذا هو تصاعد وتيرة إطلاق المهرجانات والخطابات الرنانة والشعارات التي جرفت اهتمام اللبنانيين وانتباهه إلى مصيره ومستقبله، وأبعدته عن مبادئ العيش اللائق الكريم تحت مظلة المساواة والحريات العامة. كلّ هذا يدفعنا إلى محاولة رصد مقومات الصف الداخلي ومجابهة الأخطار والتغييرات المحدقة بالمنطقة، والتي ما زال اللبنانيون يعيشون تحت كابوسها وفي ظلّ تهديداتها منذ الاستقلال. وكأنّ تلك التغييرات التي يتكهن بحصولها أرباب السياسة ستكون كارثة على لبنان وشعبه.

هنا يتساءل المواطن: هل من الممكن أن يسوء الحال أكثر ممّا هو عليه الآن في هذا الوطن، وقد وصل الفساد والسرقة إلى أعلى مستوى؟ الشعب يعيش في ظلّ الخوف والجهل والقلق والارتباك- لا يعرف لمن يسمع ولا من يتبع. ينحني ويسجد أمام أصحاب ألقاب الشرف من الفخامة إلى

حرّ مستقلّ سيّد ذاته، يميّز وجودهم جميعاً، فتجنّدوا بطرق مختلفة ليحقّقوا أغراض مراجعهم الإقليمية والدولية من خلال أحلام وانتصارات وهمية، كانت في غالب الأحيان دمويّة ومليئة بالعنف، فدمّرت الأرض والكيان وباعدت بين مكوّنات الوطن الواحد، وزرعت في أهله النفور والبغض والتفرقة. فطعن لبنان وذبح وانهار وما زال يعاني من شعارات مخادعة عادت عليه وعلى أهله بالجهل والدمار والبؤس خلال عدّة حروب كان آخرها حرب ١٩٧٥، والتي ما زالت تخاض بين الحين والآخر بطرق متعدّدة: دينيّة واجتماعيّة واقتصادية وسياسيّة وتهديدات أمنية. والمحزن المؤلم أنّه حتّى الآن لم يتوحّد اللبنانيون حول أهداف وأسس لنظام حياة حديث يرتفع بلبنان وشعبه إلى مصافّ الشعوب المرتكزة مثله على آلاف من السنين في تتبّع التحضّر والترقّي من خلال تاريخ عريق. للأسف أنّ الواقع يختلف إلى حدّ بعيد. فلبنان لم يتغيّر منذ قرون فيما يتعلّق بإدمانه على ابتكار الشعارات والقيادات الفاشلة المركّبة غبّ «الطلب»، فازداد التزلّم والجهل السياسيّ بين صفوف الشعب، وتصلّبت القلوب المتطرّفة، وانفصم الحكم ليصبح بعدة

**لبنان** وطن الحرّية والديمقراطية- على المسيحيين أن يكونوا رأس الحرية في الشرق- ندعو إلى الوحدة الوطنية في ظلّ الاستحقاقات الإقليمية- وحدة المسار والمصير- البلد ماشي وكل شس ماشي- لبنان سيّد حرّ مستقلّ أبديّ أزليّ سرمديّ- أمة عربيّة واحدة ذات رسالة خالدة- العيش المشترك وغسل القلوب- سنقاتل من لا يمشي بخطّنا حتّى الموت- بالروح بالدم نفديك يا...؟ شعارات وشعارات.. قواميس من الشعارات وما أكثرها!

منذ نشوء قضية فلسطين عام ١٩٤٧، وبعد هزيمة عام ١٩٦٧، مروراً بالحرب الباردة بين القطبين العالميين، ظهرت قوى متعدّدة في المنطقة وبنوع خاصّ في منبرها الأوّل- لبنان، تهاقت بكلّ تلاوينها وايدبولوجياتها وأهدافها على تصدّر واجهة القرار السياسيّ الإقليميّ والسيطرة على بعض أنظمة الدول العربيّة الضعيفة. وكان لبنان بنظامه السياسيّ المترجرج المربّك على شعار «قوة لبنان في ضعفه» مسرحاً للصراعات بين تلك القوى والتحالفات ما جعل اللبنانيين بأكثرّيّتهم يتناسون مصلحة بلدهم كوطن

يُصار في المستقبل إلى اعتماد نظام سياسي حديث يعتمد على أساس حزبيين وطنيين، واحد في السلطة، والآخر في المعارضة.

**٦-** وضع نظام جديد للامركزية الإدارية، فيقسّم لبنان إلى ٨ أو ١٠ محافظات، يدير كلّ واحدة منها محافظ ينتخب، مع مجلس تشريعي إداري له، لمدة أربع سنوات، يكون مسؤولاً عن إدارة المحافظة من دون تدخل من الحكومة المركزية التي تنحصر صلاحياتها المباشرة في السياسة الخارجية والسياسة التشريعية والدفاع والأمن القومي والاقتصاد والسياسة المالية، على أن تتقاسم مع حكومة المحافظة صلاحيات أخرى تحدّد لاحقاً.

**٧-** العمل من خلال قانون جديد للأحزاب وشروط رخصها على تحقيق الانصهار الوطني، فتعمل لمصلحة لبنان الوطن فقط، والإلحاح على الترخيص عنها، فضلاً عن وجوب العمل على تظهير ديناميّة الأحزاب وفوائد عملها الجماعي الوطني...

**٨-** إنّ واقع لبنان التعدديّ يجب أن يسمح بأنظمة تربوية حرة غير متنافرة، تعمل بالفعل على تثقيف الشباب والمجتمع على روح المواطنة الصحيحة وعلى تحريرها من الخوف والجهل والعبودية والكراهيات، معتمدة قول الحقيقة بدل الكذب، والانفتاح بدل التطرّف والتعصّب.

**٩-** تفعيل وتنظيم دور مؤسسات المراقبة والتفتيش والمحاسبة، وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب في كلّ المرافق العامّة تحت مظلة القوانين، بعيداً عن التدخلات السياسية.

**١٠-** العمل على تحرير الدولة من عشوائية السياسات المالية والاقتصادية التي تركز على معالجة فشلها من خلال فرض الضرائب العمياء غير العادلة والمنصفة. يجب إعادة البحث في تكلفة القطاع العام وسياسة

التعويضات وإيقاف تضخّمه السرطانيّ عبر المحسوبيّات والتنفيّعات. كما يجب حسم أسطورة الإصلاح الإداريّ التي ترونها كلّ «العهود» في بداياتها وتتباكى بعد ذلك بأشهر لتبرير فشلها الذريع في تعديل أيّ من بنود واقعها المرير...

إنّ رواتب القطاع العام هي الجزء الأوّل من كلفته التي يجب لاحتسابها إضافة ملايين الملايين المتأتية من السرقات والعمولات «والخوات» والإكراميات المحدّدة تسعيرتها علناً...

**١١-** وضع قوانين واضحة ضدّ الاحتكارات الاقتصادية والإعلامية وغيرها. وكذلك تتبّع ملفّات المسؤولين «المتعهدين» و«شركاء المضاربة» و«المالكيين المقتنعين»... فصفاقتنا «الوطنية» تحتاج إلى عقول أين منها عقول أكبر الدهاء شراً. لذلك، كان اكتشاف وسائل تركيبها عملية شاقّة على أيّ باحث بري...

**١٢-** إنشاء مناطق حرة للصناعة والتجارة في لبنان، بالأخصّ للاستثمار الأجنبيّ، بعيداً عن التدخلات والوساطات والخوات السياسية.

ليست إلاّ نماذج من المشاكل التي تجب معالجتها لبناء الوطن. هناك العديد من المواضيع الأخرى، لبنان بحاجة إلى حلّها.

إنّ خوفنا من الوقوع في فخّ ما ننتقده، وهو «الشعارات» العاطفية، هو الذي يدفعنا إلى التوقّف عن إطلاق المزيد من الأفكار والتوسّع في هذا العرض السريع لمكامن الخلل في حياتنا الوطنية.

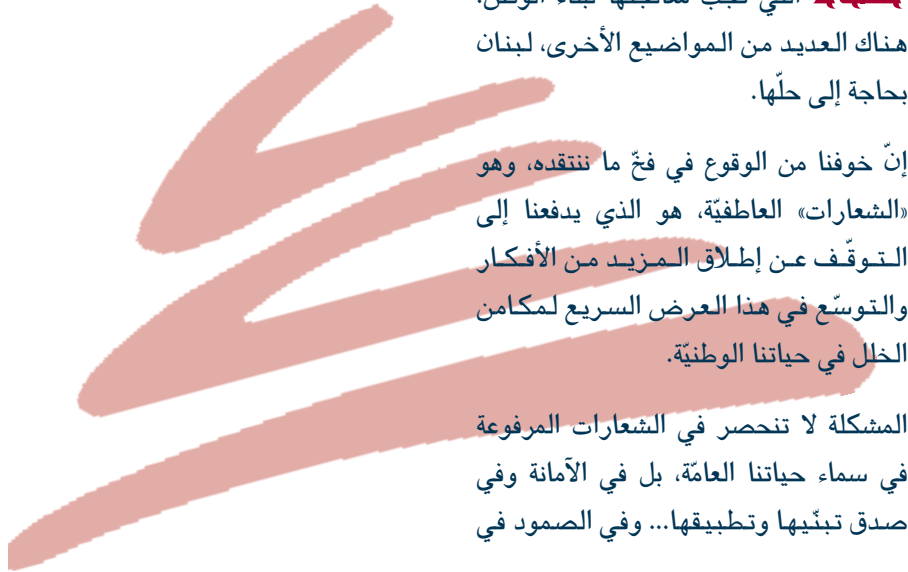
المشكلة لا تنحصر في الشعارات المرفوعة في سماء حياتنا العامّة، بل في الأمانة وفي صدق تبنيها وتطبيقها... وفي الصمود في

الوفاء لها... على الرغم من تبدل مناخاتها المؤاتية... إنّ يكفينا نذكر أنّ المجلس النيابيّ إيّاه عندنا قد أقرّ «اتفاقية القاهرة» بحماس وقناعة وبصم... وأنّ المجلس عينه صدّق «اتفاقية ١٧ أيار» وألغاه بحماس أيضاً... وهو نفسه ينتخب الرؤساء ويصدّق على القوانين والديون بكلّ حماس وقناعة... ومن تحت بيارق «الشعارات» نفسها!!

إنّ الشعب اللبنانيّ بحاجة إلى ثورة فكرية-تربوية-اجتماعية تحرّره من قيود العبودية والخوف والجهل والتطرّف.

إنّه بحاجة إلى أبطال ذوي «رؤية» متكاملة للمستقبل (وبرامج عمل)، عندهم الشجاعة للبدء بالتغيير... إنّه بحاجة إلى تفهّم معنى الوطن والشراكة الوطنية، فلا يعود هناك مسيحيّ أو مسلم أو درزيّ أو ... إنّما مواطن لبنانيّ يحترم أخاه وشريكه بالتساوي، يحبه ويغار على مصلحته ويجلس معه إلى الطاولة نفسها يعتمد مبدأ الحوار البناء العقلانيّ...

إنّه بحاجة إلى طقم جديد من البيروقراطيين، أصحاب كفاءة ونزاهة وشفافية، يخدمون مصالحه قبل كلّ شيء بضمان حيّة وبالعامل الجدّي، بعيداً عن المظاهر الكاذبة والفساد، فيكون الشعار الواحد: لبنان المحبّة.. لبنان الوحدة.. ولبنان مشعل الحضارة.



للحرية والكرامة والسيادة قاموس عالمي واحد، لا مكان فيه «لشعر» والحريقات والفضلكات اللفظية ولا لموازنين سيبويه ونفطويه...

من وحي هذا القاموس جئنا نقترح خطوطاً عريضة لبرنامج تربوي سياسي اقتصادي واجتماعي موسع يعالج الجذور علّه يساهم في إخراج الوطن من بعض دوامته:

يبداً الأمر بتأليف مجلس وطني يمثل كل الطوائف من خلال انتخاب كل طائفة لأعضائها، لمدة أربع سنوات، يكون مجلساً تأسيسياً لمنظومة حياة جديدة تقوم على معطياتنا البنوية الخاصة. مهمة هذا المجلس الانقلاب على الملفات الأساسية الآتية:

## أولاً

تحديد، وبدون التباس، أهداف ومفاهيم وأسس المواطنة اللبنانية واتصالاتها بالخلافات والصراعات الداخلية وكل مشاكل علاقاتنا بما يسمى «الخارج» من إقليمي ودولي...

## ثانياً

الانقلاب على معالجة الشروخ والتفسيحات والتصدعات الضاربة في نظامنا التربوي، وعلى كل المستويات، وصولاً إلى تقليص الفروقات الهائلة في المستويات التعليمية بين المدارس الرسمية الوطنية والمؤسسات الخاصة، والتنبيه إلى حقيقة وجود «نخب» تربوية في مواجهة حملة شهادات «الاستسهال»...

## ثالثاً

معالجة، وبجديّة تامّة وصدق، مفهوم الانصهار المجتمعي من خلال التنوع... فهنا يكمن أهم غنانا وأكبر مأسينا، ما يؤدي إلى اختلاط أولادنا وشبابنا بعضهم مع بعض منذ

الصغر، فيتوجب على كل مؤسسة تربوية أو حكومية أو خاصة اعتماد مزج اللبنانيين من كل فئاتهم وطوائفهم معاً وتحت سقف واحد ليحرروا من التعصب والتطرف والخوف والجهل...

## رابعاً

إعادة النظر في نصّ وتطبيق اتفاق الطائف خصوصاً فيما يتعلق بالمواد التي شكلت، منذ قيام هذا الاتفاق، ما يمكن وصفه بالأفخاخ المنظمة ببراعة لإحداث التصادم المستمر أو التآمر الاستثماري في أداء السلطة السياسية، ولو مرةً، محبةً بهذا الوطن وشعبه. وبالتالي:

١- تحديد سمة وصف نظامنا السياسي بكلّ وضوح وعلى القواعد الحديثة بعيداً عن عشوائية العواطف والحسابات الطائفية الضيقة: رئاسي؟ برلماني؟ عشائري؟ ملكية مفتحة أو ديكتاتورية مخرّبة؟!...

٢- تحديد صلاحيات وسلطات الرئاسات الثلاث بوضوح تام وخال من الالتباسات والتفسيرات الغوغائية المفزلة. فليس من الممكن أن يحيا جسد طبيعياً برؤوس ثلاثة. كفى لبنان أن يكون دائماً المقلد والمبندق.

٣- فصل السلطات بالكامل، والنظر في تدخلات السلطة التشريعية بتعيين وأداء السلطة التنفيذية من خلال عمليات صفقات كمثل تكليف رئيس الوزراء وتكوين فريق عمله.

الهدف أن تسقط المحاصصات والمحسوبيات والمصالح الخاصة.

والمطلوب كذلك وجوب فصل النيابة عن الوزارة. فبأي حق يُعمد إلى شخص واحد بحقيبتين: واحدة تشريعية وأخرى تنفيذية؟ من هو النابغة المخترع لهذه الديمقراطية؟!

إن فصل السلطات يحتم استقلالية السلطة القضائية التي يجب أن تبقى، وبعيداً عن الشروحات المطولة، أهم مؤشرات الأنظمة الديمقراطية. فكيف تحقق العدالة ومبدأ Checks and Balance بين السلطات، إذا كان القضاء بمثابة شرطي أو مؤسسة عليها فقط تنفيذ القوانين، عادلة كانت أم ظالمة؟ وإذا فعلت، فلا تستجيب لقراراتها السلطتان الأخريان؟!

إن مبدأ محاسبة السياسيين إذا خالفوا القوانين أثناء ممارستهم السلطة بدءاً من أعلى الهرم وهو مبدأ معروف لكثنا عندنا معطل، فالسؤال عن أداء بعض السلطات يعتبر جرماً جنائياً ويحاكم فاعله...

هنا تكمن أكبر عناوين مأساتنا الوطنية... فالعقاب محصور بالشعب وبفنته التي لا تشكل حاشية «المراجع» «الزعامات». أما الذكرة الوطنية وناكرة قوانيننا، فهي لا تتسع لتخطيات وسرقات «رجال» أنجبتهم أمهاتهم ليحكمونا، وأنجبتنا أمهاتنا لنقبل أياديهم ونموت من أجلهم!

٤- إن الديمقراطية والمساواة توجب إلغاء كل الألقاب المضخمة، والتي تعود إلى العصر العثماني. هذه الألقاب التي تساهم برأي الأكثرية، من خلال اللاوعي الخاص «بالزعيم» أو «صاحب المعالي» أو «صاحب السعادة» وغيرهم في تصديق هؤلاء لتفوقهم ورقي مراتبهم بين البشر، بينما هم في الحقيقة خدام الشعب ويعيشون من ضرائب الشعب، وتؤسس لارتكاباتهم في غياب احترامهم للقانون الذي يرعى شؤون «رعايهم» فقط...

٥- وضع قانون انتخابي يحفظ لكل مجموعة أو طائفة، وحدها، وحقها المقدس بترشيح واختيار وانتخاب ممثليها من دون التدخل في موازين أو مجموعات أخرى، إلى أن

عن الأماكن العامّة. وانتشرت آخر مبتكرات الموضة في اللباس للذكور والإناث، وزاد عدد الوافدين من الريف المحيط بالمدينة، وارتفعت نسبة الاختلاط المذهبيّ في أماكن السكن الحديثة والأماكن العامّة وأماكن العمل والمدارس أيضاً.

وإذا كان هذا هو حال الفئات الغنيّة وفئات الطبقة الوسطى التي كان عددها يتّسع باطراد<sup>(٤)</sup>، فإنّ شأن الفئات الشعبيّة كان موسوماً بالفقر والحاجة وضيق فرص الترقّي الاجتماعيّ، رغم الازدياد النسبيّ في فرص العمل المتوفّرة في المدينة. على أيّة حال، بقيت هذه الفئات تتطلّع باندهاش كامل لما كان يحدث من حولها، وكان شعورها بالإحباط المتنامي باستمرار، ناتجاً من تفاقم المشاكل الاجتماعيّة المتأثّرة من موجة التحديث وعجز الدولة وفعاليتيّ المدينة عن معالجتها.

وهنا يتجلّى دور السلطة اللبنانيّة وامتداداتها المحليّة في ديناميّة التشكّل الاجتماعيّة والسياسيّة لمدينة طرابلس. فهي، أي السلطة، لم تتلق، نظراً لطبيعة آليّة عملها، المظاهر المدنيّة وقواها للخروج معها من قنوات البنى الأهليّة الضيقة وتمثّلاتها الذهنيّة إلى رحاب الفضاء المدنيّ الذي يتأسّس على حقوق وواجبات المواطن ومفاعيلها الاجتماعيّة والسياسيّة وحتّى الإداريّة.

لقد عمدت الدولة، منذ نشوء لبنان الكبير، إلى تزكية الزعامات العائليّة وتحالفاتها التقليديّة، مع احترامها الكامل لاستقلاليّة البنى والعلاقات الأهليّة والقيم والسلوكيّات وعلاقات الاستتباع التي تقوم عليها هذه الزعامات. كانت هذه السمة العامّة لسياسة الدولة تجاه مدينة طرابلس، الأمر الذي أدّى إلى تدبّر قوى المدينة الحيّة لأموها، مستندة تارةً إلى الموروث الأهليّ مع التبديل لوظائفه، وطوراً إلى الأيديولوجيّات المدنيّة كالقوميّة العربيّة والوطنية والماركسيّة والدعوات الشعبيّة التمردية. ويعود تركيزنا على دور الدولة في مقاربتنا لفهم الهوية والمدينة في طرابلس لمحوريّة هذا الدور في تكريس العلاقات الأهليّة، وعلى رأسها الاصطفاف الطائفيّ والعائليّ للقوى السياسيّة الفاعلة في المدينة. ورغم ذلك، فإنّنا لا نقلل من أهميّة العوامل التاريخيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة البعيدة عن تأثير الدولة المباشر في هذا المجال. فعلى هذا المستوى من التحليل، فإنّ الضمّ القسريّ لمدينة طرابلس إلى لبنان الكبير عام ١٩٢٠ ترك آثاره على

بالبنى والعلاقات والقيم التي توجّه أبناء المدن في كلا المدينتيّ في تعاطيهم مع الشأن العام. ظهور الشأن العام وطرحه في دائرة التداول أمر يتعلّق بنشوء الدول الحديثة وتكوّن المدن بما هي مراكز رئيسة للإدارة والنشاط الاقتصاديّ والثقافيّ. أمّا التعاطي مع هذا الشأن فتختلف أصوله وقواعده باختلاف الظروف التي نشأت فيها الدول والطرق التي سلكتها في سياق اندماجها بالاقتصاد الرأسماليّ المهيمن. ومن يراجع تاريخ مدينة طرابلس الحديث يتّضح له أنّ عمليّة إعادة تشكّلها الناتجة عن دخول المنطقه مرحلة التحديث الرأسماليّ كانت مع العثمانيّين في أواخر القرن التاسع عشر. وإذا كان التحديث الذي طال المدينة في بدايته تحديثاً من «فوق» تناول جوانب من التنظيم المدنيّ والإدارة العامّة (كانت الميزة الأساسيّة للتحديث العثمانيّ «فوقيته»)، فإنّ ذلك لا يخفي علينا الجانب الاقتصاديّ من التحديث الذي كان قد بدأ ينخر المجتمع من «تحت». وأبرز مظاهر هذا التحديث في طرابلس كان انخراط اقتصادها المحليّ بتصدير المنتوجات الزراعيّة المصنّعة إلى مصر واسطنبول وبلدان أوروبية<sup>(٢)</sup>.

وتعطينا دراسة جون غوليك<sup>(٣)</sup> عن مدينة طرابلس، في بداية السّتينات من القرن الماضي، صورةً غنيّة عن المدى الذي توصل إليه التحديث الاقتصاديّ للمدينة، الأمر الذي ترتّب عليه تبدّلات أساسيّة في إعادة تشكّل الفضاء المدنيّ وظهور فئات اجتماعيّة جديدة، وما رافقها من علاقات اجتماعيّة وقيم وسلوكيّات ومؤسّسات مدنيّة وأهليّة مركّبة. واستمرّ هذا الأمر على حاله حتّى اندلاع الحرب الأهليّة عام ٧٥.

وكانت مرحلة السّتينات والنصف الأوّل من السبعينات مرحلة اتّسمت بالانخراط المتزايد لمدينة طرابلس وضواحيها في الاقتصاد الرأسماليّ العالميّ وقسمته الدوليّة للعمل، ما أدّى إلى دخول شرائح وفئات اجتماعيّة عريضة في نمط الإنتاج والاستهلاك الرأسماليّين. ولقد أفرز هذا الأمر سلوكيّات وقيماً اجتماعيّة ومؤسّسات اجتماعيّة، بدت جديدة ومستهجنة، قياساً على نمط الحياة الذي كان سائداً بين الأوساط الشعبيّة ومجتمعات طرابلس القديمة. بذلك بدأت تتقلّص مظاهر الحياة القديمة في المدينة، وغدت طرابلس فاتحة لندراعيها تستقبل كلّ جديد وافد. وكانت الحياة في المناطق المستحدثة، غرب المدينة، مليئة بمظاهر الحياة المدنيّة الحديثة، حيث فتحت الأسواق الجديدة وانتشرت المقاهي على النمط الأوروبيّ واتّسعت دائرة روادها، كما تقلّص عدد النساء المحجّبات أو كذّن أنّ يغننّ بالتمام

(٢) انظر شذا عدرة «صنائع طرابلس الزراعيّة» (١٨٨٠ - ١٩١٤)، ص ١٢٢ - ١٣٤، مجلّة تاريخ العرب والعالم، عدد ١٤٢ - آذار ١٩٩٣.

(٣) Tripoli: A Modern Arab City, John Goliek, Harvard, Uni Press, London, 1967

(٤) لمزيد من التفصيل حول النقاط، انظر الفصل الخامس والسادس من كتاب غوليك، المصدر المذكور سابقاً.

# الإسلام في طرابلس

## هوية لمدينة قلقة\*



د. بول طبر

### مقدمة

إنّ دراسة تجربة التمدين في مدينة طرابلس وتَشكّل هويتها تطرح أمام الباحث عدّة إشكاليات: منها ما يتعلق بتكوين لبنان الحديث وسياسات الدولة اللبنانية تجاه المدينة، ومنها ما يتعلق بنمط التطوّر الرأسماليّ في لبنان وتأثيراته المتفاوتة على التشكّل المدنيّ بما هو مجموعة بنى وعلاقات وقيم اجتماعية تحدّد توجهات سكّان المدن وتضبط فضاءها. كذلك، فإنّ مقارنة التمدين في طرابلس مقارنة سوسولوجية تستوجب تحليل ديناميّة الصراع السياسيّ في لبنان وتأثيراته على انتظام القوى السياسيةّ المدنية وتعبيراتها السياسيّة والثقافية، من دون أن يعني ذلك إغفال البعد العربيّ لمدينة طرابلس وموروثها الإسلاميّ والمسيحيّ ومفاعيل العولمة للاحاطة بمختلف العوامل وتفاعلاتها في تكوين هويتها السياسيّة والثقافية.

ولسنا نهدف في هذه الدراسة أن نتناول تجلّيات جميع هذه الإشكاليات المتّصلة بالعيش في مدينة طرابلس، بل نتوخّى التركيز على الهوية الإسلاميّة، تاركين جانباً التطرّق إلى المظاهر الأخرى لوجود المدينة إلاّ لجهة تحليل الظاهرة المطروقة في هذا البحث.

\* من مؤتمّر: بين المدينة والريف: المجال والهوية والتمدين في شمال لبنان، جامعة سيّدة اللوزية، فرع الشمال- برسا الكورة؛ أيار ٢٠٠٢.



### المدينة والبحث عن هوية

رغم النقاش الدائر حول الفروقات بين المدينة في المجتمعات النامية، وخصوصاً المدينة الإسلاميّة المعاصرة، وبين المدينة في المجتمعات الغربية الرأسمالية<sup>(١)</sup>، فإنّ القاسم المشترك بين المدينتين هو أنّهما يشكّلان فضاءً، حيث تطرح بامتياز القضايا العامّة للمجتمعات التي ينتميان إليها. وعليه، يمكن القول إنّ المدن في لبنان كانت دائماً المجال الذي يطرح فيها سكّانها القضايا المتعلقة بالسياسة والخدمات العامّة وما إلى ذلك.

ولم تشدّ مدينة طرابلس عن هذه القاعدة، بل إنّ دورها في هذا المجال كان بارزاً ومرتافقاً مع مختلف مراحل نموّها السكّانيّ (وهو نسبياً ضئيل مقارنة مع العاصمة بيروت) والعمرانيّ. وقبل

أن يتكوّن لدى القارئ انطباع مغاير لما هو مقصود من هذا الكلام، أسارع إلى القول بأنّ أحد الفروقات الأساسيّة بين المدينة في المشرق العربيّ والمدينة في البلدان الغربية الرأسمالية إنّما يتعلّق

(١) انظر العرض السريع لهذا النقاش في «بيروت مدينة التنظيمات»، ينسن هانسن ص ٩٩-١١٠ في كتاب: عصر النهضة، مقدّمات ليبرالية للحداثة، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، ٢٠٠٠.

الحركات الإسلامية وعودتها إلى البيئته الاجتماعية والاقتصادية التي تتألف معها. فمع ترميم الدولة والتحام السلطة على قاعدة اتفاق الطائف، برزت من جديد زعامات عائلية في طرابلس، منها القديم ومنها الحديث، لكي تستأنف أداءها الأهلي في العمل السياسي وفي توليد الثقافة والسلوكيات الأهلية الملازمة لهذا العمل. وفي الضفة الشرقية لمدينة طرابلس احتلت الحركات الإسلامية المواقع القديمة التي كانت تحتلها الأحزاب اليسارية والقومية والحركات الشعبية.



مدينة طرابلس حتى منتصف الثمانينات. وكان أهم هذه العوامل صيرورة الصراع الأهلي في لبنان نحو المزيد من الإصطفاف الطائفي للقوى المتصارعة وتنامي قدراتها العسكرية، الأمر الذي منع الدولة، إبان حكم أمين الجميل، من استتباع هذه القوى وإخضاعها لسيطرة فئوية معينة. وكان لتراجع مشروع الحركة الوطنية وتحول قواها الحزبية إلى أطراف تتنازعها الصراعات الإقليمية والطائفية معطوفاً على عجز الدولة آنذاك عن إحياء الزعامة العائلية لمدينة طرابلس،

والملفت أن هذه الحركات تقدم خدمات عديدة (تربوية وطبية وخيرية وغيرها)<sup>(٨)</sup> لجمهور الفقراء والمعوزين في المدينة وضواحيها. وتستفيد بذلك من غياب الدولة المزمّن عن القيام بدورها في هذا المجال، وتستخدم هذه الخدمات المادية لتطلق تصوراتها الأيديولوجية لحلّ مشاكل المدينة وما تطلّ عليه من قضايا تشمل لبنان والمنطقة العربية والدول الإسلامية والعالم بأسره. وتأتي الهجرة المستمرة من قرى الضنية وعكار إلى المناطق الطرفية في مدينة طرابلس لتضاعف من مشاكل المناطق الشعبية، وتخلق المناخ الملائم لانتشار الدعوات الإسلامية المناهضة وتوسيع دائرة نفوذها.<sup>(٩)</sup>

### الحالة الإسلامية في طرابلس: ثلاثة صنوف

مما لا شك فيه أن عودة الدولة بعد اتفاق الطائف قد أرخى بظله على التشكّل السياسي والثقافي لمدينة طرابلس. وكما أشرنا آنفاً، فإنّ قسور دولة الطائف عن القيام بدورها التنمويّ والخدماتي قد أدّى إلى تكريس التفاوت المناطقي الذي كان قائماً في الأساس وساعد في تعزيز انتشار الدعوات والحركات الإسلامية في المناطق الشعبية من مدينة طرابلس<sup>(١٠)</sup>. غير أنّ ذلك لا يعفي الباحث من التدقيق في الحالة الإسلامية التي تعيشها المدينة. ويبدو لنا أنه يوجد ٣ صنوف لهذه الحالة. هناك أولاً، الإسلام المتلبّن، أي الحركات الإسلامية التي تشارك في الانتخابات البرلمانية والبلدية، وبذلك فإنّها تسير على

وكان لكلّ ذلك أثره في توليد المناخ الملائم لصعود الحركات الإسلامية في المدينة ودفع أبنائها المستضعفين للانضمام في صفوفها. ولا ينبغي في هذا المجال أن نغفل مفعول انتصار الثورة الإيرانية على إحياء الخطاب الإسلامي إطاراً للتعبير عن المشاكل التي يعاني منها مسلمو المدينة ومرجعاً لتقديم الحلول الناجزة لها. وكان من تجليات انتشار الخطاب الإسلامي في مدينة طرابلس تحوّل «المقاومة الشعبية» ذات الأصول الشعبية واليسارية إلى حركة «تستند إلى الإسلام» وترى فيه «عنصر مقاومة للغرب ولافرزاته المحليّة». ويقوم خليل عكاوي، قائد هذه الحركة، بتوضيح هذا التحوّل حين يقول: «وقد وجدت بعد قيام الثورة الإيرانية أن ظهرت أمامنا حقائق جديدة غيرت من نظرتنا إلى دور الإسلام في حياة أمّتنا في واقعها الحاضر... وهكذا أصبحنا في موقعنا الحالي... وأصبح عملنا يتفاعل مع الجهد العام لجميع العاملين في الحركة الإسلامية من أجل قيام المشروع الإسلامي كمشروع حضاريّ قابل للحياة في عصرنا»<sup>(٧)</sup>.

وإذا كان لظروف الحرب الأهلية والصراعات الإقليمية دور مهمّ في استيلاء إمارة إسلامية في مدينة طرابلس، فإنّ التحوّل الذي طرأ على هذه الظروف والصراعات قد أدّى إلى انهيار الإمارة وتراجع نفوذ الحركات الإسلامية إلى الأحياء الشعبية في طرابلس القديمة (الأسواق القديمة والتبانة وغيرها). وهنا ينبغي التشديد على أهمية إعادة ترميم السلطة وأواليات عملها وتأثير ذلك على تراجع نفوذ

(٧) أنظر: ملفّ الشراع، الحركات الإسلامية في لبنان، ص ١١١، بدون تاريخ.

(٨) أنظر لائحة المستوصفات في طرابلس الواردة في الخصائص السكانية والواقع الاقتصادي والاجتماعي، طرابلس، ص ٨٧ و ٧٩-٨٠، إعداد مركز الأبحاث في معهد العلوم الاجتماعيّة- الجامعة اللبنانية ومشروع تحسين أحوال معيشة الفقراء في لبنان، منشورات وزارة الشؤون الاجتماعية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠٠١، بيروت.

(٩) للحصول على مسح إحصائي للواقع الاقتصادي والاجتماعي لمدينة طرابلس، أنظر: المصدر السابق.

(١٠) حول العلاقة بين التفاوت المناطقي وانتشار الحركات الإسلامية المتطرّقة أنظر: أديب نعمة، المصدر المذكور آنفاً.



الدولة وحلفائها المحليين، من أرباب عمل وكبار التجار والزعامة السياسية المحليّة، عن تلبية الخدمات الضرورية لحياة كريمة في المدينة.

نعود ونكرّر ثانية أنّ التركيز على الدولة وشكل حضورها في حياة المدينة إنّما يعود إلى اعتبارها عنصراً محورياً في خروج المدينة من زوارب البنى والعلاقات الأهلية إلى رحاب العلاقات المدنيّة وأسسها العقلانيّة. وحقيقة الأمر أنّ الدولة في لبنان لم تخرج بعد من طورها العثماني، رغم بعض السمات التي تشي بأنّها مؤسّسة عصريّة. فبدلاً من أن تكون مصنّعة للمواطنة والمواطنين، عبر آليات اشتغالها القانوني والدستوري والإداري والسياسي والتربوي والخدماتي والعسكري، فإنّها على العكس من ذلك، تشتغل وتعيد إنتاج ذاتها بطريقة تغذي بها الولاءات الأهلية والقيم الملازمة لها، الأمر الذي يقصي كلّ من وما هو من شأنه أن يمهد لنشوء علاقات مدنيّة وعقلانيّة عابرة للولاءات الأهلية الضيقة. وهذا يطبّق على دولة الجمهوريّة الأولى والثانية معاً. أمّا السمة العثمانيّة لدولتنا المعاصرة فتكمن أساساً في أنّها غير متحرّرة من القيود الأهلية للمجتمع، وهي تستمدّ أساساً شرعيّتها من تمثّلها لهذه القيود وتدخّلها المباشر وغير المباشر في إعادة لنتاجها. فلا الدولة أو السلطة تبادر إلى كسر القيود الأهلية وإرساء قواعد مدنيّة لحياة سكّان المدن، ولا هي تحتضن أيّ مبادرة مدنيّة قد تطلقها بعض القوى الاجتماعيّة لحمايتها والانطلاق منها نحو تأسيس مجتمع المواطنين وثقافة مدنيّة.

## طرابلس: الحرب الأهلية وعودة الدولة

كانت سنوات الحرب الأهلية (1975-1990) مناسبة لتشرذم مؤسّسات الدولة وانحلال سلطتها إلى العناصر التي تكوّن لحمتها والقوى المعارضة التي كانت تطمح إلى إصلاحها. وصحيح أنّ الحركات الإسلاميّة في طرابلس لم تكن طاغية في السنوات الأولى للحرب، إلّا أنّ الولاءات الأهلية من طائفيّة وجهويّة وعائليّة كانت حاضرة بصورة رئيسيّة في المدينة ومتغلغلة إلى هذا الحدّ أو ذاك في أوساط الأحزاب العلمانيّة والريكياليّة المعارضة. وبقيت القوى الأهلية والحزبيّة تتوزّع السيطرة على المدينة مع تراجع ملحوظ لسلطة الزعامة العائليّة التقليديّة إلى بداية الثمانينات حيث حدث انعطاف في الخارطة السياسيّة «للبلد»، الأمر الذي أدّى إلى سيطرة القوى الإسلاميّة عليها ممثّلة بأمراء «حركة التوحيد الإسلاميّة» وغيرها. لقد تصافرت عوامل عديدة أدّت إلى سيطرة الحركات الإسلاميّة على

مسار تحديد هويّة المدينة التي لا يمكن إغفالها لغاية الآن. وكان لارتباط الحكم في لبنان بالقوى الغربيّة المسيطرة على الدول العربيّة وخضوعه حتّى اندلاع الحرب ٧٥ لمعادلة سياسيّة تؤمّن سيطرة نسبيّة لرموز الطائفة المسيحيّة على رموز الطائفة الإسلاميّة، أثره الفعّال أيضاً في أبقاء هويّة المدينة عرضة للتماهي حيناً مع الدعوات القوميّة بشقيّها الناصريّ والبعثيّ والفلسطيني، وحيناً آخر مع الدعوات الرديكاليّة كالشيوعيّة والحركات التمردية ذات الطابع الشعبي، كحركة ٢٤ تشرين ومجموعة الغضب بقيادة علي عكاوي، وصولاً إلى الدعوات الإسلاميّة التي انتشرت بصورة لافتة بعد انتصار الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة (عام 1979)، وأقول نجم المقاومة الفلسطينيّة المسلّحة مع خروجها من مدينة طرابلس (عام 1983) التي شكّلت آخر مواقعها الفعّالة في لبنان. وممّا زاد في دفع أبناء المدينة إلى التوزّع والتقلّب بين هذه الهويّات كان انكماش السلطة في وجه مطالب القوى والفئات التي أفرزتها عمليّة التمدين قبل نشوب الحرب الأهلية عام ٧٥، واستبعادها لهم في مؤسّساتها التمثيليّة وبالتالي تكريسها للزعامات والبنى الأهلية. من هنا يمكن القول إنّ لو قدر للطامح الحاكم أن يحتضن مطالب ممثلي هذه القوى المدنيّة التي أفرزتها عمليّة التمدين لمدينة طرابلس، لكان قد فتح ثغرة في بنى العلاقات الأهلية السائدة، الأمر الذي كان بوسعها أن يؤدّي بالترديج إلى إرساء الهوية المدنيّة لمدينة طرابلس وتكريسها على حساب الهويّات الأهلية ومنها المذهبيّة.

ونضيف إلى العوامل التاريخيّة والسياسيّة العامل الاقتصادي والاجتماعي الذي كان له الدور الحاسم في رقد الهويّات الأهلية والمدنيّة المشار إليها بقوى اجتماعيّة حيّة كانت تسعى إلى تحسين شروطها الحيّاتيّة في قلب المدينة. منذ نشوء لبنان الكبير لم يهتم أصحاب القرار في الدولة بالمشاكل الاقتصاديّة والاجتماعيّة للمدينة، فتركّزت معظم خدمات الدولة في العاصمة وقسم من جبل لبنان لأسباب عديدة كان أهمّها التفاوت في أزمنة دخول الرأسماليّة إلى لبنان والبنية الطائفيّة، والعائليّة استطراداً، للسلطة<sup>(٥)</sup>. ورغم ذلك لم تكن طرابلس ومحيطها الريفيّ بمعزل عن مؤثرات التطور الرأسماليّ للبلد. فلقد رافق هذا التطور إنهاء جزئيّ للإنتاج الحرفيّ التقليدي<sup>(٦)</sup> ولقطاع الزراعة في الريف، كما أنّه أدّى إلى تطوير بعض الصناعات الرزاعيّة والصناعات الخفيفة كصناعة الأعذية والألبسة وما إلى ذلك، الأمر الذي أدّى إلى بروز فئات اجتماعيّة معوزة اصطدمت بعجز

(٥) أنظر بهذا الخصوص، أديب نعمة، الشمال: الخروج من النسيان، بدون تاريخ، إصدار وتوزيع مركز الدراسات الإنمائيّة والبلديّة.

(٦) أنظر: مها كيال وعاطف عطية، تحولات الزمن الأخير، لاسيّما الفصل الرابع والخامس، مختارات، بيروت، ٢٠٠١.

# مقاهي السياسيين في بيروت\*



## من الروشة إلى الزيتونة



### فيصل

والأكثر صحباً وتأثيراً وأهميّة وشهرة في جميع البلدان العربيّة، كان مطعم «فيصل» مقابل المدخل الرئيس للجامعة الأميركيّة ١٩٢٠.

ويروي السفير يوسف شديد أنّه، خلال «دراسته في الجامعة الأميركيّة، في ثلاثينات القرن الماضي، كانت تنتشر بين الطلاب الأفكار القوميّة العربيّة من طريق حلقات سرّيّة تعمل وتخطّط لنشر مبادئها القائمة على الدعوة إلى الوحدة العربيّة الشاملة ومقاومة الاستعمارين الفرنسيّ والإنكليزيّ في البلدان العربيّة.

ويروي أنّ سعيد عقل كان كثير التردّد على «فيصل»؛ وقد نظم، من على إحدى طاولاته الخشبيّة، إحدى أجمل قصائده، التي تغزّل فيها بإحدى الطالبات الجميلات التي كانت محطّ إعجاب الجميع ويقول فيها:

سمراء يا حلم الطفولة

وتمنّع الشفة البخيلة

لا تقتربي منّي وظلّي

فكرة لغدي جميلة

ويتذكّر أيضاً أنّ الهيئة الإداريّة لجمعية «العروة الوثقى» طلبت من سعيد عقل أن ينظم لها نشيداً يجسّد الحلم العربيّ، ومطلعه:

«للسور ولنا الملعب/والجناحان الخضيبان بنور العلى والعرب

ولنا القول الأبويّ والسماح اليعربيّ والسلاح

ولنا زرع الدنى/ قبياً زرق السنّا

ولنا سهلة الخيل من الهند إلى الأندلس»

قيام الكيان العبريّ الدخيل على الأرض العربيّة، عام ١٩٤٨، أحدث ما يشبه الزلزال في العالم العربيّ. وكان هذا الزلزال أشدّ وأقسى في لبنان عامّة، وبين طلاب جامعتهم الأميركيّة خاصّة وهم بأكثرّيّتهم عرب!

لقد حوّلت نكبة العروبة في فلسطين رومانسيّة الطلاب إلى عنفيّة وثوريّة؛ وأوّل مواليد هذا التحوّل كان التنظيم الذي أصبح، مع بداية ستينات القرن الماضي، يحمل اسم حركة القوميّين العرب، ثمّ تلاه تنظيم البعث.

# بتصرّف من كتاب «سنوات الجمر» (قيد الإعداد) للكاتب الصحفيّ سمير شاهين.

### دولتشي فيتا

مقهى الـ«دولتشي فيتا» هو الأشهر، بل الأكثر شهرة حتّى في العالم العربيّ. وتعود شهرته إلى أنّه كان أهمّ مقاهي الصحافة التي ازدهرت في العاصمة اللبنانيّة. والحقيقة أنّ تلك المقاهي التي كان الصحفيّون يلتقون فيها للنقاش وتبادل الرأي تحوّلت أيضاً إلى أماكن لقاء للأجئيين السياسيين العرب، ولناشطي الأحزاب العقائديّة اللبنانيّة والعربيّة، ولفئات المثقّفين على اختلافهم من لبنانيين وعرب، وأحياناً لعدد قليل من السياسيين اللبنانيين ذوي الميول اليساريّة أو المهتمّين برصد هذه الظاهرة.

وكان «شه بول» منتدى صحافيّاً يرتاده صباحاً الكثير من رواد «الدولتشي فيتا» لقراءة الصحف فقط.

عمر مقهى «الدولتشي فيتا» كان قصيراً: من ١٩٦٠ إلى نهاية السبعينات.



## خلاصة: المدينة ضماناً لتنوع المدينة

بعد هذا التصنيف للحالة الإسلامية في مدينة طرابلس، يبقى السؤال وارداً: ما هي هوية طرابلس بصفتها مدينة معاصرة تقع على تخوم الحداثة، وتتلقى آثار العولمة التي يشهدها لبنان والمنطقة منذ مدة؟ وهل يجوز أصلاً الكلام على هوية أحادية واختزالية لمدينة طرابلس، أم إن ذلك يلغي عنها صفتها المدنية؟

تشير التجارب التمديدية في العالم إلى افتقاد مثلتها في طرابلس (كما في المدن اللبنانية الأخرى) إلى عنصر حاسم يمنع التنوع بمختلف أشكاله من أن يتحول إلى عامل تشرذم وتفتت ومادة للاحتراب الأهلي. هذا العنصر هو المواطنة الملازمة لنشوء دولة المساواة والقانون. أما في طرابلس فإن العلاقات الأهلية من طائفية وعائلية وجهوية تشكل لحمه العلاقات الاجتماعية في المدينة وقاعدة لتنظيم علاقة المدينة مع السلطة. وغالباً ما تكون العلاقات الأهلية مادة الانضباط في النشاط الاقتصادي وقاعدة لتنظيم حركات المعارضة للسلطة وامتداداتها المحلية. إن الاصطفاف الأهلي لسكان المدينة الناتج عن سيطرة العلاقات الأهلية يؤدي إما إلى استتباع «الأخر» وفق التصنيف الأهلي السائد وإما إلى تهميشه أو إغائه. وإذا كان الاستتباع<sup>(١٤)</sup> هو السمة العامة لحالة السلم الأهلي البارد، فإن الدعوة إلى إلغاء «الأخر» وتهميشه تكون الطابع العام لتفاعل أهل المدينة خلال مراحل الاقتتال الأهلي<sup>(١٥)</sup>.

إن العلاقات الأهلية وعلاقات السيطرة المبنية في ثناياها لا تستولد فضاءً عاماً بما هو الشرط الأساسي لوجود مدينة لجميع سكانها. يسعى الأهل دائماً إلى إجهاض عملية توليد الفضاء العام ومنطق المصلحة العامة، لأنهما على نقيض تام مع استمرار دورهم في التعاطي مع «الشأن العام» وتديبره. إن شرط بقاء التنوع، الأهلي والمدني، وعلى رأسه التنوع الديني والمذهبي في المدينة، هو أن يتم إلغاء دور هذا التنوع من تدبير الشأن العام على المستويات السياسية والقانونية والاقتصادية. بذلك يتم تعطيل المفعول التفتيتي للعلاقات الأهلية، وتستوي التجربة التمديدية في طرابلس على قاعدة قبول التنوع المحايد سياسياً في إطار وحدة المواطنين وحقوقهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية تحت رعاية سلطة الدولة وامتداداتها المحلية.

طريق الانضواء في آلية السلطة في لبنان وتركيبها الطائفي والأهلي رغم خطابها الشمولي المتناقض مع مفهوم الوطن والوطنية. وتشكل جمعية المشاريع الخيرية والجماعة الإسلامية خير دليل على هذه الحالة الإسلامية المميزة<sup>(١١)</sup>. ويوجد ثانياً الإسلام المجاهد الذي يستخدم الحالة المتردية للفئات الشعبية في المدينة لينشر دعوته ووعوده الوردية. وي طرح هذا الإسلام نفسه جزءاً من الحالة الإسلامية المجاهدة على صعيد العالم العربي والإسلامي وحتى العالمي، وإنما جذوره تبقى مدنيّة<sup>(١٢)</sup> من دون إغفال البعد المتنامي للعولمة في تشكيل هذه الجذور (لاحظ على سبيل المثال سياسة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومفاعيل نشوء نظام إمبراطوري جديد بقيادة الولايات المتحدة على العالم العربي ومنه لبنان الخ...) وتشكل «لجان المساجد والأحياء» و«حركة التوحيد» إلى حد ما نموذجاً ساطعاً لهذا الصنف من الإسلام في مدينة طرابلس. كما ويأتي الإسلام المجاهد في هذا السياق ليقحم الفئات المهمشة في موقع القلب من المدينة عن طريق إشهار هويتها الإسلامية الإختزالية، والإعلان جهراً على مدخلها الجنوبي بأن طرابلس هي «قلعة المسلمين». ويتم ذلك كله كخطوة تعويضية عن التهميش والأوضاع المزرية التي يعيشها أبناء المدينة الفقراء، لاسيما النازحين الجدد إليها من ريف الضنيه وعكار. هكذا تلعب الهوية الإسلامية المجاهدة المفروضة على مدينة طرابلس دوراً حاسماً في القبض على فضاء المدينة وتنسب قسراً الفئات المهمشة إلى هذا الفضاء.

وأخيراً، هناك الإسلام المتصوّف الذي نجده في الأسواق والأحياء القديمة لمدينة طرابلس متجسداً بالطرق الصوفية وحلقات الذكر التي يحييها مريدو هذا الإسلام بين الحين والآخر. لهذا الصنف من الإسلام جذور عميقة في تاريخ طرابلس<sup>(١٣)</sup>، وهو لا يزال يتنازل في بيئة أهلية واقتصاد يقوم على الكفاف. ويجد مريدو هذا الإسلام في ممارسته منفذاً للولوج إلى فضاء مشبع بالقيم الماورائية ومولداً لحالات نفسانية من الاتحاد المتسامي عن/ والمتفارق مع الأحوال المعيشية الصعبة التي يعيشونها. وأخيراً، لا ينبغي أن نغفل أن الصنوف الثلاثة للحالة الإسلامية التي أشرنا إليها آنفاً تركز في قيامها كظواهر مدنيّة على الإسلام المعيشي بصفته الموروث الثقافي لأغلبية أبناء المدينة السنية.

(١١) للمزيد من التفصيل حول مسار تلبين الجماعة الإسلامية شاهد، على سبيل المثال، برنامج أحزاب لبنان، حلقة الجماعة الإسلامية، من سنة ١٩٦٤ إلى ٢٠٠٢، إنتاج الشركة الوطنية للإنتاج، بيروت.

(١٢) للتفصيل حول هذه النقطة أنظر:

(١٣) لمزيد من التفاصيل أنظر: محمد درنيقة، الطرق الصوفية ومشايخها في طرابلس الفحاء، دار الانتشار، طرابلس، لبنان، ١٩٨٤.

(١٤) وهو غير مفهوم الهيمنة في المنظور الغرامشي، ووضّاح شرارة وهو أوك من نوه إلى هذه المسألة في كتابه، حروب الاستتباع، دار الطليعة، ١٩٧٨، بيروت.

(١٥) في ظلّ العولمة ونشوء إمبراطورية جديدة بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، ينبغي التشديد على أن شرط وجود المواطنة لم يعد محصور ببنية الدولة بمفردها وآلية عملها، بل أصبح مربوطاً بسلطة النظام العالمي الجديد ومدى احترامه لحقوق المواطنين وسيادة أوطانهم واشتراك هذه الشعوب في اتخاذ القرارات في إدارة هذا النظام. هذا هو أحد أهداف الحركات المضادة للعولمة، وعليه تقترح مفهوم المواطنة الكوسموبوليتية كمرادف لجعل النظام العالمي ديمقراطياً وعادلاً.

# الابداع بين الواقع واللاواقع\*

سهيل مطر



## V- اللاواقع

هو الواقع نفسه، وقد قدّم بطريقة جديدة.

موضوع الفن وعلاقته بالواقع، تمثلاً أو اقتباساً، تمرّداً أو انقلاباً، هو موضوع شغل بال الفنانين والنقاد، منذ بدأت دراسة ظاهرة الفن، كلعبة جمالية، أو كشأن إنساني، أو كحركة توجيهية أخلاقية.

وإذا بدأنا موضوعنا بتجاوز ميزة العبقرية التي هي العلامة الفارقة في شخصية الفنان (ما هي العبقرية؟ كيف تأتي؟ التحليل النفسي؟ الشذوذ، الجنون، العامل الوراثي...)، فإنّ الواقع، بوجهته: الداخلية النفسية والخارجية الطبيعية، يطرح نفسه على الفنان، وبه تبدأ عملية التوليد التي تتخذ أشكالاً متعدّدة، يمكن التركيز على بعض ما عدّد الدارسون والنقاد من هذه الأشكال، وأهمها:

(1) النقاط الصور ثمّ الانتقاء بينها: فالفنان، كما الآلة، يلتقط الصور الحسية (بعينه، أو بأذنيه...)، يحفظها في الذاكرة، ثمّ يبدأ

■ الغربية والاعتراب: أنا غريب- العالم منفى- العالم صحراء- الرفض، الغضب، لا حلّ إلاّ بالجنون... أو الانتحار.

■ الصياغة الجديدة: عالم آخر.

## III- علاقة الإبداع بالسحر، بالدين، بالأسطورة

■ في العصور القديمة... الفن نضال جماعيّ: في خدمة المجتمع.

■ مع تطوّر الزمن: بدأت اللعبة الجمالية.

■ الصور تمتزج، تتفاعل، تصطدم، تتعارك، تتلاقح، تتناسل: صور جديدة.

■ الإبداع نقيض الاستنساخ.

■ الإبداع تقديم إنتاج جديد، لا تجديد القديم ولا تنقيحه ولا تعديله.

■ الإبداع ضدّ السلطة، ومع التغيير.

## VI- علاقة الإبداع بالجمال

■ المطلوب هو إبداع الجمال

■ الصياغة هي سرّ العبقرية

■ كيف أهمّ من ماذا ولماذا؟

## I- ما هو الإبداع؟ كيف يحصل؟ من هو المبدع؟ علاقة الفن بالإبداع؟

■ علاقة الإبداع بالشذوذ والجنون والعامل الوراثي (التحليل النفسي)

## II- علاقة الإبداع بالواقع

■ التقاط الصور والانتقاء بينها (الصناعة الفنية)

■ صراع العالمين: العالم الخارجي الموضوعي والعالم الداخلي الذاتي (مصرع الفريقين وولادة فريق ثالث...)

■ الإحساس بالتوتر وعدم الرضى: بين القديم والحديث، الصور الجديدة تلتهم القديمة.

■ اكتساب القدرات الفنية: مغامرة، اكتشاف، تكوّن... وضع تجريبيّ إبداعيّ لا يصل إلى نهاية.

■ فقدان التوازن: الجنون- التوتر- الشذوذ... صدام بين المثل والواقع، تمرّق بين الآفاق المضيئة والأنفاق المظلمة، صراع بين الطبيعة والحضارة.

\* مداخلة في مؤتمر: «الفنّ العربيّ المعاصر وقضايا الإنسانية»، بجامعة اليرموك- الأردن، أيار ٢٠٠٣.

## النجار، دبيبو، والغلاييني

أما المقاهي السياسيّة فأولها مقهى «النجار» في ساحة البرج، وكان مزدهراً أيام الانتداب الفرنسيّ.

وقد لا يعرف الكثيرون أنّ العديد من رجال آل الصلح اختصّوا بالتردد على مقاهٍ معيّنة؛ وأشهر المقاهي «الصلحيّة» هو مقهى دبيبو في الروشة: رياض الصلح، تقي الدين الصلح. واشتهر مقهى ومطعم الغلاييني في الروشة بـ سامي الصلح ورشيد الصلح، وهو الذي أُقيم مكانه اليوم منتجع «الموفنيك».

## العجمي

كما لا يعرف الكثيرون أنّ مطعم العجمي كان أشهر وأهمّ منتدى سياسيّ، وربّما اجتماعيّ، قبل عام ١٩٧٥. فالكثير من جلسات مجلس النوّاب كانت مساءً؛ وبمجرد انتهاء الجلسة، يسارع معظم النوّاب إلى مطعم العجمي القريب من المجلس، فيتقاطر الصحافيّون وراءهم، وتحوّل السهرات إلى منتدى سياسيّ صاخب.

## السان جورج

منتدى سياسيّ واجتماعيّ آخر مهمّ وشهير جداً، لبنانياً وعالمياً، هو فندق «السان جورج». وللحقيقة يمكن القول إنّ «السان جورج» كان يحتوي منتديات عدّة شهيرة: بلّاح، مطعم راق اشتهر بمأكله الفرنسيّة، بار أطلق عليه اسم «بار الجواسيس» على غرار بار فندق «نورماندي» وبار فندق «بالم بيتش».

## الكارلتون وبريستول

وفندق «السان جورج» لم يكن المنتدى الوحيد للسياسيين اللبنانيين، ففندق «الكارلتون» كان فندقاً شهابياً؛ ففي ١٧ آب ١٩٦٤، قرّر الشهابيون تأييد شارل حلو؛ لرئاسة الجمهوريّة. وفيه أقام الرئيس الياس سركيس عام ١٩٧٦ لإدارة معركة رئاسته. فيما اتخذ المرشّحون الآخرون: الشيخ ميشال الخوري ومانويل يونس، مقرّاً لنشاطاتهم في سبيل تلك المعركة فندق «البريستول».

## الكومودور

ولفندق «الكومودور» تاريخ مع أحداث عام ١٩٥٨، عندما تحوّل إلى مقرّاً ومنطلقاً للصحافيّين الأجانب، ثمّ خلال حرب ١٩٧٥ كذلك.



وأذكرُ أنّي اشتركتُ في تظاهرة طالبيّة صاخبة من الجامعة الأميركيّة إلى السراي الكبير، كانت أكثرّيّتها من حركة القوميّين العرب ومن البعثيّين بشعارات وحدويّة محضّة:

وحدة تحرّر تحرير ثار، دم حديد نار.

وعندما استقبل الرئيس سامي الصلح وفداً من المتظاهرين، بادروهم ضاحكاً: شو بابا هيدا شعار أو شاورما؟ إلى «دم حديد نار»! وبقيت هذه النادرة قيد التداول في حلقات مطعم فيصل، وبين الطلّاب عامّة، لمُدّة طويلة.

لا يمكن بحال تعداد الطلّاب أو الخريجين أو الأساتذة الذين «مروا» في «فيصل»، وشاركوا في نشاطاته.

وأشير هنا إلى أنّ الحملات التي كان يتعرّض لها عبد الناصر في حلقات مطعم «فيصل» لم تكن تقلّ عن مثيلاتها في الـ«دولتشي فيتا»، ومصدرها الأساسيّ البعثيّون من مختلف التيارات.

لم يكن الكثير من السياسيّين اللبنانيين يتردّدون على مطعم «فيصل»، عدا خريجي الجامعة الأميركيّة. غير أنّ حلقات مطعم «فيصل» العقائديّة لم تكن توقّف في حملاتها «النظام اللبناني»، بل كانت تشملها بالهجمات، وتعتبره جزءاً من «النظام العربيّ الواحد». كان مطعم «فيصل» أيضاً بمثابة «المعلّم»، تحرص الشخصيات اليساريّة العربيّة، عند زيارتها بيروت، على التردد عليه، والمشاركة في أجوائه.

في خمسينات وستينات وسبعينات القرن الماضي، ذاع الصيت «الثوريّ» لهذه المقاهي في العالم العربيّ وفي الخارج أيضاً. لكنّ بيروت كانت تنبض في المرحلة نفسها بمنتديات سياسيّة، كانت شهرتها لبنانية فقط، وتعكس النشاط العارم السياسيّ والاجتماعيّ للسياسيين وللصحافيّين اللبنانيين.

معظم هذه المنتديات تمثّل أيضاً بالمقاهي والمطاعم. فالعاصمة اللبنانيّة لم تعرف النوادي ذات العضويّة، والمقتصرة عضويّتها على الطبقات الغنيّة أو الحاكمة، إلّا أيام الانتداب الفرنسيّ، وقد بقي ثلاثة منها، بعد الاستقلال، هي: **النادي الفرنسيّ** في منطقة الزيتون، و**نادي بيروت** المواجه لسينما روكسي في ساحة البرج، و**نادي الأيرو كلوب** في حيّ السراسقة في الأشرفيّة.

## كيف تتشكل هذه الصياغة؟

نبتت الأمر إلى حدّه الأدنى: زهرة في الطبيعة، وردة أو دوّار شمس أو ياسمين. هذه هي المادّة أو الصورة التي تلقّاها الرّسام، أو الشاعر، أو النّحات... معه إلى جانب ذلك آلات ووسائل: حبر وألوان متعدّدة وريشة، كلمات وكلمات، حجارة وأخشاب...

## كيف تتولّد اللعبة الفنيّة؟

الصورة التي استوعبها الفنّان لم تعد صورة واحدة منفردة. لقد دخلت، بصورة كيميائية عجيبة، إلى ذاكرة الفنّان، امتزجت مع غيرها من الصور، تفاعلت، اصطدمت، تعاركت، تلاقحت... ثمّ تناسلت: ولّدت صورة جديدة... هي ابنة أمّها، لا بدّ، تشبهها، ربّما، ولكنها ليست هي: تمتاز عنها ببعض الجديد، ببعض الغريب، ببعض المعاصرة، ببعض الحداثة، لنقل: وقد تميّز بملامح فريدة لا يشاركها فيها أيّ إنتاج آخر. وهنا نزوة الإبداع، الذي هو النقيض الفعليّ لقاع الاستنساخ.

وهنا يجب التوقّف لتفسير هذه الظاهرة:

## الإبداع هو تقديم إنتاج جديد، لا تجديد القديم ولا تنقيحه ولا تعديله... من أين أتى

هذا الانتاج الجديد؟ إنه ثمرة الخبرات التي سبق للفنّان أن جمعها في ذاكرته، والتي تولّدت من هذا التلاقح الذي تمّ في ما بينها، وبدون ان تخضع لارادة صاحبها. متى يتمّ هذا التلاقح؟ هل هو نتيجة حبّ أو نفور؟ تجاذب أو تصادم؟ كيف يتمّ؟ فترة الحبّ كم تستلزم من الوقت؟ دقائق، سنوات...؟ كيف يقع التناسل؟ ما هي ظروف الولادة؟ أيّ مناخ قادر على أن يقوم بوظيفة القابلة القانونية؟ كيف تتمّ عمليّة السليخ والانسلاخ؟ هنا، تكثر الأسئلة. ولكن، لا بدّ من القول، إنّ الواقع الذي يعيش في الذاكرة ولّد واقعاً آخر، مختلفاً، نعجب له، يثير الدهشة، نتنكر له... ولكنه ابن شرعيّ لهذه الخبرات المعرفيّة

وما هو عبثي، في التفتّن وفي الواقع، ليتّصل دائماً بشيء من السحر». لماذا السحر؟ محاولة لتغيير العالم، لتغيير الواقع بهدف خلق واقع جديد. لم يكن الفن، في فجر الانسانيّة، على علاقة بالرغبة الجماليّة، بل كان أداة أو سلاحاً سحريّاً لدى الجماعة البشريّة في نضالها من أجل البقاء، ولهذا، لم يكن نتاجاً فرديّاً، بل جماعيّاً. وكان، بكلّ أشكاله (اللغة، الرقص، الأغاني، الطقوس)، يشكّل النشاط المشترك بين الجميع والذي يرفع الجميع فوق الطبيعة.

كان الفنّ في خدمة المجتمع. ومن هنا ارتباطه، حيناً بالسحر، وحيناً بالدين،

و حيناً بالعلم... إنه وسيلة لإعادة صياغة عالم جديد.

ومع تطوّر الزمن، بدأ الفنّان يستقلّ عن مجتمعه، يتطهّر منه، يتفرد وينفرد، وبدأ الجمال - ما هو الجمال؟ موضوع آخر - يلاعب مخيلته، وكان ما نسميه اليوم «اللعبة الجماليّة» والتي هي، كما سبق، إعادة صياغة الواقع، بحسب رؤيا جديدة.

وقد تمرّ هذه الصياغة، بمراحل، أو بأشكال متعدّدة، وقد تختلف من فنّان إلى

آخر، كما أنّها قد تتكوّن، بصورة واعية هادئة طبيعيّة، في فترة من حياة الفنّان، أو بصورة ملتهبة متوتّرة لا شعوريّة مجنونة، في فترة أخرى.

ربّما تمرّ سنوات ولا يستطيع فنّان أن يبدع قطعة فنيّة. وربّما، من جهة أخرى، تمرّ أيّام وشهور، فإذا بالفنّان أكثر من ناحية الكمّ، مبدع من ناحية الكيف، ولا هو يدري سبباً لذلك، سوى هذا الاشتعال المتدفّق الذي يضيء قلمه أو ريشته أو إيقاعاته الموسيقيّة، فتسمو بذلك لحظات العمر، التي هي، ولا بدّ، مادّة الخلود الذي يحرّض الفنّان على العمل وعلى مواجهة الزمان والنسيان والعمر.

وجمع كبير من الفنّانين، موسيقيين ورسّامين، كانوا يعيشون في منفي اجتماعي. كيف نفسّر غربة فان غوخ؟ كيف نفهم «جنون» مي زياده؟ كيف نحلّل وجع بيتهوفن ودموعه فيما الناس تصفّق لسمفونيّته التاسعة؟ أسئلة لا بدّ من محاولة الإجابة عليها من خلال فهم الصراع الذي يعتمل في نفس الفنّان. الفنّان يرفض الناس، يكرههم ربّما، يشمئزّ من ذوقهم ومن سلوكهم ومن كذبهم والنفاق. يهرب منهم ويرفض الواقع الذي يعيش. لماذا؟ لأنّ الواقع صعب ومرير وقبيح وشريّر... ماذا يريد الفنّان؟ أيّ واقع؟ الواقع الجديد الذي تشكّل في ذهنه والذي هو ثمرة التفاعلات بين صور متعدّدة تلاصقت وتداخلت في الذهن؟ من أين أتى هذا الواقع الجديد؟ من بقايا الواقع الذي مات، أو الذي تحرّر منه الفنّان أو حاول الإفلات من قيوده. هذا هو الإبداع. والمعركة تستمرّ بين واقعيين، ولا حلّ إلاّ بالجنون، أو... بالانتحار.

## ٦ الصياغة الجديدة أو إعادة التصيغ: بعد

جمع الصور وتخزينها وانتقاء المناسب منها، وبعد الصراعات المستمرّة التي يشهدها ذهن الفنّان ووجدانه، وبعد التوتر والغضب والوجع والغربة... وبعد الاتّهامات المختلفة، لا بدّ من استراحة، إبداعاً ما، سحراً ما، دعوة ما، انتحاراً ما... وهذا ربّما يأتي، في معظمه، تحت عنوان، خلق البدائل، وإعادة صياغة الوجود.

وهنا لا بدّ من استراحة نعود فيها إلى جذور الفنّ: هل كان الفن ضرباً من

السحر من أجل خلق عالم جديد؟ وهل امتزج بالدين من أجل هذه الغاية نفسها؟ ولماذا ارتبط الفنّ بالأسطورة؟

يقول أرنست فيشر Ernest Ficher في كتابه La nécessité de l'art ضرورة الفنّ: «إنّ الفنّ، في جميع أشكال تطوّره، في جدّه وفي هزله، في الاقتناع وفي المبالغة، في ما هو عاقل



ظهر وكأنه عالم جديد. إنه واقع جديد هو مزيج من الواقع الخارجي والواقع النفسي. وهذه هي المأساة الموحجة: الفنان يتمزق بين واقع وواقع: بين واقع يشده إلى فوق، وبين واقع أرضي يقف عليه ولا يستطيع الإفلات منه أو الفرار. كيف يمكن إقامة التوازن بين هذين الواقعيين؟

ربما يظن البعض أن الصراع يكمن بين الحضارة من جهة والطبيعة من جهة أخرى. فالفنان هو امتداد للطبيعة، هو الأنقى بين صورها والأجمل، هو الأكثر تعبيراً عنها في بدائيتها وشهوانيتها وفطرتها وطفولتها وعذريتها. فيما الحضارة هي الصورة الأوسع والأكثر إغراءً وتشويقاً. والاثنان: الحضارة والطبيعة، هما الواقع. أحدهما أي الحضارة، هي واقعنا المعيش يومياً: في المنزل، في الشارع، في وسائل الإعلام، في المدارس والجامعات... أما الطبيعة فهي الواقع الجذاب الذي ننهد إليه ونطمح، وهي في أعماق الأعماق، باقية، على حلاوة وإضاءة وبساطة وجمال... كيف نحقق التوازن بين الواقعيين؟ وتستمرّ المعركة ويستمرّ الإبداع. ولنتذكّر عبارة الرسّام موندريان: سيختفي الفن بمقدار ما تحقق الحياة مزيداً من التوازن.

(5) الغربة والاعتراب: كان جبران يقول: أنا غريب في هذا العالم... وكان أبو ماضي يقف في نيويورك ليقول: أنا أعيش في صحراء...

التحرّر والاستقلالية والنضج الكامل. ولا يستطيع فنان ما أن يدعي احتواء كلّ القدرات، وأن يتباهى بتحقيق كلّ طموحاته الفنية: إنّ الفنان الفنان لا يعرف عمراً ولا يعرف حداً، ولا يصل أبداً إلى نهاية. إنه دائماً في حالة مغامرة، في حالة اكتشاف، في حالة تكون، وربما في حالة عجز... ولهذا، فهو دائماً في وضع تجريبيّ أبداعيّ لعله يحقق، من خلال قدراته الفنية، ما يخفف عنه توتره والجنون.

(4) فقدان التوازن: هو مجنون؛ ما معنى هذا القول؟ هو متوتر؛ ما تعني هذه اللفظة؟ هو شاذ؛ لماذا؟

كيف نفسر هذه النعوت التي تطلق على الفنان، أيّ فنان، رسّاماً، نحّاتاً، راقصاً، موسيقياً، شاعراً...؟

إنّ الفنان، خلال العمر، وفي إطار ما يجمع من صور وما يحطّم، ومن ضمن بلورة قدراته الفنية، يرسم لنفسه أفاقاً ومثلاً علياً يحاول أن يحيهاها أو أن يصل إليها. ويبدأ الصدام بين هذه الأفاق المضيئة وبين الواقع المظلم.

وهنا، لا بدّ من الإشارة، أنّ الأفاق التي يحلم بها الفنان لم تكن من صنع الخيال المتوهّم. إنّها الواقع، وقد تفاعلت ملامحه وخيوطه، وتمازجت صورته، وتدافعت فيه الرؤى حتّى

بالاختيار، عفويّاً أو بصورة قصديّة إرادية، وذلك بحسب مزاجه الشخصي، وحالته النفسية، وتطوّرات عمره، وتراكماته الثقافية، والعادات والتقاليد التي ينشأ عليها في وسطه الاجتماعيّ (النمط النفسيّ - أوضاع الطفولة - الانفعالات الوجدانية - التأثيرات التربويّة - الإطار الاجتماعيّ...).

فالفنان يتلقّى المؤثرات الجماليّة (الجماليّة نسبيّة؟) من الواقع، ثمّ يعتمد إلى تخزينها بصورة غير منتظمة، وبذلك يبدأ التفاعل فيما بينها، وتنشأ علاقات جديدة بين الصور المتراكمة (الحالم)، ثمّ تولد نتيجة ذلك صور جديدة غير تلك المحفوظة في الذاكرة. إنّها «الصناعة» الفنية... إنه اغتيال الواقع بهدف التحرّر منه. إنه قتل الأب بهدف بناء شخصية ذاتية وتوكيدها.

إنّ عمليّة التلقّي والامتصاص تؤكّد أنّ صراع العالمين في الفنان: العالم الخارجي الموضوعي، والعالم الداخليّ الذاتي، هو صراع وجوديّ متطرّف: يحاول الواحد منهما أن ينتصر على الآخر، ولكنّ النتيجة تكون بمصرع الفريقين، ليتولّد من امتزاج دمائهما، المولود الفنّي الذي يتميّز عن كليهما وإنّ كان يشبههما معاً. تُراه هذا هو الإبداع؟

(2) الاحساس بالتوتر وعدم الرضى: إنّ تخزين الصور في ذاكرة الفنان عمليّة متطوّرة ديناميكيّة الحركة. إنّهُ يتلقّى باستمرار، وإنّ بتناقض وتعارض أحياناً، صوراً جديدة تلتهم القديمة أو العكس. صور قويّة ملتصقة، بعنف، بشخصيّة الفنان، تنقضّ على صور ضعيفة، وإنّ حديثة أو جميلة. المعركة لا تنتهي ولا تتوقّف... هي معركة وجود الفنان منذ طفولته وحتى نهاية العمر. وهو يعيش حالة التوتر. ترى، هل يكون الإبداع نتيجة هذا التوتر الغامض؟

(3) اكتساب القدرات الفنية: وهي تمتدّ طيلة العمر، جمعاً وتحطيماً وتجريباً، وصولاً إلى



الأب بطرس طريبه  
رئيس جامعة سيّدة اللويزة

## العربيّة وتحدّيات العولمة\*

أيّها الأصدقاء

شكراً لدعوتكم، وأحيي منظمي هذا اللقاء، وأخصّ بالشكر السيّد العميد الدكتور الشيخ عبد الناصر جبيري.

أمّا بعد،

اللغات الأوروبية وخاصة الإنكليزية، أوسع اللغات استيعاباً للشبكات الإلكترونية وللبرامج التعليمية والبحثية الإلكترونية. فكيف توفّق بين هذا المدّ الكاسح لوسائل الاتصال والاستطلاع التي تأتيك بها اللغات الأجنبية وأنت تقف مكتوف اليدين تجاه لغتك الأمّ تريد لها تقدماً وازدهاراً وتبحث لها عن السبل المختلفة لهذا التقدّم والازدهار؟

٢- حركة الترجمة إلى اللغة العربيّة تبدو وفق دراسات الأمم المتحدة الأقلّ نسبة من الترجمات إلى سائر اللغات الحيّة. وهذه النسبة لا تتجاوز الستة بالمئة من معدّل الترجمات التي تنقل التراث الفكريّ والأدبيّ من لغة حيّة معاصرة إلى لغة أخرى من اللغات الحضاريّة في الشرق والغرب، وفي الشمال والجنوب. نادي بتعريب العلوم ونحن لا ننتج علماً. ومقابل إنتاجنا البارز للأدب العربيّ ولبعض الفلسفة وسائر العلوم الإنسانيّة، نجدنا مقصّرين عن تعريب الكلاسيكيّات الأدبيّة والفكريّة، قديمها والجديد من القارّات الخمس ومن مختلف الحضارات الإنسانيّة، فماذا ترانا فعلنا في هذا المجال؟ أين دور منظّمات الأونسكو والجامعة العربيّة ومعاهد التعريب ومراكز الترجمة في العالم العربيّ؟ ماذا ننتظر لنقل معالم الحضارات، كلّ الحضارات إلى لغة الضادّ؟

فإنّ حضورني اليوم، بعد انعقاد ندوة «اللغة العربيّة... إلى أين؟» في جامعتنا منذ شهر تقريباً، يرمز إلى ضرورة تعاوننا جميعاً، رسميين وأكاديميين وتربويين، في معالجة أوضاع اللغة العربيّة ووجوب تحديثها. ومن موقعي كرئيس جامعة وكراهب مارونيّ وكمسؤول تربويّ، أدعو معكم إلى صيانة هذه اللغة؛ فهي بالنسبة لنا لغة دراسة، ولغة صلاة، ولغة أصالة. ولكنّ التنظير في هذا الموضوع لا يكفي، ونحن نحيا في مدارسنا والجامعات، معاناة تستمرّ أكثر من خمس عشرة سنة، لا يصل فيها الطالب إلى إتقان اللغة العربيّة.

لهذا، فإنّ طرح مسألة اللغة العربيّة أمام تحدّيات العولمة تشير إلى إشكالات التحديّ التي اختصرها بثلاثة، ثمّ أعود إلى الاقتراحات.

الاشكالات متعدّدة، لكن يمكن اختصارها بالآتي:

٣- تبدو برامج التعليم العالي المخصّصة لتدريس اللغة العربيّة والأدب العربيّ القديم والحديث بعيدة عن كلّ الوسائل الحديثة والمغريات التقنيّة المعاصرة التي تستغلّها اللغات الأخرى إلى أبعد

١- تكنولوجيا العصر تقتحم حدود المعرفة بوسائلها وتقنيّاتها، ولغة استعمالها والتعاطي معها، إذ بات من شبه المستحيل أن تواكب ما يقودك إليه الكمبيوتر، وما تحريك به الإنترنت من دون إتقان لغة من

\* مداخلة في مؤتمر نظمه معهد الدّعوة الجامعيّ للدراسات الإسلاميّة، بيروت، ١٥ نيسان ٢٠٠٣.



التي تشكّل ذات الفنّان وحياته وفضاء إبداعاته.

من هنا، القول، إنّ الإبداع يهدف إلى التغيير. ولهذا، فهو ضدّ السلطة، كلّ سلطة، ولا عجب من الصراع بين الحرية وبين السلطة.

أعود إلى الزهرة: إنّها زهرة الطبيعة التي رأيته بعيني، وشممتها بأنفي، ولمستها بأصابعي، ولكنها تحوّلت مع «فان غوغ» إلى زهرة أخرى. من أين أتت هذه الزهرة الجديدة التي تشبه الأولى، ولكنها ليست الأولى؟ الجواب هو من عملية الولادة التي كانت مخيِّلة الفنّان مختبراً لها. دوّار الشمس تلاقح مع غيره، امتزج وتفاعل، توافرت ظروف مأساوية مع «فان غوغ»، فكانت ولادة «دوّار الشمس» الجديدة والتي هي أخلد من الحقيقية وأجمل.

وأصل هنا إلى لفظة «الجمال»... ولا أدخل في تفاصيل تعريفه وفي فلسفة علم الجمال.

نبسّط الموضوع: نأخذ قطعة قماش، أو بضعة غرامات من الألماس. نقدّمها إلى خيَّاط فنّان أو إلى صائغ فنّان، يجعل منها «شيئاً» فنياً. إذا قدّمناها لآخر، نخجل أن نرتدي ما يصيغ، ما يخيّط، أو ما يصهر في خاتم أو أسوارة.

البضاعة هي نفسها، ما الذي تغيّر؟ تغيّرت طريقة الصياغة... التي هي سرّ العبقرية. ليس المهمّ ماذا نرسم، بل كيف نرسم؟ ليس المهمّ ماذا نكتب، بل كيف نكتب؟

الصفات التي نسبها المتنبيّ لسيف الدولة هي الصفات المعروفة في المديح عند العرب: الكرم، البطولة، الشجاعة، الصدق، النبل، المروءة... لقد حولها الشاعر إلى نص أدبيّ فنيّ خالد منذ أكثر من ألف سنة. ما هي هذه القدرة التي امتلكها المتنبيّ؟ إنّها قدرة عجابية، لا يمكننا تعلّمها أو تفسيرها، إنّما هي نتيجة هذا المختبر من الصور والخبرات التي تحتشد في ذهن الفنّان، والتي هي

قادرة على استيلاء صور جديدة وإبداعات خالدة.

يبقى الأهمّ والمهمّ أكثر: أن تبتكر هذا هو المهمّ، ولكنّ الأهمّ هو أن تبتكر أشياء جميلة وأن تتعد عن المخلوقات القبيحة والكريهة.

يقول أحدهم: إنّني أبدعت صورةً جديدة أو قطعة موسيقية لم يسبقني إليها أحد... معه حقّ، أقول، ولكنني أضيف: ولكنها قبيحة... هنا يبدأ الصراع الفنيّ الذي نعيش في ظلاله، والذي يصل أحياناً إلى حدّ الشجار والإلغاء المخيف لرأي الآخر.

أعطي مثلاً: أقول لطلّابي في الجامعة، من يستطيع منكم أن يبتكر صورة جديدة للشعر الأشقر؟

وبعد دقائق من الصمت والبحث ومحاولة إيجاد الصورة، يلتفت أحدهم ويقول لي: وجدت صورة جديدة: شعرها أشقر كالتين المطبوخ.

نعم، إنّها صورة جديدة لم يسبق إليها في تاريخ الأدب، ولكنّ لا بدّ من الملاحظة أنّها صورة غير جميلة، وسخة، تثير الضحك... صاحبنا مبدع، ولكنّ أيّ إبداع هو؟ من أين أتى بهذه الصورة؟ أجيب: من مختبر مخيّلته.

فيما يقول نزار قبّاني متحدثاً عن شعر حبيبته الأشقر:

**سارت معي والشعر يلهث خلفها**

**كسنا بل تركت بغير حصاد.**

الصورة جميلة، مبتكرة، مثيرة للخيال... من أين أتى بها نزار قبّاني؟ أجيب أيضاً: من مختبر مخيّلته الغنيّ بمشاهد السنا بل والحصاد والقمح والبيادر...

أنهي هذه الناحية بأنّ المهمّ هو أن تبتكر أشياء جميلة، لا رسوماً قبيحة، ولا موسيقى هادرة مطنطنة، ولا شعراً لا تعرف أوّل من آخره. عيب، تحت عنوان الابتكار، أن تأتي ببشاعات نشوّه بواسطتها حقائق الفن.

أيّها الأصدقاء

أنهيت مداخلتني؟.. نعم. ولكن لا بدّ من الإجابة على السؤال: ما هو اللاواقع؟ إنّه الواقع نفسه، وقد قدّم لنا بطريقة جديدة.

نحترم الكلاسيكية، نقدّر قيمها وتقاليدها، نثور عليها مع الرومنطيقية، نحترم مشاعر هذه وانفعالاتها الخاصة أو الذاتية، نرفضها باسم البرناسية أو الرمزية، ونميل معهما- البرناسية والرمزية- إلى حيث الفن للفن، والجمال للجمال... ثمّ نتجه يميناً إلى الطبيعية ويساراً إلى الواقعية... ونصل في الختام إلى اللاواقعية والسريرية... ما يعني ذلك؟ يعني أننا لا نزال في الواقع، وأنّ الخزان لا يزال هو نفسه، ولكنّ الظروف والأساليب والطرق تتبدّل... واللاواقع يكون واقعاً آخر... وإنّ اختلافنا في تفسيره وتحليله وفهمه... وإنّ غيّب عنا تحت نقاب من الصور غير المفهومة...

...«وقصص ورق ساويهم ناس». وفي الختام: لا جديد تحت الشمس.

ولا تعديله...  
لا تجريد القديم ولا تنقيحه  
الإبداع هو تقديم إنتاج جديد،

# المدارس والجامعات:

## الصعوبات والآفاق، وكيف يمكن تحسين العلاقة؟\*



الأب مروان تابت م.ل.  
الأمين العام للمدارس  
الكاثوليكية في لبنان

ينقسم موضوعي إلى قسمين:

- 1- الصعوبات التي تحاصر العلاقة بين الجامعات والمدارس
- 2- نوعية العلاقة المستقبلية

لا ندرى إذا كنا نملك أجوبة على هذه الأسئلة؟ قد يقول قائل: من الطبيعيّ الإجابة على أسئلة من هذا النوع بـ«النعم»، والنعم الكبيرة. لكنّ الواقع ليس بحجم المرتجى: فلقد بحثتُ خلال إعداد هذه المداخلة ولم أر أيّ كلمة كتبت أو أيّ مقالٍ له تأثيره نُشر في هذا المجال، ليس فقط على مستوى الوطن، بل على مستوى المدارس والجامعات الكاثوليكية وأقلّه في حدّ أدنى!

### 1- 2 في مجال الصعوبة الثانية: في نوعية العلاقة

فإنّنا تناولت الصعوبة الأولى «الشكل الكبير»، فإنّ الصعوبة الثانية في هذه العلاقة تكمن في «المضمون الكبير».

■ هل العلاقة بين الجامعات والمدارس هي علاقة تقنية قائمة على محاولة دؤوبة ومثابرة من الجامعات لاستقطاب طلاب هذه المدرسة أو تلك ليكونوا يوماً من الأيام طلاباً جامعيين؟

■ السؤال الثاني وهو جدليّ بطبيعته، وغايته فقط تقريب الفكرة التي أريد أن أصوّب عليها: ماذا لو كانت الجامعات اللبنانية، على سبيل المثال، تستقطب كلّ طلابها من خارج لبنان (من دون أيّ طالب من أيّ مدرسة في لبنان)، هل كانت قطعت علاقته مع هذه المدارس؟ هل يبقى هناك أيّ علاقة قائمة بين الجامعات والمدارس؟ من في الجامعة يقيم علاقة مع المدارس خارج إطار مكاتب القبول أو مكاتب التوجيه الأكاديمي أو مكاتب المساعدات الماليّة؟ أو خارج الصداقات الشخصية؟

### 1- الصعوبات التي تحاصر العلاقة بين الجامعات والمدارس

علنا نريد اليوم أن نلقي الضوء على صعوبتين أساسيتين وتحديين أساسيين:

الصعوبة الأولى تمن في المستوى الفكريّ أو الفلسفيّ للعلاقة، والصعوبة الثانية تكمن في نوعية العلاقة القائمة.

### 1- 1 في مجال الصعوبة الأولى: على المستوى الفكريّ أو الفلسفيّ،

العلاقة بين الجامعات والمدارس علاقة غير واضحة. إنّ الجامعات والمدارس العاملة في لبنان لم تستطع حتى اليوم الإجابة عن هذا النوع من الأسئلة:

■ هل مشروع المدرسة ومشروع الجامعة مشروعان متكاملان؟

■ هل تنظر الجامعة إلى المدرسة على أنّ الأخيرة مربيّة الطلاب الذين سيأتون إليها لاحقاً بهدف التدريب على التعلّم المستمرّ مدى الحياة؟

■ هل تنظر المدرسة إلى الجامعة على أنّها المؤسسة التي تشكّل فكرياً ومهنيّاً وتقنيّاً أولئك الشبان الذين كانوا يوماً من الأيام أطفالاً يتعلّمون ويتربّون في رحابها؟

\* من لقاء نظّمته جامعة سيّدة اللوزية مع مدراء المدارس.

## سيّدة اللويزة.. في النبطيّة!

بدعوة من النائب الأستاذ علي عسيّران، قام رئيس جامعة سيّدة اللويزة الأب بطرس طريبه، يرافقه الدكتور جورج عيد والأستاذ سهيل مطر، بزيارة منطقة النبطيّة، حيث تعرّفوا إلى معالمها وأوضاعها التربويّة. كما قاموا بجولة في أنحاء المدرسة الزراعيّة التي أسّسها الراحل الكبير دولة الرئيس عادل عسيّران.

وقد تداول الحاضرون في شؤون المنطقة وأوضاع التعليم العالي، بهدف وضع آليّة لتعاون مستمرّ في هذا المجال.



نموذجي آخر. يبقى علينا أن نعرف كيف نجبّ الطالب بالنصّين وكيف ندفعه للتعاطي معهما تعاظياً حيّاً متفاعلاً.

ما يجمع هذه الاقتراحات الثلاثة فكرة واحدة تدعو إلى إزالة الشعور بالغربة بين الطالب العربيّ ولغته العربيّة. لذا، أدعو إلى تضافر الجهود لبناء علاقة من الصداقة الوثيقة بين اللغة العربيّة وأبنائها، صداقة تعيد بريق لغتنا إلى ما كان عليه وما يمكنه من مواكبة العصر والتعبير عنه تعبيراً راقياً وبلغياً.

أيّها الأصدقاء،

أجدّد شكري لمعهد الدعوة الجامعيّ للدراسات الإسلاميّة، أملاً له الازدهار، مؤكّداً الرغبة الدائمة في التعاون والتواصل، لما فيه خدمة الثقافة والتربية وأجيالنا الجديدة. وشكراً لكم.

حدّ وتوظّفها في سبيل خدمة لغاتها والتعاطي مع تلك اللغات تعاظياً تقنيّاً متفاعلاً إلى جانب التعاطي التآلفيّ إبداعاً كان ذلك أو بحثاً أو دراسة موضوعيّة، أو نصّاً علميّاً أو فلسفيّاً. تجاه هذا المدّ التقنيّ على أنواعه وقدراته، كيف نوفّق بين تمسّكنا باللغة وإطلاق سراحها من سجن التقليد والكلاسيكيّة إلى رحاب الفضاء المعاصر بكلّ ما يقدّمه لنا من تقنيّات حديثة؟

تجاه هذه الاشكالات الثلاثة، لا بدّ من طرح بعض الأفكار التي قد تسهم في التوصل إلى حلول واقعيّة تلبيّ حاجاتنا اللغويّة وطموحاتنا الفكرية في آن:

**أولاً:** لا بدّ من القيام بورشة لغويّة عربيّة انطلاقاً من برامج الكومبيوتر على اختلاف أنواعها. فمن عثرات اتقان العربيّة في زمننا أنّ البرامج الإلكترونيّة تأتينا جميعاً بلغات أوروبيّة، وفي طبيعتها الانكليزيّة؛ ومن يتقن هذه البرامج، يشعر بأنّه لم يعد بحاجة إلى اتقان العربيّة. فثمة نوع من الغربة بين تلك البرامج واللغة العربيّة، الأمر الذي يجب تداركه عن طريق المباشرة بورشة كبرى، تتولّى ترجمة أو وضع البرامج الإلكترونيّة بالعربيّة في مختلف شؤون المعرفة.

**ثانياً:** لا يجوز بعد اليوم أن يبقى العالم العربيّ في غربة عن سائر الحضارات الانسانيّة. فحركة الترجمة والتعريب التي كُنّا السبّاقين إليها منذ العصر العباسيّ مسألة حيويّة وماسّة على الصعيدين اللغويّ والفكريّ. لذا لا بدّ من المباشرة بحركة ترجمة للأثار الأدبيّة والفلسفيّة بشكل منتظم ومتكامل ينقل كلاسيكيّات

التراث العالميّ إلى لغة الضاد. فمانا ترجمنا حتّى اليوم من الآداب الصينيّة واليابانيّة والروسيّة والهنديّة واللاتينيّة والأفريقيّة وحتى الإنكليزيّة والفرنسيّة؟ مانا وضعنا بين أيدي القارئ العربيّ حتّى اليوم من معالم كبرى للنتاج الإنسانيّ حول العالم؟

**ثالثاً:** نقترح إعادة النظر في برامج التعليم العالي لدوائر اللغة العربيّة وآدابها في مختلف الجامعات العربيّة. فنسبة الطّلاب الجامعيين الملتحقين باختصاص الأدب العربيّ نسبة تتضاءل عاماً بعد عامّ ليس فقط لتراجع احتياجات السوق الاقتصاديّة لهذا الاختصاص، ولكن أيضاً لإبقاء منهجيّات التعليم في هذه الدوائر على ما كانت عليه منذ عشرات السنين من دون الأخذ بالمنهجيّات الحديثة والاستفادة منها. فالأدب العربيّ القديم نصّ نموذجيّ، والأدب العربيّ الحديث نصّ

هل نتعاطى مع كل الأمور كتربويين وكأكاديميين؟ إننا ننظر إلى هذه الحالات من منظار تربوي تنموي واختباري أيضاً في عملية البحث العلمي الذي نتحدث عنه. فالمرجى هو أن تتبادل المدارس هذه المعلومات مع الجامعات، وأيضاً أن تشاركها المعلومات حول المواهب التي يتمتع بها طلابها. فلماذا، لا نرى في معظم جامعاتنا «جوقة» أو «أوركسترا» مع أننا إذا نظرنا إلى المواهب الفردية الموجودة فيها نراها أكثر من أن تعد أو تحصى؟ وهنا تقع مسؤولية المدارس في أن تشارك قصص نجاح طلابها المميزين مع الجامعة، ولا تستبعد هذه الأخيرة عن الحصول على هذه المعلومات.

### ٢-٣ المستوى التفاعلي

نقصد بالمستوى التفاعلي العلاقات العامة. بكلام آخر، نتساءل من هم طلاب الجامعات؟ هم طلاب المدارس. هم «خريجو» المدارس. فلتكن العلاقة أيضاً تكاملية في هذا المجال. تسعى في هذه الأيام كثير من المدارس إلى تشكيل رابطات للقدامى وإلى جمعهم، ولعل الجامعات مكان أساسي لمساعدة المدارس على تحقيق هذا المسعى. بالطبع كل جامعة تريد أن تكتسب في يوم من الأيام كل خريج فيها ليكون في عداد رابطة القدامى فيها، لكن في الوقت نفسه على الجامعات أن تبقى أمينة للمدارس التي خرّجت هذه الأعداد الكبيرة من الطلاب وأن تسعى إلى مساعدتها في تحقيق هذا المسعى. [تشكو المدارس مرّات كثيرة من أن الجامعات لا تعلق على ألواح إعلاناتها دعوات للطلاب من خريجي هذه المدرسة أو تلك للاجتماعات]. لكن، من المحبذ أن تكون هذه العلاقة طبيعية وعفوية وتنموية وسلسلة أيضاً.

باختصار، نتحدث اليوم عن صعوبتين: الصعوبة الأولى على المستوى الفلسفي أي عمّا إذا كان المشروعان: مشروع المدرسة ومشروع الجامعة، متكاملين. والصعوبة الثانية، على المستوى التقني، تتمثل في أن معظم مبادرات الجامعات باتجاه المدارس هي مبادرات استقطابية للطلاب. ونتحدث أيضاً عن نوعية العلاقات المستقبلية المرجوة على المستوى التنموي الفكري والمستوى الأكاديمي والمستوى التفاعلي وطابع العلاقات العامة فيها.

**نحضر دائماً ونخطط لمستقبل أولادنا، فهل نسأل  
ذواتنا كيف نحضر أولادنا للمستقبل؟**

هو المجال الذي يكتسب طابعاً أكاديمياً بحثياً للعلاقة، وليس فقط طابعاً تربوياً. وأعطي هنا إمكانيّتين للتعاون الفكري ذي الطابع الأكاديمي.

■ **المجال الأول** هو القيام ببحث ميداني مبني على المعلومات المتوافرة حول الطلاب خلال مراحل دراستهم الثانوية والجامعية. ماذا لو قامت، على سبيل المثال، عناصر أكاديمية من الجامعة، وتربويون من المدارس بمتابعة ٢٠٠ طالب، كان نتاجهم التربوي متوسطاً في المدرسة أو متفوقاً، لنرى كيف كان تحصيلهم العلمي في الجامعة؟ ما هي الاتجاهات؟ ما هو الرابط بين نوعية التحصيل في الجامعة ونوعية التحصيل المدرسي. هل كل متفوق في المدرسة متفوق في الجامعة؟ هل كل متوسط الحال تربوياً في المدرسة هو متوسط الحال تربوياً في الجامعة؟ إن دراسات من هذا النوع توسّع من جهة مداركنا، ومن جهة ثانية تغني مكتبتنا التربوية المحتاجة إلى الكثير من الأبحاث الميدانية في هذا المجال.

■ **مجال ثانٍ** للدراسة على المستوى الفكري الأكاديمي يجعلنا نطرح السؤال حول نوعية «المعلوماتية الإستراتيجية» (Feedback) الذي تقدّمه الجامعات للمدارس حول الطلاب الوافدين منها إليها. فالمدارس بحاجة أيضاً أن تعرف أين أخفق طلابها وأين حقّق هؤلاء نجاحات؟ نعلم ونذكر أن بعض الجامعات، ومنها جامعة سيّدة اللويزة، باتت تتشارك بعضاً من هذه المعلومات مع المدارس، تُخبرها عن أحوال طلابها وعن مستواهم ومستوى تحصيلهم في الجامعة. لكننا نرغب في أن نرى «مأسسة» لهذه العلاقة، بتعبير آخر أن تصبح دورية ومنهجية وطبيعية وسلسلة. تساهم الجامعات في هذا المسعى، أي تساعد على اختبار إستراتيجي أساسه في كثير من الأحيان المعلومات الإحصائية (Statistiques) والأرقام. في المقابل، نرغب في أن نرى المدارس تقدّم للجامعات معلومات عن طلابها من شأنها أن تساعد في الانتباه على الطلاب (Attention)؛ و«الانتباه» هنا لا يعني «الانتباه منهم» بهدف العقاب بل «الانتباه عليهم» بهدف «المرافقة». على المدارس ألا تخفي عن الجامعات المشاكل الحساسة التي يختبرها الطالب. فمثلاً: إذا كانت المدرسة تعرف أن هناك طالباً ما ميّلاً إلى العنف، من المفترض ألا تخفي هذه المعلومة عن الجامعة خوفاً من أن تعتمد الجامعة إلى رفض الطالب، بل إلى التنبيه لحاجاته ومساعدته، لكي تأتي العملية التربوية كما نريدها: «تربية كل إنسان وكل الإنسان»، أقله كما تؤمن به المؤسسات الكاثوليكية. والسؤال يبقى:

■ كلنا يعلم أن الهيئات التعليمية الموجودة في المدارس بحاجة إلى تدريب مستمر أو متواصل، وكلنا يعلم أن الجامعات تضم كليات أو دوائر للتربية فيها أكاديميون مشهود لهم ولقدراتهم ولخبراتهم... فما هو دور الجامعات مثلاً في مناطق وجودها في عملية تدريب الهيئات الموجودة في المدارس التي تحيط بها؟ هل هناك مبادرات نبوية على هذا الصعيد؟

■ كلنا يعلم أن المدارس تتطلع أكثر فأكثر إلى تدريب أساتذتها على موضوع إدخال التكنولوجيا (Use of overhead projector and power point presentations) في صلب عملهم التربوي والعملية التربوية... لماذا لا تبادر الجامعات بشكل عام إلى تدريب (ولو بعدد محدود) معلّمي هذه المدارس في موادّ محدودة وفي مجالات محدودة مثلاً: طرائق التعليم الحديثة، أو التقنيات الحديثة التي تساعدهم على تحسين مستوى أدائهم داخل الصف؟

إنّ في العلاقة التنموية أرى دوراً تدريبياً للأكاديميين الجامعيين في المدارس. نعلم كلّ العلم أنّ موضوع التدريب المستمرّ يجب أن يصبح جزءاً لا يتجزأ من العملية التربوية في المدارس، وندرك كلّ الإدراك أيضاً أنه لا يمكن لا لجامعة سيّدة اللبيرة ولا لأيّ جامعة أخرى أن تقوم بمهامّ التدريب وحدها، وإلاّ استنفذت قوى أعضاء هيئتها التعليمية، وهي بالطبع لا تكفي كلّ المدارس. أمّنتنا بالتحديد هي أن تؤمن بالمشروع التنمويّ وأن تستثمر فيه الوقت والجهد. نتكلّم هنا عن مبادرة معيّنة في مجال واحد على الأقلّ. لا نقول إنّ على الجامعات أن تدرّب أعضاء الهيئة التعليمية في كلّ مدرسة، فهذه مسؤولية المدارس. لكنّ، على الأقلّ، أن تنتقي الجامعة ناحية واحدة وتدرّب أعضاء الهيئة التعليمية في المدارس المجاورة لها على هذه الناحية.

وأطرح أيضاً المجال التدريبيّ الثاني بسؤال:

■ كلنا يعلم حاجة المدارس إلى تحسين أداء فريقها الماليّ أو محاسبيها. هل من الممكن أن تبادر الجامعات من خلال كليات إدارة الأعمال فيها أو عبر برنامج التمويل والمحاسبة إلى المساهمة في هذا الموضوع مثلاً في المدارس الواقعة في نطاقها الجغرافيّ أقلّه؟

إنّي لا أريد أن ألقى بكلامي عبثاً على كاهل الجامعات. هذه القدرات موجودة والطاقات متوافرة، وإنّ كلّتها مالا، فالكلفة قليلة. لكنّ، لنفكّر معاً بحجم الفائدة المرجوة من جهد كهذا، فالعائد على الاستثمار هو أكبر بكثير جداً من كلفة الاستثمار. إنّ المستوى الأوّل هو المستوى التنمويّ الذي له الطابع التدريبيّ، والذي يحتاج إلى مبادرات نبوية لا كلاسيكية.

حتّى اليوم لم نرَ علاقة قائمة بين المؤسسات الجامعية والمؤسسات المدرسية خارج هذا الإطار، إطار استقطاب الجامعات لطلاب من المدارس. حتّى في هذا المجال بقيت العلاقة في الحدود الدنيا. فالجامعات لا تهتمّ بالفعل كثيراً بالإرشاد الأكاديميّ والتوجيه المهنيّ للطلاب الثانويين، والجامعات لا تسعى إلى أن يكون البرنامج التوجيهيّ توجيهياً ولو سمّته «برنامجاً توجيهياً». فهو في الحقيقة ليس هكذا، بل هو برنامجٌ تسويقيّ للجامعة بحدّ ذاتها. الجامعات غير مهتمة بمساعدة الطلاب الثانويين على تحديد نوعية شخصياتهم وتحديد نوعية المهن التي تناسب مع هذه الشخصيات، وبالتالي تحديد نوعية المناهج الأكاديمية التي توصل هذا الخريج من الجامعة أو ذاك، إلى هذه المهنة أو تلك. الجامعات تهتمّ فقط لتسويق برامجها الأكاديمية وكلفة أقسطها وبرامج المساعدات المالية عندها، والهدف الوحيد هو أن يكون التلميذ الثانويّ اليوم، تلميذاً جامعياً في الجامعة نفسها بالتحديد في السنة الدراسية المقبلة.

لا نحاول هنا أن نقول إنّ ليس من حقّ الجامعات أن تسوّق نفسها. على العكس، إنّنا أوّل المنفتحين على أفكار جديدة في عالم التربية، كفكرة التسويق والعمل الدعائيّ الذكيّ بمعنى Promotional أكثر ممّا هو Advertising. لكن، في الوقت نفسه، نحن حريصون على أن تكون في هذه المساعي الإعلامية والأنشطة الترويجية والتسويقية مساحةً لعلاقة تتوجّه إلى التلميذ كأنه «موضوع استثمار»، بغضّ النظر إذا كان هذا التلميذ سيأتي إلينا أم سيذهب إلى مؤسسة أخرى. يبقى الموضوع موضوع ذهنية.

## ٢- نوعية العلاقات المستقبلية المرجوة

نودّ أن نرى العلاقة بين الجامعة والمدرسة مبنية، أقلّه على مستويات ثلاثة:

■ المستوى التنمويّ

■ المستوى الفكريّ

■ المستوى التفاعليّ

### ١-٢ المستوى التنمويّ

نودّ أن نرى الجامعة مصنعاً تدريبياً منمياً للمهارات الموجودة والخبرات المتوافرة في المدارس. وأوجز رأيي حول هذه النقطة بأسئلة بسيطة:



أمين مخله ورثيف أبي اللمع والشيخ بشاره الخوري



أمين نخله والملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود



أمين نخله يتوسّط  
اجتماعاً في باحة قصر  
العدل وإلى يمينه  
العميد ريمون إنّه

الرفاعي، وإبراهيم حيدر، وبهيج تقي الدين، وسواهم العديد من الوجوه السياسيّة التي غابت عنّا.

كما أنكر صداقاته العربيّة، ومنها صداقته مع الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود (وقد زاره مراراً في المملكة العربيّة السعوديّة) وسواه من الملوك والأمراء، وقد تجلّت في كتابه «كتاب الملوك».

وكثيراً ما نُكرت له صداقاتٌ مع شعراء وكتّاب العربيّة، وفي الطليعة أحمد شوقي وخليل مطران وأمين الريحاني وغيرهم. أمّا أنا فأذكر لقاءاتٍ له في منزلنا مع شاعرنا الكبير سعيد عقل والأستاذ أحمد رامي وحافظ إبراهيم وصالح جودت، وكم كانت هذه اللحظات ممتعة ومواقفها ساحرة! عرفته فنأناً مارس الرسم والعزف على العود والبيانو وكتابة الخطّ.

أحبّ الجمال في كلّ مظهره، وعشق الألفاظ والأصوات.

حينذاك. وأذكر، عندما كنت أتردّد إلى مكتبه، وأنا في مطلع الشباب، كبار زملائنا من المحامين الذي تدرّجوا في مكتبه، ومنهم المرحوم النقيب روجيه شيخاني والأستاذ بهجت لطيف والأستاذ سليم عريبيد والأستاذ وديع الداود وغيرهم...

كان والدي يحثّني على الانخراط في مهنة المحاماة، فوق ما هي عليه رغبتني الشخصية وميولي إليها. وفي نهاية المطاف، أصبحت محامياً، أمارس هذه المهنة منذ أكثر من ثلاثين عاماً. ولا أزال أطلع ما كتبه والدي من مؤلّفات قانونيّة، ومنها كتاب «أحكام الوقف» و«مجموعة القوانين الطارئة».

عرفته سياسياً ووطنياً صادقاً، فخوراً بوطنه لبنان ومعتزّاً بعروبته. وتعود بي الذاكرة إلى لقائه مع أصدقاء له من رجال السياسة أحبّهم وأحبّوه، ومنهم رياض الصلح، وشارل مالك، وكمال جنبلاط، ونصري المعلوف، وتقي الدين الصلح، وفخري البارودي، ومصطفى

وكثيراً ما ترقّبته في مكتبه يتلو عليّ بعض قصائده من «دفتر الغزل» و«الديوان الجديد»، مفسّراً مغازيها العميقة، وأفاقها البعيدة. وكنت أتسأل، من حين إلى آخر: هل أجمل قصائد أمين نخلة هي التي بقيت بين خاطره وريشته، حائرة بين الصمت والنطق؟!

عرفته صحافياً ومحرراً، أخذ عن والده، رشيد نخلة، صاحب النشيد الوطني، إدارة جريدة «الشعب»، التي أسّسها والده سنة ١٩١١؛ وقد مضى والدي يصدر هذه الجريدة اليوميّة السياسيّة حتى سنة ١٩٦٥.

وترجع بي الذاكرة، في الخمسينات، إلى مقرّ إصدار جريدة «الشعب»، في شارع «خان أنطون بك»، على مقربة من الأسواق القديمة؛ وإلى ما تعرّضت له هذه الجريدة من تعليقات عن الإصدار، بسبب افتتاحياتها ومقالاتها الوطنيّة والجريئة يوقّعها والدي.

عرفته محامياً خطيباً، وقانونياً محترفاً. أسّس مكتب محاماة على مقربة من قصر العدل

# هو



أمين نخلة ونجله سعيد

## << أمين نخله >>

## >> والدي كما عرفته

سعيد أمين نخلة

قال خليل مطران عن أمين نخلة:

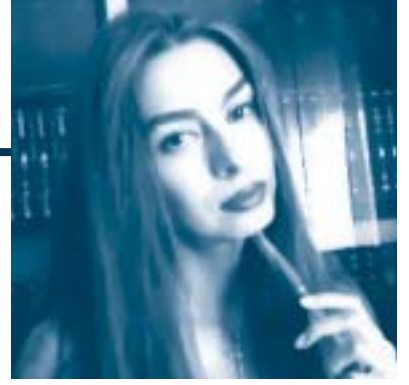
**«هذا كاتب يستطيع أن يجمع لك المجلدات في لفظة واحدة».**

وعلى قدر موهبة أمين نخلة في جمع المجلدات في لفظة واحدة، استطاع والدي كما عرفته أن يجمع عدّة وجوه له في شخصيّة واحدة، وهي شخصيّة أمين نخلة الفريدة.

عرفته شاعراً ونائراً: «فمن ذات العماد» و«كتاب المئة» و«تحت قناطر أرسطو» و«الدقائق في اللغة» و«كتاب الملوك»، إلى «المفكرة الريفية» و«دفتر الغزل» و«الديوان الجديد» و«وليلي الرقمين»، كلّها محبّبة إلى قلوب القراء والمعجبين بالثر والشعر.

فللمفكرة الريفية مكانة صدى عميق في نفسي لما حملت من جبلنا وريفنا، ولما دار بيني وبين والدي من أحاديث وروايات حول الريف ودروبه وجباله وديانته.

# قصصنا مع جدّو ميشا



فيفيان يوسف نعيمة  
دكتورة في العلوم الاقتصادية  
جامعة سيّدة اللويزة

## القصة الأولى

أخبرني جدّي لوالدي<sup>(١)</sup> قال:

«تعرفين يا ابنتي أنه كان لنا أخ اسمه نسيب، تخرّج من «السوريون» مهندساً زراعياً في أواخر العشرينات (من القرن الماضي). وكانت العائلة كلّها فخورة به، فخرها بجدّك «ميشا»<sup>(٢)</sup>. فخرّيجو الجامعات في ذلك الزمان قلائل. وإن كانوا كذلك، فليس من بيت واحد وعائلة واحدة. إلا أنّ مشيئة الله، والتي نمشي على هديها دوماً، كانت تخبّي للعائلة سرّاً أليماً، لم نعرفه إلاّ صبيحة الخامس عشر من شهر نوّار ١٩٣٣. في ذلك اليوم، وفي عامه السابع والعشرين، توفّي جدّك نسيب بعد صراع عنيف مع المرض.

بكيتة بوجع، بكيتة كما لو أنّي لم أعرف البكاء أبداً.

كان دفنه حرقه ولوعة لكلّ من عرفه.

دفناه في كنيسة الضيعة، ورجعت العائلة إلى البيت لتقبّل التعازي.

الجوّ حزن ووجع، والمآقي لا ينضب دمعها.

وفي خضمّ هذه السوداوية الضاغطة، سألنا أحد المعزّين عن جدّك «ميشا»: أين تراه يكون! فهو لم يجده بين أهل البيت.

عندها تنهّنا للموضوع، وكلّنا في غفلة عمّا يدور في البيت. بحثنا عنه فلم نجده.

بعد حوالي نصف ساعة، دخل جدّك «ميشا» من الباب.

- وين كنت يا مخايل؟

- كنت عم طعمي البقرات!

رهيب يا ابنتي جدّك «ميشا»، ورهيبه هي إرادته في مواجهة شؤون الحياة وشجونها. هذا الإيمان العنيد بمشيئة الله وبقدرته على تسيير أمورنا من أبسطها إلى أعظمها.

مات أخوه، فلما مات تموت البقرات جوعاً أو عطشاً؟

ندفن أمواتنا ونهتمّ بأحيائنا..

إيه يا ابنتي..»

## القصة الثانية

أخبرني والدي<sup>(٣)</sup> قال:

«عندما عزم جدّك «ميشا» على بناء البيت الجديد<sup>(٤)</sup> في الضيعة، بدأنا نعدّ لذلك المشروع من مختلف نواحيه: البناؤون، المواد، الحجارة، الحديد، الخشب...

إلاّ أنّه، وعندما وصلنا إلى مسألة الحجارة ومن أين نأتي بها، تضاربت الآراء وراح كلّ واحد يدلي بدلوه.

■ نأتي بالحجارة من محلّة... فحجارتها سهلة التقطيع، وهي قريبة من الطريق لا تحتاج إلى كثير من العناية لتحميلها.

■ هذا صحيح. ولكن، يمكن جلب الحجارة من مقلع... وصاحب المقلع صديق حميم لي.

■ ولمّ هذا الدوران! يمكننا، وبأبسط الطرق جلب هذه الحجارة من «خربة»<sup>(٥)</sup> أم... وهذه الخربة لا تبعد عن مكان الورشة أكثر من مئة متر.

عند الاقتراح الأخير هذا، بدا الكلّ مقتنعاً ووافق فكرة صاحبها.

(٣) يوسف نعيمة، وهو ابن شقيق ميخائيل نعيمة.

(٤) منزل ميخائيل نعيمة الحالي في بسكنتا.

(٥) الخربة منزل متهمّ لم يتبقّ منه سوى الحجارة.

(١) جدّي نجيب، وهو شقيق ميخائيل نعيمة.

(٢) ميخائيل نعيمة.





أمين مخله نائباً لجبل لبنان سنة ١٩٥٠ من اليسار: أمين مخله، الدكتور يوسف حتي، رشيد بيضون



أمين نخله وإلى يساره أمين الريحاني



أمين نخله وبولس سلامة، في حفلة زفاف ابنته مرسال وإلى يساره زوجته

أنكر وقع عزفه على البيانو والعود في موشحات أندلسية تشاركه فيها والدتي التي كانت تعزف أيضاً على البيانو والمندولين (وهي آلة أصغر حجماً من العود).

عرفته وفيماً لمن بادره الوفاء فكرّم والده رشيد نخلة أمير الزجل؛ وقد شارك مشاركة قيّمة في حفلات تكريم شاعر الأرز شبلي الملائط والأخطل الصغير. عرفته محدثاً لبقاً في مجالسه، أنيقاً في خلقه وأخلاقه.

عرفته إنساناً عاش وتعايش مع الجميع.

عرفته أباً حنوناً ومحبباً، وهو القائل:

**وحقّك: ما من أب يا سعيداً**

**يحبّ ابنه فوق هذا المزيد**

**يقولون: إنّي كثير الحنان**

**عليك، وإنّ المرّي شديد**

**ووالله: ما من جبال الصفا**

**فؤادي، ولا أضلعي من حديد**

**سألتُ إله النصارى يقيق**

**لسان البغيض، وعين الحسود**

**ولستُ أفاضلُ، لكتما**

**إله النصارى أبّ ذو وحيد.**

وعرفه لبنان، كما كتب عنه خليل رامز سركييس:

أمين نخلة: رمزُ حبٍّ ورسالةٍ خيرٍ وسلام!



الشاعر المصري أحمد رامى يلقي كلمة ترحيب في القاهرة بأمين مخله

# رياض فاخوري مثقّف في خدمة الثقافة والمثقّفين



رياض فاخوري

كنت متى طلبته وجدته.. كلمة وموقفاً وموقعاً.

فكان المقدم بين متقدمين، يترسّل في همومنا، ناساً ووطناً، ما كان كبيراً  
وصغيراً...

هذا الناريّ الحضور، ما كان أنوره!

وياما رأيتَه يضحك من ألمٍ أو يُجنّ، ويقول أن بشعرٍ وشاعرٍ نغيّر وجه الأرض!

أفلم يكن يريد لبنان لا أقلّ من لبنان الشاعر، حيث لا مكان للتافهين والمنافقين  
وباعة الأرزاق والأعناق بثلاثين من فضة؟!

ولذا، كان المثقّف في خدمة الثقافة والمثقّفين.

رياض، يا حبيباً في الغياب، دع الباب مفتوحاً وأجب..

إن الرفاق يسألون، وعندك، أعلم، لكلّ سؤالٍ جواب:

لماذا يموت «الرجال» في وطني مع الفجر، وفي عين الشمس يتمطى أشباه الرجال؟!

دمعي عليك، حملت الدنيا طويلاً وعرضاً، ورحلت قبل موسم الحصاد...

## القصة الثالثة

محطات يومية كثيرة كنا<sup>(٦)</sup>، ونحن صغار، ننتظرها فنقتنصها فنعتبرها أوقاتاً لذيذة «شيطانية». محطات لها ارتباط مباشر بجدو ميشا.

من هذه المحطات سأخبركم عن اثنتين:

### المحطة الأولى

كان جدو ميشا من المدخنين، لكنه لم يكن ليدهن من سيكارتته إلا ثلاث «مجات» فقط، ما يعني أنه عندما يفرغ من تدخين السيكارته يبقى منها أكثر من النصف.

كنا نراقبه في أوقات تدخينه، فما أن يفرغ من سيكارتته، حتى تبدأ مطاردتنا الخفية لها لنرى أين ستستقر في النهاية: في المنفضة، في صندوق القمامة... وعندما نحصل على «غنيمتنا» نروح نفتش عن مكان أمين حصين لتتناوب على تدخين ما تبقى منها.

هذه المغامرة لن تدوم طويلاً. فقد اكتشف أمرنا بعد حين؛ ومن الذي تشفع بنا عند الأهل وحمانا من نتائج صفعات ساخنة؟ لقد كان جدو ميشا.

### المحطة الثانية

عند السادسة أو السابعة من كل مساء، كانت عادة جدو ميشا تناول كأس صغيرة من الويسكي مع بضع حبات من الفستق الحلبي.

وهذا الوقت، كان أيضاً وفي معظم المرات، وقتاً شيطانياً نستغله قدر الإمكان.

فالويسكي ممنوع على الأولاد. لذلك، كنا «نتبرع» دوماً بتحضير هذه الكأس لجدو ميشا.

وفي المطبخ، كانت «الطبخة» تطول لنصف ساعة أحياناً - وهو وقت طويل نسبياً لتحضيرها.

وبين الدخول إلى المطبخ وتحضير الكأس ونزع قشر الفستق عنه، تكون معدنا الطرية قد نالت قسطها من الويسكي.

لم يطل الأمر أيضاً، فافتضح أمرنا. وكان جدو ميشا، وككل مرة، حصنا المنيع في وجه أية «هجمة» قد يشنها الأهل علينا.



من اليمين إلى اليسار: ميخائيل نعيمة، وأولاد أخيه نجيب: نديم، مي، يوسف وابنته فيفيان ١٨-٨-١٩٧٤

وعند المساء اجتمع العمال وأخبروا جدك ميشا «بالاكتشاف» الذي توصلوا إليه.

لكن جدك «ميشا» وعلى رصانته المعهودة، تبسم بسمة الواثق وقال: أعمر بيتي من حجارة «خرية»؟

إنني أوتر أن أحضر الحجارة من صخور الشخروب، من واديه العميق، على أن أبنى بيتي من خرية.

■ ولكن أستاذ نعيمة، الشخروب يبعد خمسة كليومترات، والشاحنات قليلة (سنة ١٩٤٠)، والأجور مرتفعة!

■ الخرية يا شباب، لم تصبح خرية لولا الحزن والأسى والفقر والجوع والموت الذي حل بها، فكيف تريدونني أن أبنى بيتاً بروح الأسى والفقر والجوع والموت؟

وكان أن بنينا البيت من حجارة الشخروب.

(٦) أحفاد نعيمة، أولاد أبناء شقيقه نجيب.



أمال ناظر

## رياض فاخوري للغياب وجه التعب

هرب العاشق، فارق القلب  
وفتح الجرح

ابتعدنا عنه. كانتا تسابقان الطريق. فرح الضوء يسكن التربة،  
والفضاء يلاحق حركة السكون.

ومن بين أشجار الصفصاف المتمايلة، نادي تالاً الصغيرة. ركضت  
صوبه، وفي قلب راحتها «طاب» تين: «إنه لأمك». قالت في سرها: ما  
باله ينادي من كل تلك المسافة من أجل حبة تين واحدة؟ لكنها تعودت  
هداياه الصغيرة من أغصان الطبيعة. لطالما أغرق جيوبها باللوز  
والجوز والزبيب.

أكملنا، وخلفهما كان يسير بخطى الماضي واستحقاقات المستقبل:  
ثلاثة من أبنائه يعتزمون السفر. قلبه ينزف دموعاً، كيف يأتي العمر  
وليس معه سوى زوادة السفر والغربة والذكريات؟ كيف يشيخ  
الجسد في منتصف الطريق من دون أغنية وداع في غمرة أسرار  
اللون ومطبّات الحياة؟

كانتا تحدّيانه في سفرهم صوب حصانه الأسود. ابتعدنا، ابتعدنا  
كثيراً. أمّا رياض، فهو الذي كان يبتعد بين أوراق التين والعوسج،  
بين أصفر الوزال ورائحة السماء.

في ذلك النهار، تذكّرت أنها لم يوقظها كابوس، ولم تزرها الحكايات  
السود. رأت رجلها يعبر العتبة ويترجّل فاتحاً لها أراضي الشمس  
والقمر، وما من أغنية واحدة كانت لتفرّقهما.

عبر الليل وشرب النهار. لم يقل كلمة واحدة. هناك أعلى المنحدر  
استسلم لبطن الأرض وحدها الأشجار ظلّت واقفة تملّي عليه قصائد  
الفجر، والشريان اللعين في أسفل الرأس وحده غافله، كاشفاً عن  
وجه الغادر في لحظات التعصّب الأخير.

عشرة أيّام من الغيبوبة كانت كافية لكي تتلى على الحبيب أبيات  
الحبّ وأغاني الرجاء «لا تحزنوا، لقد أودعتم كلماتي وأوراقتي».

استيقظ باكراً كعادته. حمل قامته إلى الشرفة فاتحاً خاتمة الأسبوع  
بالضوء وزقزقة الوادي. حضّر القهوة الصباحية له ولأمّته، تاركاً في  
بشرتها «بصّارة حيّ» تأخّرت قليلاً عن مجيئها. جلس على مقعده  
المعتاد أمام التلفزيون، يرشف القهوة بطعم أخبار الدم في فلسطين  
والعالم.

امراته كانت تصلّي في سريرها وتحلم بيقظة اليقين. دخل عليها  
فجأة. لم يقل شيئاً. أطبقت كتابها في سرعة وخوف. لطالما عاتبها  
لعدم مشاركتها صباحياتها، متخفية في كتب باطلة ليست لها أسرار.  
حاولت أن تنهض من سريرها، فقال لها على غير عادته: فلتبقي في  
غيبوتك وبعدها نمضي صوب غابة الصنوبر: «لم يحن وقتنا بعد».

دخلت عليها صغيرتها تفرك عينيها محاولة إبعاد شبح النعاس عن  
وجهها الطفل. رأتها تعود مجدداً إلى فراشها. ثمّ أقبلت من جديد،  
وعدت والدها بالسير معه في الطبيعة وما من قرار سوى أن تفي  
بوعدها.

هي وصغيرتها على الطريق تنتظران الوالد. تأخّر. إنه يتفحص  
سيّارته من الداخل والخارج كأنه يراها لأول وآخر مرّة. أودع بين  
ضلوع مقاعدها سرّه ومضى إليها، وحين سألته عن سبب تأخّره  
تخلّى عن وقاره وطمانتها بابتسامة فيها الرضى وصفاء الجبور. تحت  
الفيء الأخضر، ونبض حصانه الأسود، مشيا معاً. كانت صغيرتهما  
تركض كأرنب لم تعلّمه أمّه أصول «النطّ» والطيّان.

مشهد الرحلة كان مزاراً صغيراً وفسحة دبر تعبق منها تراتيل حزينة  
وخطوات راهبة عجوز شرب الدهر من جيوب عينيها.

ثلاثة كانوا يسيرون في منعطفات صغيرة وضيّقة. الصمت ووجههم،  
والهدوء معبره صوب بعضهم.

# قصيدة ذات نهار\*

## ما قالته بصارة حي

رياض فاخوري



من عمرٍ حظوظٍ إلا الكلمات؟  
أم كنتِ، يا كلَّ مكانٍ في الكلمات  
زرقاةً عينٍ في سلسالٍ فيه رجاءُ الجنّيات؟

[٧]

يا بصّاره  
هربَ العاشقُ، ضاقَ القلبُ، فُتِحَ الجرحُ  
لم يبقَ شعبٌ، في أرضٍ حملتْ ذاتَ مساءٍ  
كلَّ بهاءٍ يعرفُ  
ضوءاً للإنسانِ  
وضوءاً للأطفالِ  
وضوءاً للحشراتِ.

◆◆◆

يا بصّاره  
ردّي بابي!  
الأكوانُ خرابٌ  
والأرضُ الضمّتُنا خرابٌ  
والحبُّ خرابٌ

لكن، كوني، مع فنجانٍ  
يأتينا بتفلٍ مصحوبٍ  
بالرملِ وبالقتلِ  
ما ليس يضمُّ التخمينَ  
أنَّ الغيبَ سديمُ الراجعِ  
من عرصاتِ رجعِ الإنسانِ إليها  
حتى يأوي قبراً  
ما كان سوى قبرٍ ملأَ الجوُّ دموعاً

◆◆◆

يا بصّاره  
ردّي بابي...

[٤]

يا الشمسُ الملقوفةُ بالقمرِ النعسانِ  
يا جبلةَ هذي الأكوانِ  
ليسَ البصرُ أبعدَ شيءٍ في الإنسانِ  
بل كَفٌّ، تقرأُ فيه، بصّارةً حيّ، كلَّ  
لسان!

[٥]

يا بصّاره  
ماذا قرأتِ اليومَ:  
هل كان الحيُّ غريباً؟  
هل كنتِ غريبه؟  
أم أبصرتِ مصيري،  
مع شمسٍ، لن أدركها  
في آخرِ عمرٍ يأتيني،  
فيه يكون عبوري،  
من أرضٍ لن أفهمَ منها إلا النسيانَ؟

[٦]

يا بصّاره  
ماذا قرأتِ  
حتى سكتِ؟  
هل كانت شمسٌ في جيبي،  
مع قمرٍ في جيبٍ ثانٍ،  
قربِ نجومِ  
تصرعُ تنينَ الغاباتِ  
حتى هربتِ  
من كفِّ مسكينٍ لا يحوي

[١]

حينَ هربتِ، جبَلتَ الليلَ، وجئتَ  
كانَ الجوُّ أميراً، كنتَ ملاكاً  
يأمرُ أنَّ الموتَ يضيءُ الآتي،  
ثمَّ نفختَ النارَ بجوفِ الأرضِ وعدتَ  
تجمعُ وجهَ الطينِ  
تلمسُ وجهَ الحبِّ  
تغني: «يا حبُّ هدأتِ»

[٢]

حينَ هربتِ  
من تُربٍ يحويك ليشقيقك  
فهمتُ  
أنَّ الناسَ هنا، قبرٌ تحتَ ترابٍ  
كان تراباً يشبهُ، ما في الناسِ، تراباً.

[٣]

حينَ عبرتِ  
كان القمرُ، بين الغيمِ، وحيداً  
مبسوطاً كالكَفِّ، يقرأُ في الكفِّ  
ما قالتهُ، ذاتَ نهارٍ،  
شمسٌ أضنتها بصّارةً حيّ  
ما قرأتِ للحيِّ حظوظاً  
إلا تراباً  
فوق ترابٍ  
فوق ترابٍ  
فوق ترابٍ.

الشعر حَدَسٌ والفنُّ تَعْبِيرٌ... وقد أتقن رياض كلا الفئتين بخاصية الإلهام والموهبة. قصائد من نهب وأشكال من الطبيعة، وألوان من مزج الخيال، أقصى من مدى الرؤية...  
تكلم رياض في كلا الحالين لغة خاصة... لغة من مقلع فكر مُبدع خلاق. فشاهدنا في شعره حركية اللغة، كما سمعنا صراخ الألوان في

اللوحه... بدا بين القصيدة واللوحه تواصل وتواد وبوح أسرار.  
تنساب أعماله في أعماقنا انسياباً غامضاً، ويزهو الفكر أطيافاً وتلاوين كلام...  
حين نقرأ شعر رياض فاخوري أو نشاهد تشكيلاته، لا يقرصنا الحسد، بل تأخذنا النشوة ويتملكننا الإعجاب...

كان رياض فاخوري متصوّفاً ومُصلحاً ومُجدداً... من زهده فاض العطاء الأمجد. هذا المُستبصر المُستبين ندى بالإصلاح، وثار دون ضجيج، فأفلح... جدّد في الشعر والأدب والفن، فسبقت رؤاه بشائر العصر، وتنامى فكره فوق منابر الخلود...

## الأدب عند رياض فاخوري علة حبيبة

فردريك نجيم

يكون الحصول عليه ما يُشتمُّ معه عبق الهناءة في الأنفاس. أن يكون أدبه تعبيراً عن بعض الذات أو الذات كلها، أو أن يكون تسليّة وإخراج ما في الصدر، هو أمر قد يتسع الحديث عنه، إنما هو اندفاع إليه حاجة أولها في أول الشعور وآخرها في آخره.

أجمل من مكانة رياض الأدبية مكانته الإنسانية التي تُضاف إليها إضافةً ثمينة تتكدس عناصرها تراثاً فكرياً يتجاوز أحياناً المجال الفرد إلى المجال العام، وتُجترح عندئذ الثقة الأعجوبة التي يُركن إليها في المعرفة والاستطلاع والبحث والرؤية المثمرة. وإذا الكلمة الأدبية تنتقل من حيث أنها مصنوعة إلى حيث أنها متذوّقة. ومهما تباينت معطياته الأدبية فهي تستند أبداً إلى مصدر وجدانيّ بحت. هذا الأدب الذي أجاز له رياض فاخوري أن يكون نقداً للحياة، أجاز لنفسه أن ينقل ما يطيب له من دون أن يُفرض عليه مقصد دون آخر ومُتجه دون آخر. هكذا انتصب موضوع الحرية الأدبية في مؤلفاته من دون أن يلتوي له عنق، لأن الحرص على هذه الحرية حرص على أعلى ما يحتاج الإنتاج إليه حتى تتضح خصائصه في رحبة أمرها.

يكاد يكون الأدب عند رياض فاخوري علة لا شفاء منها، إلا أنه العلة الحبيبة، والشفاء منه علة مُضنية.

الدم في العروق. يعود ويُعاد حتى يُتلقى العطاء الفائض كما يُلقى بكر من الوجود، لأنه غير الذي رحل منذ قليل. والشائق في أدبه ما يبرز من كلماته، ما يرشح فيها، ما يذهب إليه معها حتى يُحبّ مضموناً وإخراجاً في ما ترفض به حال على إثر حال. والشائق في أدبه عودة إليه بعدما يُنتزع عنه، مثل السفر إلى أرض حبيبة معروفة ومثل السفر إلى أرض حبيبة مجهولة. ألا يُحيا معه كما تُؤثر الأنانية على مجاورة الآخرين ويتبادل معها غاليات الصدور. وجميل أدبه أنه ألصق الموجودات بصاحبه. إن في بعض عناصر وجدانه ما يؤثر الطريق لتحدث فإذا بها حادثه، ويؤثر طريقها لتمضي فإذا هي ماضية. أما الغنم، كل الغنم، فما يكتسب من وجودها، من عمر هذا الوجود، قصيراً كان أم مديداً، حتى تنتقل من أنها في الذات إلى أنها على الورقة.

والخاطرة الأدبية عند رياض فاخوري مُغرية، وإغراؤها الأكبر أن تصبح كتابةً. فقلما عُرف سحرٌ يضاهي السحر الفني، ولاسيما في العطاء الأدبي. فإذا كان الأخذ في هذا المنحى رائعاً، فأجدر بالعطاء أن يعظم الشغف به حتى يصعب الامتناع عنه.

ما أهمّ رياض فاخوري أن يكون الأدب عنده فائدة أو ضرراً أو لذة، إنما أهمّة أن يكون الأدب موجوداً. فضرورة وجوده مثل ضرورة الحاجة أو التشوق إلى شيء حتى

الحياة لا ترحم ولا تسترحم، فهي في تمرسها بأطاييب الدنيا وفي ما تنضني به لا يريحها إلا أن تتعب تعباً هنيئاً. وهي في نزول المصائب عليها تتلقاها بالصميم وتلوي عليه الجوانح. وإذا نزل في بعض أبنائها ما تحم به أحداقهم فينطفئ ومض الأبصار، كان للبعض الآخر ما تشعل به جوارحهم فيتأجج وهج البصائر.

والوجود كله سانحة وحيدة. إنها الغنم الذي لا غنم بصدده. فلا هنيهة فيه إلا هذه الحاضرة، ولا باقية فيه إلا هذه الفانية. وكان الزمن يبدأ ولا يود أن ينتهي لنالاً تنتهي في أواخره شهيّات أوائله...

الكلام على رياض فاخوري يطول كثيراً قبل أن توجعه النهاية. فالنشوق والتذكر والحرمان وما يجاور الشوق والتذكر والحرمان في ما تقوله الكلمة عندما تتسع اتساعها الفسيح حتى تضيق أخيراً في الكلام عليه. وما أرحب هذا الضيق لأنه يسكن البال والقلب.

نهب القليل من لحم ودم رياض عنا، وبقي الكثير من إنسانه الغالي وأدبه الخالص عندنا، نعايشه في الأعماق ولا نجاوره لأنه أبقى زلف الجوارح في كل مراحل عمره. وما استأثر به قدر ولا استأثر هو بقدر، حتى كاد عطاؤه في إنسانه وأدبه وهو هاني بصراً ووعياً أن يكون أخذاً، وأخذ عطاءً.

بين رياض فاخوري والأدب صلة هي دورة

مثقّف في خدمة...

# رياض فاخوري المبدع نزيل فكرنا... لا يبرح



محمد ماضي

مدير عام وزارة الثقافة سابقاً

كالنبيع الجاري ثقافة رياض فاخوري، وعلمه وافر التوجّهات.

كنت أهاتفه من أجل نشر مقال نقديّ أو بحث أدبيّ... وكان يُجيبني بالموافقة الفورية. ثمّ يردف بصوت هادئ: أعلم أنّ أبحاثك طويلة بعض الشيء، وتفيض أحياناً عن سعة الصفحة الثقافية لجريدة «الأنوار»... لكنني سأعالج الأمر وأنشر البحث على حلقات... عند النشر كان يُقسّم البحث ويُبوّبه ويضيف عناوين فرعية مُشوِّقة، من دون أن يمسّ حرفاً واحداً بالحذف أو التعديل. كان يحترم الرأي الشخصي، ويترك الحكم للقارئ... كان مُبدعاً في الشعر والأدب، كان موسوعة في الثقافة...

هذا الشاعر الموهوب، كانت علاقته باللغة علاقة حبّ لاهب... علاقة عاشق بمعشوقته. أدرك أنّ اللغة فنّ أيضاً، فهي وسيلة تعبير وُقناة تواصل ومِرْقاة فلاح... حروف أبجديّتها رسوم، والفنّ التشكيليّ رسوم... هكذا عبّر رياض فاخوري عن مَواجهه بالرسم، إلى جانب بَوجه بالشعر وتدبيجه للأدب.

كان شاعراً وفناناً تشكيليّاً أيضاً... بالريشة واللون، كما عبّر بالكلمة والحرف. والتعبير وليد اللحظة والحسن والمزاج... خاصيّة التعبير من أسراره. متعة المُتلقيّ مرهونةً بجماليّة البثّ والانتشاء باللون والصورة... يندمج السرّ في الوَمْضة وتتوثق اللحظات بالحرّ والصبغة...

رياض الساخر، يتفاعل مع الضحك... ويُفجّر ضحك الآخرين من كلّ قول سانح، أو تصرّف طفولي، أو رؤى منقوصه، أو وضع عقيم... يُجلجل صوته ضحكاً من كلام يُجافي الحقيقة، أو حُكم يُنافي الحق... لا تأخذه، في ما لا يتقبل، مُسايرة رائجة أو نُعمى عين...

عانى رياض فاخوري من نَزق بعض المُثقفين المُتطلّبين... وتحمّل ضغوط العمل الصحافيّ وسط المتغيّرات اليومية، وطوارئ الأحداث... لكنّه تغاوى مع بيروت، مرآة الثقافة العربيّة، وعاصمتها للعام ١٩٩٩.

بصبر الباحث والمثقف والأديب، كان يعالج أمور المثقفين، ويُلبي طلباتهم الحثيثة، ويُعابن آراءهم المتوترة... وسط الإلحاح واللاصبر، كان يحرص على إرضائهم بعد مناقشة ملاحظاتهم. كان يواكب توجّهاتهم، لكن ليس على حساب الحقائق والقناعات والجماليّات والحكمة...

سألته مرّة رأيه بعنوان لأحد كتبي، كنت اخترته بصيغة «منابر الثقافة»، فأجاب على الفور: اجعله «ثقافة المنابر». وأضاف يجادلني: العنوان الذي اخترته لاشيئة ECNAUN فيه... أمّا الذي اقترحتُه عليك، ففيه شيئة لافتةً ووشمٌ طريف... قال ذلك بسرعة لامة، وعلّه بعفو خاطر...

حين يزأر أسد الغاب، تفرّ وتتوارى الذئاب... وحين تُشرق الشمس تتوالد الظلال...

رياض فاخوري كان أسداً للمثقفين، ولم يكن أسداً على المثقفين... مُدافعٌ مُنافحٌ مِغوارٌ، لو تناول على حمى عَظائم أشرار... يروي النور الغامر ثنائيّة البردِ والحرور، وتضادّ البارزِ والمُستتر.

من خضمّ الجِدال يُقال: رياض فاخوري عصيّ على التقليد، مُشجّعٌ للابتكار، مُمانعٌ للترداد، مُحاربٌ للاجترار... شاهقٌ كالزنابق مُتمردٌ كالجبال...

هو الذي آمن بحيوات تَنراصف، يُمارسُ اليوم طفولةً مُشرقةً... وغنجاً سبيلُهُ عام...

هو الذي يتماهى بشعره، يُكلّم الناسَ شعراً، وبيتسّم ابتساماً بيت القصيد.

إذا استقبل، ضحكك ملء القلب، ورحبٌ وسع الفم، ولاطفٌ طَفح الفؤاد...

مُشاكسٌ في الثقافة... لا يتقبلُ أموراً على عواهنها. غريباً له واسعُ الثقوب، مستديرٌ كشكل الدائرة المفضّل لديه، المُسرّب في حثيث لهاث لا ينقطع شهيقه، المِفصال بين بداية ونهاية...

لأتته أغزُر من موافقاته... تفاسيره مُقتضبه، مداها وساعة العقل، ومنطقها نبضٌ مُنتظم.

البيت وارتقى على المقعد شبه مغمى عليه. فما كان من والداته إلا أن حضنته بلهفة الأمّ، وقالت له: تقبرني يا أمّي وجهك أصفر مثل الشمع، سأعمل لك كَبَاية ليموناضة! ولم يكد المسكين يسمع العبارة حتّى أرسل لأمّه عشرين كَبَاية دفعة واحدة اندلقت على الأرض والمقعد وكلّ مكان...

من عادات رياض الضاحكة أيضاً أنّه كان يستمتع بسماع النكتة مثنى وثلاث ورباع. ويكرّر بنفسه روايتها مرّة أو مرتين في الأسبوع على مسامح الناس إياهم. وحين زَجَرْنَا مرّةً أحدَ الذين أسمعونا النكتة نفسَهَا ثلاث مرّات في غضون يومين، انتفض رياض وقال: الضحكة كالزهرة تتجدّد رائحتها الطيبة حتّى ولو شممنها ألف مرّة!

لا أظنّ أنّ هناك الكثير ممّا يُضحك في أيامنا هذه. لكنني واثق من أنّ رياضاً، لو بُعِثَ ضاحكاً من جديد، لابتكر ما من شأنه أن يجلجل من القهقهة ويفرّقع من الخواصر.

وجهك الآخر يا رياض الفاخوري حديقة مزروعة بالابتسام. ليت الذين حولك الآن، هناك، يعرفون قيمة تلك الحديقة التي كُنْثَهَا في صحرائنا الفاحلة!

حالمة، وملتهم ما لذّ وطاب، على إيقاع نقاش فكريّ يقطر عبقرية وإبداعاً.

وكان ما كان... وفي الثالثة فجراً غاب الصديق المسؤول وحضرت الفاتورة بأرقام تدويخية مخيفة. نظّفنا جيوبنا، نحن الأربعة، كي لا يرموا بنا في البحر، وانقلبت ضحكاتنا عبوساً. وحده رياض ظلّ متماسكاً يقذف باللعنات والشتمات، وهو يضحك. يبحث عن صديقه المحتال، وهو يضحك فيما يقرب لنا جيوبه ليؤكّد أنّها أنظف من الصحن الصيني، وهو يضحك.

وحين وصلنا إلى بغداد، في اليوم التالي، وأوردنا التوجّه إلى مطعم الفندق حيث استضافونا، فقع رياض ضحكة مدوية ارتجّت لها جنبات بهو «الشيراتون»، وهو يقول: لن أدخل المطعم إلا إذا وقّعتم على تعهد خطّي بأنّ الوليمة دعوة... وضحك معه مندوب وزارة الإعلام العراقيّة وكلّ الحاضرين...

مرّة ثانية، دخل رياض مكتبي، وهو يتهاوى لفرط الضحك. من دون سلام أو كلام، بادرنى قائلاً: تشارطَ جاري مع رفاقه بأنّه قادر على شرب عشرين كوباً من الليموناضة إذا ما دفعوا ثمنها. ولم يكد يصل إلى الكوب السادس عشر حتّى أحسّ بالدنيا تميد به. لكنّه تحامل على نفسه وازدردَ العشرين، وقفز جاريّاً إلى

غير أنّ رياضاً، في قرارته، كان ذا وجه آخر. الضحكة سمته الدائمة. والابتسامات قسماته المستمرّة. والذين كانوا على مقربة من رياض، جغرافياً وروحياً، يعرفون ذلك تماماً.

مرّة، في أواخر الثمانينات، كنّا أربعة في عرض البحر الفاصل بين الوجع والوجع. بين جونه ولارنكا: رياض، منيف موسى، ميشال زكريّا وأنا. الألقاب تسقط في السفر. وكذلك الهموم. الرحلة إلى بغداد. وقد باتت تقليداً سنوياً له طقوسية صارمة ولذيذة. مهرجانات المربد الشعريّة. الرحلة مضنية ليلاً، ولكنّ التطلّع إلى الشعر المنتظر يبّد الضنى والتعب.

الداعون، وهم أسخياء، سهّلوا لنا تناول العشاء في كافيتيريا الباخرة. لكنّ رياضاً جاءنا من البعيد ضاحكاً، وغمرنا نحن الثلاثة، ثمّ انتحى بنا جانباً ليؤكّد أنّ أحد المعجبين به وبشعره موجود هنا، وأنّه مسؤول كبير في الباخرة، وأنّه ضنين بأنّ ينحشر المبدعون مع عامّة الناس في كافيتيريا باردة مشلوحه في عرض البحر.

وكبرت في رأسنا، كما في رأس رياض. فاقنننا بأهميتنا الفكرية، وبأنّ علينا أن نلبّي دعوة صديقه لنتناول العشاء في مقصورة خاصّة بضيوف الشرف، فنحتسي خمراً معتّقة، وننعم بموسيقى



## نفتقدك كثيراً



د. منصور عيد  
جامعة سيّدة اللويزة

**في** جلسة فكر وحوار جمعت نخبة من الأصدقاء الناشطين في حقل الثقافة والأدب، راح رياض فاخوري يطرح رؤيته الأدبية المتحرّرة التي لا تخلو من الثورة على «التعليب والتقميص والتقميص» وتبحث عن «القششات المتجدّدة الخاطفة». ومن عادتني أن أطلق على مسمعه رأياً أو فكرة، أهدف من خلالها إلى إثارة البركان الرابض في أعماقه. قلت متعمداً «النكرزة»: «أبها الأصدقاء، في نظري أنّ الإعلام في هذا البلد هو على عداء مع الثقافة وأهلها». فانتفض الثائر الرابض، ونهض عن كرسيه ويده تمتدّ أمام صدره بحركات عشوائية، ورأسه يهتزّ بالغضب المحبّب، وعيناه تدوران في محجرين متمردين، وعباراته تتقطّع في تسلسل مبهم، ثم أطلق بعض الكلمات التي لا تقلق الحشمة في مجالس الرجال، وقال: «أنت تقول ذلك؟! قل هذا الكلام لسواي... هات أخبرني متى قصّرت بحق أحد من المثقّفين... أيّ مثقّف في هذا البلد لم تكن

# الفاخوري الضاحك

د. جورج طراد

لو قرأ رياض هذا العنوان لأطلق له واحدة من ضحكاته المجلجلة. ليس فقط لأنّه نواقة وصانع عناوين جذابة وطريفة. ولكن، لأنّه سينتذكر حتماً تلك النقاشات الحامية بيننا، حين كان يتفتّن، بما أوتي من حجّة وثقافة وحسن تخلص، في تسنيد رأيه وفي تسويغ موافقه، حتّى ولو لم يكن في عمق أعماقه مقتنعاً بها. حينها كنت أفاجئه بالقول: أنت فاخوري... وتستطيع أن «تبرم» أذن الجرّة كما تريد!

ويفاخر الفاخوري بهذا التشبيه، باعتبار أنّ حرفيّ الفخاريّات مبدع وخالق ومبتكر رؤى وأشكال. ورياض كان كلّ هذا معاً، ولكن بالكلمات وليس بالفخاريّات!

لن أتوقّف عند رياض الشاعر أو الرسّام أو الناقد أو الصحافيّ أو الرويوي... كلّها سماتٌ قيل فيها الكثير ويُقال. أفضل هنا، وبلغة الصحافيّ الذي كانه في جوهره، أن أتناول وجهه الآخر؛ ربّما وجهه الأكثر حقيقيّة.

أرى أنّ الفاخوريّ الضاحك هو عمق رياض. عمق لم يتسنّ له أن يتّخذ مداه. ليس فقط لأنّ الوجه الذي أطلّ به رياض على الناس هو وجه الجديّة الرصينة. بل كذلك، وخصوصاً، لأنّ نصف حياة رياض على الأقلّ، كانت حرباً وذيول حرب. حرب في الوطن وعلى الوطن. وحرب في الحياة وللحياة؛ حياة رياض أعني، وحياة عياله في أزمنة صعبة، لا بل مستحيلة، ولسنا في حاجة إلى استعراض أشواكها الكثيرة.

صفحة الثقافة في جريدة الأنوار صفحة له؟ لقد جعلتها منبراً للفكر والأدب والثقافة». وكنت قد بلغت هدفي من التحديّ، فضحكت عالياً وتقدّمت منه معتذراً: «لم أقصدك أنت يا رياض، أنا أعرفك جيّداً، وهل يحقّ لي أن أوجّه هذا الكلام إليك، وأنت الذي رعيت مسيرتي في الكتابة والتأليف والأبحاث والدراسات، منذ أن أطلقت كتابي الأوّل «غرباء» عام ١٩٨٢؟ اطمئنّ، فضلك لن أنساه. وابتسم ابتسامة الرضى الداخليّ التي لا تعبّر لنا عن مظاهر العاطفة والانفعال، بل تجعلنا نتلمس أعماق روحه الطيِّبة، الثائرة والهائئة في آن.

نعم يا صديقي الغائب الحاضر، أعتذر إليك مرّة أخرى ومزّات. لقد غبت مبكراً عن عالمنا، كلماتك الكثيرة لم تنته بعد. كنّا فعلاً بحاجة إلى رياض فاخوري وأمثاله في جريدة الأنوار أو في أيّة صحيفة أخرى رزينة، تحاول أن تعطي المثقّفين حقّهم بعد أن ضاع الإعلام في متاهات الاسترخاخص والفوضى والابتذال. نحن بحاجة ماسّة إليك وإلى أمثالك لكي نشعر دائماً بأنّ أصواتنا ستصل من خلال الكلمات المكتوبة إلى الذين يقرأون، وقد أصبحوا القلّة القلّة في وطني. هذا الوطن الذي يتباهى به أبناؤه قائلين عنه: إنّ وطن الثقافة والمثقّفين. ولكنّ، واحسرتاه على الثقافة وأهلها في هذا الزمن الرديء!

**رياض** فاخوري نفتقدك في كلّ مناسبة فكرية، إمّا مبادراً إلى تكريم الأبداء أو مشاركاً ناشطاً في بعث الحركة الثقافية. رياض، نفتقدك أيضاً في ثورتك ونقمتك وتمردك، بل في محبّتك وإخلاصك، أخواً وصديقاً ومفكراً وأديباً ومثقّفاً كبيراً. 📖



إملي نصرالله

## سلام الراسي: الذاكرة الشعبية

فوق الجبال وتلال  
السنوبر، بل صار  
يهب من كل الجهات  
مُحملاً، إلى الجديد،  
بكثير من العناصر المدمّرة والمفكّكة للكيانات  
الثابتة!

لا شك بأنّ سلام الراسي يتميّز بذاكرة حيّة،  
واعية، كما يقبض على سرّ عظيم من أسرار  
القَص. وقد ابتكر لنفسه أسلوباً خاصاً يصعب  
تقليده، إن من حيث مصادر الحكاية ومَنابعها،  
أو من جهة عناصر بنائها. وحين كنت أسأله  
عن سرّ نشاطه، وهو في العقد التاسع من  
عمره، كان يبتسم ابتسامة ظلّت تحتفظ  
بشيطنة صبيّ مشاكس... وفي بعض الأحيان،  
كان يُحيل السؤال على زوجته، الأدبية إملي  
الراسي:

- كلّ الحق عا إملي... كان يقول.

وكانت إملي تسمع وكأنّها تؤكّد:

- إنّه ذلك الخزّان الثريّ، ذاكرة رفيق العمر...  
في كتابه «يا جبل ما يهزّك ريح» كتب سلام  
الراسي:

«لا السهل والوديّان والجبلُ

وطني، ولا الأنهار والسبلُ

كلّا، ولا الأطلال بل وطني

الناس ما قالوا وما فعلوا»

هم الناس، الذين أحبّهم وأحبّوه؛ وسوف  
يفتقدونه كثيراً، وعزّائهم أنّه باقٍ في ثروة  
أدبيّة نادرة المثال. وقد توزعت في ما يشبه  
الموسوعة، تحمل خلاصة حضارات وأجيال  
سالفة، ولغات اندثرت أو تكاد.

لقد حوّل سلام الراسي ذاكرته الفدّة إلى  
جسر عبور يربط الماضي بالحاضر، ويجدّد  
العلاقة بين الجذور والفروع، وما أوجنا إلى  
ذلك في عصر «العولمة» وفقدان الهوية.

الباردة حول مواعد الشتاء، أو فوق المصاطب  
وتحت أشجار الدار في قيظ الصيف؛ وقد  
يكون مقعده تنكة كاز فارغة، عندما يتعذّر  
وجود الكرسيّ. ويخرج إليه الناس، باسطين  
بضاعتهم العتيقة وأسرارهم الدفينة: «كنت  
أبحث بالسراج والفتيلة عن معتقات الحكاية  
الشعبية»- قال لي ذات يوم. ولم تكن هناك  
حدود لرغبته في طلب المزيد. وكان يتلقّف  
الحكاية، ويجلوها، مثلما يفعل الصائغ  
بالجواهر الملمومة من تحت أنقاض الزمن.

لم يكتب سلام الراسي بالنقل، أو بـ«حدّث  
فلان عن فلان قال...» بل كان يسعى إلى  
إضافة نكهة جديدة من مخزن إبداعه، لذا جاءت  
قصصه متميّزة، وذات مذاقٍ «غير شكل»  
فأحبّها الكبار والصغار لأنّها تناسب كلّ  
الأعمار، كما لا تتقيّد بزمان بالذات.

طلّب منّي مرّة أن أكتب مقدّمة لمختارات خصّ  
بها السّباب، ونشرتها دار «نوفل» تحت عنوان:

«حكايات أدبيّة من الذاكرة الشعبية» وقد

كتبت في سياق ذلك التقديم: «إنّ المؤلّف وعن  
التحوّلات السريعة في مجتمع غير مستقرّ؛ كما

عاش النزوح والهجرة مثلما يعيشها أكثر  
الناس في لبنان، وتنبّه حسّه الباطنيّ، وكأنّه

يتلقّى إشارة سرّيّة مُنذرة، فنهض يسجّل، لا  
ما وعنه ذاكرته الفرديّة وحسب، بل بادر إلى

تسجيل الكنوز الموروثة في كتبٍ، لئلا تضيع،  
وقبل أن تضيع.

كذلك وعى المؤلّف أنّ العلاقات الاجتماعيّة  
والانسانية والتي ظلّت قروناً على حالها، باتت

تواجه في عصرنا خلخلة في أسسها، وتحوّلات  
خطيرة في مستقبل بقائها؛ فالطفل لم يعد

ينشأ في حضن جدّيه، ويرضع مع اللبن  
الحكايات الموروثة، لأنّه ابن عصر مختلف.

وحتىّ الهواء الذي يتنشّقه، لم يعد يأتيه من

رحل سلام الراسي: فارس الأدب الشعبيّ  
وحامي حماه. رحل مخلّفاً فراغاً كبيراً لن تملأه  
الأبحاث والدراسات، لأنّ «شيخ الأدب  
الشعبيّ»، وهو اللقب المحبّب لديه، سلك في  
سعيه سبيلاً مخالفاً، إذ استنفد ذاكرته، وجلّ  
طاقاته، بعدما تقاعد من الوظيفة، ليسجّل تراثاً  
عريقاً، ولغة مكنوزة، سارت على شفاه الناس  
جيلاً بعد جيل، وكادت أن تنقرض، لولا  
حضوره الفريد وتميّز شخصيّته؛ فهو ابن «إبل  
السقي»، البلدة الجنوبيّة العريقة، الواقعة في  
نقطة تتوسّط منطقتين، لكلّ منهما ميزاتها  
وخصوصيّاتها: جبل عامل ووادي التيمّ.

وهو ابن جيل تشبّع بالقصص الشعبيّ، ونشأ  
على مفاهيم التراث، وحفظ جيّداً اللغة المعبرة  
عن ذلك كلّ.

ولأنّه من صميم القوم كان يفهم لغتهم، بل  
رموزهم وإشاراتهم، من دون الرجوع إلى  
المعاجم وكتب التاريخ.

وهو محبّ لأولئك الناس، وقد بادلوه حبّه ذاك،  
ووثقوا به ثقتهم بأنفسهم، لذلك لم يحببوا عنه  
مكّنونات صدورهم.

وكان «سلام» من جيل المناضلين، الحالمين  
بدفع الأمور مسافات بعيدة في التقدّم والرقّيّ.

ثمّ هو مبدع في ما أعطى، إذ تناول الحكايات  
الشعبية، وعمل فيها تهذيباً، وصقلًا، بروح فكّه،

مرحة، وأسلوب يستسيغه الذوق بغضّ النظر  
عن مستوى صاحبه.

أبقى يده على النبض الحيّ في محيطه، وظلّت  
أذنه تصغي، وتسجّل الأصوات المججلة كما

التنهّدات المكتومة.

انتدب نفسه شاهداً على معاناة الناس وتقلّبات  
أحوالهم، فكتب عن أيّام الصحو كما عن

العواصف الهوجاء... وظلّ صديقاً للناس،  
يجالسهم مثلما يفعل السّمّار في الليالي

# سلام الراسي نَبْعَةٌ إِلَى ضِفَّةِ الْعِطَشِ

## ...وأنا كزوجته أُخبر

### إملي سلام الراسي

لقد أحبّ سلام أبطاله كثيراً حتّى أنّه كان يربأ بهم أن يكونوا ضعفاء يستجلبون الشفقة، بل كانوا أبطالاً أقوياء وحكماء، وأحياناً فلاسفة تتضوّع الفلسفة من أقوالهم.

أقول إنّ محبّة سلام لأبطاله كانت عظيمة، حتّى أنّه كان ينجدهم إذا ما استجاروا به. فيتقمّص شخصياتهم ويغوص في أعماقهم ويجب عنهم وينقذ مواقفهم بشعر فصيح إذا كان بطله شاعراً فصيحاً، وبردة «قول» أو زجل إذا كان بطله «قولاً»، ويسعف «سليحة النابذة بردة ندب» إذا ما استعصاها القول أو تمرّدت قريحتها عن الفيض بالعباء، وبحكمة أو فلسفة إذا كان بطله قد خانته بداهته في موقفٍ عصيب، أو بمثل يكون أحياناً مجحفاً بحق المرأة مثل:

«المرأ مثل السجّادة ما بتنظف إلّا بالخبيط...» فتلقتي عراقة التراث مع براعة الخلق والإبداع مضمّخةً بنكهة الطرافة والنكتة الذكيّة.

عند قراءتي حكايات سلام أتحمّس عطاء سلام وروحه بين سطورها، وأتلمّس جوانب شخصيّته من خلال شخصيات أبطاله الذين استلهم أرواحهم بعد موتهم وأنطقهم الحكمة والبلاغة والطفرة والجمال.

لا بدّ لمن قرأ حكايات سلام الراسي من أن يستوقف أبطالها ويستوضح حقيقة أمرهم: هل هم رجال ونساء من لحم ودم، أم هم مجرد أبطال من بنات خيال المؤلّف أبدعهم وجعلهم أسياد مواقفهم.

كثيرون، قبل سلام الراسي، نجحوا في التنقيب عن ذخائر تراثنا الوطني، ولكن من زوايا أخرى متنوّعة، كتسجيل العادات والتقاليد واللباس والمأكّل والممارسات الدينيّة والاجتماعيّة؛ لكنّ سلام حقّق شيئاً مختلفاً عمّا حقّقه جميع من سبقوه في هذا المضمار. لقد كتب عن الفعل والقول عند اللبنايين القدامى من خلال المأثورات المنقولة عن ألسنة الناس، معتبراً هذه المأثورات مدخل لتفسير العادات والتقاليد وسائر الممارسات عند آبائنا الأولين.

فسلام الراسي - وأنا كزوجته أُخبر الناس به، يزهد بكلّ مباحج الدنيا لقاء سماعه حديثاً جميلاً أو عبارة حلوة ملتزمة بواقع معيّن أو كلمة في محلّها. فكلّ اهتمامه في مؤلّفاته كان يصبّ على الكلام والأحاديث والحكم التي كانت تجري على ألسنة أبطاله، مع اهتمامه بإبراز الصورة الدراميّة المتكاملة.



يطيبُ لك أن تجلسَ إليه تسمعه أو تقرأه، لكأنك إلى نبعٍ رائحة رقراقه تجري بساقيتها إلى عشبٍ أو شفةٍ في ضفة العطش!

يروي الحكاية نكتةً أو عبرةً أو صوراً من تقاليد وعادات.. يقطفُ من الشفاه ومن أوراق عتيقة، ويقمطُ المواليِد بالريحان والحناء ويتعهدها إلى يوم الشعانين!

تظنُّ أنّه يتبنّى فحسب. بل له بنون وبنات من لحمه ودمه. أفما تدري أنّ اختراعه كثره، وأعمال يديه ضُمَّم؟!

وهو، في كلّ حال، هو هو أسلوبياً شيقاً حمّال بروقٍ وورود، سهلاً متمنّعاً متمنّعاً إلى اللاحد.

معها، أنت مع الفرداء... وتشعر أنّك تقمّصت روحاً من سكينه وطمأنينه وراحة بال!

خزّينهُ من خزائن الأمس.. لغد، غدٍ يبقى موصولاً بأمس، وما دام أنّ شعبنا الشعب.

أما أدرك من لم يجاوره ويحاوره أنّ في حناياه زوايا تشوقها الخبايا من مجانيه - هذا الناذر عمره للأدب الشعبي، فإذا هو شيخه إطلاقاً؟!

سلام الراسي، اغفر لنا ما خطّئنا به إلى تراثنا، ولما نزل..

أنت المعلم. لبتنا نعلم ونتعلم...

# سلام الراسي:

## رسالة حكمة وحوار ووطنية



د. زاهي ناصر  
باحث في الثقافة الشعبية

نبذة الى...

رحل سلام الراسي، واختفت تلك الإطلالة البهية المتواضعة الأليفة، الآتية من خبايا التراث، والتي تحمل الكثير من الوقار، وتميّز حكماء الزمان وعقلاءه. لقد انتهى كما كانت تنتهي سير أبطاله، وكما كانت تتوّج حكاياته بحكمة أصيلة أو بقول مأثور. رحل، لكنّه لا يغيب. إنّ أمثاله ل يموتون. فاللبنانيون قد أجمعوا على حبّ أديبهم الشعبيّ، الذي ترك أثراً كبيراً في أذهانهم، وأصبح جزاءً حميماً من ذاكرتهم الثقافية. إنّ لبنان يباهي به وبأمثاله.

رحل سلام الراسي وترك لنا إرثاً أدبياً استثنائياً، يكاد يغطّي قسماً من أبواب الأدب الشعبيّ وميادينه. لكنّ هذا الإرث لم يكن مجرد عمل تجميعيّ، بل عملٌ تألّفيّ يتّسم بالريادة والأصالة والإبداع. ومن بين أبرز وجوهه، أنّه يحمل في أبعاده الإنسانية، رسالة حكمة وحوار ووطنية. ويمكن القول، استناداً إلى مقولات الراحل الكبير، إنّ رفع شعار «الأدب الشعبيّ» كان من أجل ثلاثة أهداف أساسية، وفي خدمة ثلاثة اتجاهات رئيسية.

### الهدف الثاني: التراث من مقومات وحدة الشعب

إنّ الحس التراثيّ عند سلام الراسي هو في الأساس حسّ وحدويّ، وروح وفاقية، ومدخل إلى العيش المشترك. وفي هذا الصدد كان يردّد دائماً، وهو «من مقومات وحدة الأرض والشعب». وكلّنا يعلم أنّ شيخ الأدب الشعبيّ الذي شهد خلال الأحداث، كلّ أشكال التفتيت الطائفيّ، والانهار المحزن للقيم اللبنانية، قد جسّد في شخصه، وعلى نحو مبدئيّ، الحالة الوطنية الوفاقية؛ فكان نموذجاً لثقافة الحوار والانفتاح والتسامح والتمسك بالوطن الواحد. وقلّما شاهدنا إنساناً مثله، يعامل كلّ الناس على أنّهم إخوة. وفي هذا التوجّه التجاوزيّ للوضع الطائفية وصراعاتهم، يكمن سرّ من أسرار إجماع اللبنانيين على تقدير أدبه.

### الهدف الأوّل

الحفاظ على المأثورات الشعبية، وتأسيس ثقافة الانتماء إلى الأرض والوطن. لعلّ عناوين كتبه مثل «في الزوايا خبايا»، «لثلاً تضيّع»، «جود من الموجود»، «ثمانون أو العمر الدائب في البحث عن المتاعب»، هي عنوان حياته، في سبيل إنجاز هذا الهدف. فهو كان يعي تماماً أهمية إحياء الذاكرة الجماعية، والأثر الكبير للحفاظ على التراث، وإنقاذه من الضياع والتشتت، وتقديمه إلى الناس في نهج جديد يجمع بين جانبيّة المضمون، وسحر الأسلوب. وكلّ ذلك من أجل تأسيس وعي وطنيّ، يقوم على الربط بين التراث والهوية والانتماء، أي على تأكيد علاقة التلازم بين «التراث والتراب». ويكاد لا يمرّ حديث له، أو كتاب من مؤلّفاته إلاّ ويذكّرنا بأنّ «من لا تراث له لا وطن له»، و«الويل لأمة لا جذور لها».



د. إلهام كلاب البساط

## خميرة مباركة

نبعة الى...

### ثالثاً:

الإيمان، وبالتالي البرهان البديهي بأن هذا التراث هو جامع اللبنانيين في حقيقتهم وفي أصلاتهم. الإيمان والبرهان بأن هذا الماضي هو أساس المستقبل.

الماضي الموحد لنا في أفراننا وأحزاننا وردود أفعالنا الإنسانية.

والمستقبل الذي، إذا مدّ جذوره برحابة في هذا الماضي السحيق، استطاع أن يوحدنا ويجمعنا في عمق إنسانيتنا حيث يخفت كل اختلاف وتفريق.

### رابعاً:

من أمثولات سلام الراسي،

التفوق على العمر وعلى وهن الصحة بالمتابعة والبحث والإنتاج والزيادة.

أمثلة لكل باحث أو متابع في مجالات التراث، كي لا تغميه بهرجة اللحظة وضحكة الخبيرة، فينسى تعب المتابعة والحفر المضي في التراب الثري.

فالتراث على سهولة مدّ اليد إليه، ليس سهلاً. إنه الإصغاء المديد والصبر الطويل لتقطر نداءه.

ندى يتقطر مثل ماء الزهر التقليدي في قرانا، موسماً بعد موسم، على نار الجهد والانتظار للعبق الأصيل.

هذا العبق أتحفنا به جهد سلام الراسي خلال عمره المديد، وأورثنا إياه خميرة مباركة تخصب كل بحث تراثي.

يقبل على التراث بشغف سلام الراسي المجدول بقدرته الحثيثة على متابعة دروب القرى المتشعبة وعلى الإصغاء لهمسات الناس المتنوعة.

كل بحث يستلهم تعبيره الفريد في صياغة تاريخنا اليومي الصادق، وكأنه الحدث الاستثنائي الباهر، فرادتنا المتميزة وإنسانيتنا الواحدة.

منذ أن غاب عنا سلام الراسي، ازداد إحساسنا بهوة فقداننا من بيننا، وتراكت حسرتنا على غياب رائد كان بمثابة موقع تشكّل النسيج المتين الذي جمع ما بين الدارسين والتائقين ومتدوّقي التراث؛ في إجماع على أبوته، وفي اعتراف بقدرته المبدعة على صياغة العاديّ وكأنّه الاستثناء.

سلام الراسي سنظلّ نحتفي بك كلما استعدنا الأمثولات العديدة التي تركتها لنا ضاحكاً حازماً، وقد أصبح نهجك السهل المتمكّن المتفرد تراثاً في دراسة التراث.

أمثولات عديدة، عشنا في بدايتها عندما كنت بيننا، ونستعيد منها أربعاً:

### أولاً:

النظر إلى اليوميّ كعابر وكأزليّ في الوقت نفسه. زمن يستعاد ولا يستعاد.

يستعاد كموقع اطمئنان وانتماء ونهج حياة، ونسجّل استعادته كلحظة تألق إنسانيّ لا تتكرّر. النظر إلى اليوميّ بألفة ومحبة وإعجاب، واعتباره التاريخ الحقيقيّ لأصالة الناس، يرسم واقعهم ومصائرهم من رجع الأحداث المصيرية الكبيرة ومن صلب أحداثهم الصغيرة.

ففي القصص التي نقلها وصاغها وابتدع عقدها، لا نجد الحرب، لا نجد السلطة، لا نجد التاريخ كحدث أساسيّ، بل نجد ظلّ هذا التاريخ المهيمن على أصغر حادثة في أصغر قرية، نجد إيقاعه، نجد تأثيره الإنسانيّ الحقيقيّ على حياة الناس، في قصصهم وخطابهم اليوميّ واستنتاجهم العفويّ وأمثالهم المتجدّدة.

### ثانياً:

إمعان النظر، بتفاوت وفرح ودهشة واغتراب، في المصائر الإنسانية المختلفة والشخصيات المتنوعة الفريدة، في المواقف المتناقضة التي تصنع في تناقضها طرافتها ومغزها، حتّى الفرحة والدهشة في استعادة قصائد الندب ومؤلفيها وظروفها، ورصد تطوّر مواضيعها دونما حرج أو همّ أو غمّ.

# جورج سكاف في «صفحات من لبنان»

ذلك الوفاء أعرفه...



جورج غريب

ويضجّ الوفاء من جديد في صدر صاحب الصفحات المقدّسة، وقد انتشى من عطر تراب الغابة الدهريّة، فإذا لكبار على «صفحاته» - من بلادي- في حقول: الرئاسة، والسياسة، والحكم، والمؤامرة، والمصير، والاستقلال وأقطابه، والجمهورية وأمرائها، والحكمة ووميض الإشراف، ودائرة معارف تمشي على الأرض... وفي ميادين أسطورة تاريخ، وأبوّة رسولية، وصحافة، وظرف، ورجال دولة وإعلام وفن ونحت وحكي يبقى، وذكريات طابت، ورجال دين، وإلهة هيكل، وصياغة كلمات، وتراث، وشعر، وكتابة بالقلب والعين، وترجمة في البيت الأبيض... وفي مراقي أدب وعدالة وبلاغة قانونية...

إنّاً لهؤلاء الكبار على تلك الصفحات جدّة، ونبض، وإشراق، ودفء، واستعادة، وإحياء، وإن عبّرت بها الأيام...

\*\*\*

ويضغط الوزير السابق، ونائب نقيب الصحافة الجديد، والصحافي العتيق، والأديب الأنيق، على جميع طاقاته الفكرية والعاطفية والجمالية، وهو يحاضر - من خلال حُبّه الأكبر - عن لبنان وطن نهائي لجميع أبنائه في ندوة «كنيسة من أجل عالمنا» حول الهوية في الدستور والإرشاد؛ وذلك في قرنة شهوان، حيث يتمثّل السياسي اللبني،

عهدى به، منذ كان لبنان وطناً واحداً لجميع أبنائه، مَعْبِداً واحداً لجميع المُصَلِّين، مُتَكَفِّفاً واحداً لجميع غازلي خيوط الحرير... يأتونه كلّما خفق لهم نابض في الضلوع، وحلقت أجنحة في سماء، وطافت عيون في آفاق، وأبحر مجذاف في يَمّ، وجبه شرع أعاصير، وحمل: حرف إلى دنيا، ورغيف خبز إلى جائع، وكأس خمر إلى عطشان، وبيت شعر إلى عاشق...

مُوجع وفائك يا جورج سكاف، في صفحات لك من لبنان... حيث أمارة الشعر، زحلة، جارة الوادي ومدينة العناقيد والبطولات... والسحر الحلال، زحله بكلّ أوزانها وقوافيها... زحلة الأرض والمواسم والخوابي العاتقات...

ويروي الزمان حكايته، فتتوالى على قلمك أسماء عشاق كبار، غنوا عروسة البقاع الخضراء، بقصائدهم، بمقطعاتهم، بشوارد أبياتهم، حتى ليكاد ما جئت به، أن يكون مُعْجماً وأفياً لهؤلاء المُعْجِن، أكانوا من اللبنانيين المقيمين، أم المنتشرين، أم من أبناء المشرق المتيمين...

\*\*\*

ويسير التاريخ بمُعْجَمك الأمين، ليتوقّف عند مطلع السنين العابرات، مع «كرمنا في عليّ» التي جعلتها مع «المفكرة الريفية» أخوين في الرضاع، فلم تهمل بعض ما قيل من أساطير، في تلك الأسطورة الخالدة على الزمن، قبل أن تعود بنا إلى مقدمتها الوارفة الظلال، فإلى «نفتح الدوالي» بالعناوين المغريات...

فالعش الأخضر، والتينة، والنواصة، وحبّة العنب، والتلة، والعنقود، والدوالي، كلمات تفتح لعيوننا النوافذ على ماضٍ لهيف انطوى، كما تُشرع لنا «جثة الأطياب» الشبابيك على ذلك الماضي الحيّ رغم انطوائه؛ فالمواعيد، وشتاء من الزهر، وليلة عيد، ويا هلا بالخريف، وفرحة الأبيض، وبقية الطيب... ومضات تهزّ منا المشاعر، وتستقطب الحميم من الذكريات. وهكذا «مواطن الجمال»، حيث العيان، وعقد الياسمين، والخصر، والأسى، والسكر، مفاًن يرسمها لنا قلم عروف بمفاتيح الحسان، قلم لا يرتوي مهما كان له على «عرائس الموج» ودنيا الأساطير من مُدهشات...

على أن زحلة، تظلّ عروسة شعره، أغنيته الأولى والأخيرة، حلمه وحبّه الكبير، زاده ومعاده، أكانت مدينة النهر الجميل، أم أبنيته على صحائف الإعلام، أم أعمدته التي يرفعها لطموحات أجيال شبابنا الطالع...

فيا «أجراس وادي الحنين»، اصدحي ما طاب لك الصّداح، في عليا حضارتنا وثقافتنا وتراثنا، لعلك في «الليالي الميلادية» السماوية، تمدّين يدك العاريتين إلى هذا الوطن الحبيب لتنهضي به من ركاب الحاضر إلى بعلبيكات الآتي المنتظر...

\*\*\*

ويظلّ لبنان حبّ جورج الأكبر،

فها هو الأرز الذي يتعالى إليه، عبر «عناقيد الأيام»، أرز العهد القديم، أرز المسيح المزارع على أرضنا، أرز العلقمة المتجسّدة في «أرزات من بشر»...

حاول سلام الراسي الارتقاء بالأدب الشعبي ليكون قادراً على مواكبة العصر، والامتداد إلى المستقبل. فأتخذت مؤلفاته طابع الرويا والاستكشاف. ومن الملاحظ أنها اتّجهت إلى ربط الحاضر بحركتي الماضي والمستقبل، وتركزت أكثر ما يكون، على تجسيد حضارة القرية في قلب الحداثة، وعلى إحلال التوازن بين الأصالة والتجديد، في عالم القيم والإنسان. لأنّ الأدب الشعبي، بالنسبة إلى سلام الراسي، يعبر عن واقع إنساني أصيل. كما أنّ خصوصيتنا الثقافية ليست فقط خصوصية ماضوية، بل هي خصوصية شراكة في الحضارة، وفي الهمّ الإنساني العام.

### الاتجاه الثالث: إتاحة المآثورات الشعبية للباحثين

ترك لنا سلام الراسي ثروة من القصص الشعبي، والأمثال، والأساطير، والخرافات، والرموز، ومصطلحات الكلام، والأزجال. ويتضمّن هذا الموروث حضارة شعبية متكاملة المعالم، وسجلاً واسع النطاق للتاريخ الاجتماعي اللبناني. وعلى هذا الأساس، تشكّل مؤلّفات سلام الراسي مادّة دسمة، ومرجعاً قيماً للباحثين في ميدان العلوم الإنسانية، في دراساتهم للشخصية التقليدية، والذهنية الشعبية، ولأحوال تكوين الاجتماع اللبناني وأطواره.

وفي كلّ الأحوال، لن ننسى سلام الراسي على ما بذل من جهد في سبيل الأدب الشعبي، وسوف يبقى على الدوام جزءاً من ذاكرتنا الجماعية، وأحد رموزنا الثقافية الساطعة، ونموذجاً للطاء، ومنازة فكرية قاعدتها محبة الناس، وما ينتج عنهم من مآثر وإبداع. كلّ ما نتمناه أن لا تضيع إنجازاته، فهو قد فتح لنا أبواباً كثيرة للعناية بالثقافة الشعبية، من أجل المستقبل، ووجد في الزوايا الكثير من الخبايا، وقد يكون أفضل تكريم له أن نتابع رسالته، ونطوّر نهجه الإبداعي في نشاط العقول.

الناس هو الموضوع الأوّل، والمحور الأساسي لانطلاقه سلام الراسي الفكرية. كلّنا يعرف شعاره الشهير الذي اتّخذه عنواناً، أو قاعدة يسير عليها في كلّ مؤلفاته؛ ومفادها «أنّ عامّة الناس وفي كلّ مكان هم وطنه»، وأنّه في كلّ الظروف لسان حالهم، ومظهر من مظاهر وجدانهم. وممّا لا ريب فيه أنّ سلام الراسي سار في أدبه ينهل من معين الأرض وينابيع الحكمة. لكنّ سرّ نجاحه يكمن، أكثر ما يكون، في إتقانه فنّ الغوص في الاجتماع البشري، وفي موهبة إقامة شبكات التواصل مع الناس والتفاعل مع حكاياتهم ومشاعرهم ومآثرهم.

أمّا بالنسبة إلى الاتّجاهات:

### الاتجاه الأوّل: تقديم الأدب الشعبي إلى الجيل الجديد

في عصر الفضائيات والانترنت، حاول سلام الراسي جذب انتباه الجيل الجديد إلى الطابع الإنساني لتراثنا العريق الغني بالمآثر، حيث تتجلّى حكمة الأجداد، وروعة الفولكلور والنماذج السامية للبطولة، والطاء، ومكارم الأخلاق.

وممّا لا ريب فيه أنّ شيخ الأدب الشعبي قد نجح في هذا الاتّجاه. وكم كانت دهشته كبيرة، عندما لاحظ إقبال الشباب على الاستماع إليه وقراءة كتبه.

وفي هذا الإطار، لا بدّ من القول: إنّ سلام الراسي، أسهم فعلياً في تأسيس وعي تربوي، يقوم على إطاء الأدب الشعبي وظيفة في التنشئة الاجتماعية، ودوراً فاعلاً في ترسيخ القيم والفضائل التقليدية، كبديل من التغريب المجتمعي.



## كن ذاتك... فأنت فريد



الأب بطرس بو ناصيف

أنت جميل وكلّ ما فيك حقيقة يا صديقي، فابحث عن ذاتك بذاتك في ذاتك، وابحث عن الجمال في جمالك، وعن الحبّ المتفجّر من حبّك، عن الحقيقة التي تطمح إليها نفسك... حاول أن لا تستسلم لما ليس أنت، ولا تستقدم أفكارك من عالم غريب عنك، ولا تحاول أن تتماهى في غيرك لأنك تكون كلّ شيءٍ إلا أنت. لا تبع ذاتك لمن يشترك لاستعمالك... فأنت مخلوق لتكون ذاتك، وذاتك هي ميزة وعالم في الوجود، وهذا العالم المدعوّ إليه لا يجب أن يزيل منك خبرتك وشخصيتك لتكون ما يريد غيرك أن تكون، ولا لترتدي لباس الآخرين، وتفكر بعقولهم، وتتألم بصلبانهم... إنك مدعوّ لتتألف مع الآخرين وتتكامل معهم، ولكن بشخصيتك الخاصة وجمالك المميّز الثابت المنتظر في عمق أعماقك ليعبر عن ذاته، فلا تدع الحياة تسلبك جمالاً جبلك به، من منطلق أنّ الجميع منغمسون بسواد الخطيئة، فإذا ظهرت طاهراً كنت مميّزاً وظنك الجميع أنك الخطأ، فلا تهرب عندها لتكون مثلهم وإلا كنت كلّ شيءٍ إلا أنت...

كم من مرّة رأيت أناساً يستهويهم بعض المغنّين فيغنون مثلهم، ويرتدون لباسهم ويرقصون بحسب نمط رقصهم فيذبون في هوية غيرهم بحيث يصبحون نسخات متطابقة لحقيقة ليست هي ذاتهم وحقيقتهم... كم من مرّة تعجبت من أشخاص ينظفون سترات المتكابرين والمتشاوفين ويحاولون التكلّم بالطريقة نفسها مثلهم، ويفكّرون بالطريقة نفسها مثلهم ويغيّبون آراءهم وأحاسيسهم الشخصية باسم الانتماء، وأيّ انتماء هو هذا الذي يميّنتني ليحيا هو؟...

أنا في قلب الإنسان لنجد ذرّة الحبّ التي تتفجّر بالخلق وتتشعب ثمارها عبر التاريخ الكونيّ والفرديّ لتدعونا إلى أن نكون «نحن» و «أنا»...«نحن» هو الجواب الكونيّ على الدعوة الأزليّة، وال«أنا» الجواب الكيانيّ على الدعوة الشخصية... فكلمنا نمت «أنا» أصبحت إمكانية نموّ الكون غير صعبة ومستحيلة. لذلك، سأتوقّف معك يا صديقي لأفكر وأتأمل...

غريب أنك تظنّ نفسك أيّها الإنسان بشعاً، لأنك تفرق نفسك بما لم يخلقه الله فيك، فترى جمالاً أرادته الناس، وتتجاهل جمالاً أرادته الله فيك... إنك فريد بجمالك وبما تظنّه بشعاً فيك معاً، لأنّ الجمال لا يضع حدوده الإنسان، إنّما هو قصّة حبّ الله المتجدّدة فينا في كلّ لحظة... تظنّ نفسك غير منتمٍ إلى واقع كلّ حياة وحقيقة، والحقيقة أنك أنت الذي تنزع ذاتك من واقعك لتقف غير قابل لذاتك ولا لمقدّراتك ولا لعطاياك... تظنّ أنّ الحبّ هو عدوكّ لأنه لا يقترب منك، في حين أنك تكون أنت عدوّ الحبّ وتبعده عنك فترفض أن يتشبّث بكيانك الأزليّ الأبديّ... كم من مرّة تعتبر أنّ كلّ شيءٍ ضدك فتكره الحياة! والواقع هو أنك ضدّ كلّ شيءٍ، لذلك تبتعد عنك الحياة... كم من مرّة تظنّ نفسك غير محبوب، والواقع يصرخ إليك لمانا لا تحبّني... كم من مرّة تناديك السّماء باسم ليس كالأسماء، باسم الخاصّ الثمين المميّز الفريد، وأنت لا تصغي إلى صوتها، بل تستهويك الأصوات الغريبة التي تنبعث من نانة القبور الفاسدة فلا تسمح لك بأن ترى أو أن تسمع أو أن تستمتع بفرادتك...





والمؤرخ الصادق، واللاهوتي السَّميح، والأديب المبدع مرتفعاً بالخصوصية اللبنانية إلى علياء الشمولية التي تخطت بنا الأزمت ونحن في طريقنا إلى القمة، لشك العلم في محيطنا المشرقي.

\*\*\*

أجل، ذلك الوفاء أعرفه في الصديق جورج سكاف.

وهذه الأناقة عنده، أعرفها... منذ أن أدخلني رفيقُ دُرْبِي أنطون قازان\*

عالمها في مطلع الستينات، بعد صدور «كرمنا في عَليْن». فأنا وأنطون، على مدى ربع قرن، كنا كالأخوين «تارو» في فرنسا، نكتب معاً لجورج غريب، نكتب معاً لأنطون قازان، ومعاً نكتب لبعض مُسوِّدي الدولة، وعن بعض عظماء الكلمة.

أناقة في الإخراج.

أناقة في المعاني والمباني.

أناقة في الرسوم الموحية والتحقيق الدقيق.

تُرى هل انتهيتُ حيث يجب أن أبدأ، أو بدأتُ حيث يجب أن أنتهي؟ ما همّ الذي يعنيني قوله، وأنا مع «صفحات من لبنان» بأجزائها الثمانية، أن جورج سكاف يَهْبِنَا عافيةً إبداعيةً، يخشى على اللفظة أن تقسو، فَيَمِيرُنْهَا بالروح، ويخاف عليها أن تلين فيشدّها بتحشيد صنعاتي الألق...

له من العزّ الأدبي رفعة، وفي اقتناص الغربات تصويب.

التعبير عنده يُطلع غرابة، والغرابة تعيدك إلى منطق، والباحث في أدبه يحار بين وترين، لأيّ منهما يعود الثَّغْم.

هذا الذي عاصرَ تاريخَ لبنان الذهبيّ، نهبىّ النتاج، لا تدري في مزيجه الرائع، أهو من بساطة الطبيعة أم من تشابك الفن، لتماسك ما يضيفي عليه من اللعبتين معاً... يحولُ رؤاه إلى لوحات؛ فالريشة بين أنامله، تعاني صراعاً بين المنظور والمُتخَيَّل، وتجعل عناقاً بين واقع واستحضار.

تحيرك الأمة، فهي لا تهدأ إلا على أصوات  
الثَّغْم...

لعبته الكبرى، في زحمة الأنوال، أنه ينهض بك  
إلى الرائعة، ولا أثر للثَّغْم عليه...

أهلوك، يا زحلة، قولي: مَنْ هُمْ؟ سَمَارُ ليلٍ  
عشيقوا، أم أنجُم؟

كُوُوسُهُمْ، من حَمَرِهِمْ، مُتْرَعَةٌ،  
والثُّورُ، في عَلْيَانِهِمْ، يرتسمُ

فلا مَوَاسِمُ الخوابي تنتهي... ولا قوافي  
شِعْرِهِمْ تَحْتَمُّ

من كَوُثْر الوادي صِغاراً رضعوا،  
وبعد أن شاخُوا به ما فُطِمُوا.

المفكرة الرفيعة التي أدهشت عصراً، وشائج قُربى. فالذي وجدناه عند جورج سكاف في كُرمه هو الذي رأيناه عند أمين نخله في مفكرته، من هندسة، وإيجاز، ونداوة، وتوقيع، ودقة، وعندلة، ولعب بالحروف، والتعدي في الأفعال، ومن غرابات لا تلين إلا للمهزة من الصّاعة.

كلاهما له مرٌّ أنامل على ندى العمر بما فيه من ياسمين وورد، على طبيعة تكاد تكون من بقايا فردوس عتيق، على هوى ما زال عالقاً بحمرة الشفاه وخفق الأكياد...

كلاهما رجحُ شَجَنَ لعهود الصبّا على هبوب الصبّا، ساعة تلك العهود قلقُ عنفوان، وعتاب يكاد يبوح بالرّضا، وصفحات تُتلى في مواسم التفتُّح...

كلاهما رجحُ طبيعة إلى هناءات المطارح، حيث للجود أصداء، للأباء رفيف، للأبناء والأحفاد هزج أجنحة...

كلاهما إيماءات هوى إلى رسائل الحبّ والجوى...

كلاهما أصالة صلاية ولين، يحطّ الصورة أمام ناظريك وكأنها خطفُ جناح سنونوة تمرّ في مطلع الربيع، أو رعشة أناقة وحياء على محيا عذراء، شمسُ خدّها على الطامعين.

كلاهما روض الكلمة وراضها بالتقوى في معتكف الصّياغة، لا الضيق معها يُتعب أنفاسك، ولا المدى يوهن ناظريك، فأنت معهما في الكتابين على مدى باع من العنقود القريب المنال والقطف الموعود.

المفكرة الرفيعة لأمين نخله وكُرمنا في عليْن لجورج سكاف أخوان في الرضاع لو تعلمون.

\* كنت وأنطون قازان، على مدى ربع قرن - انتهى برحيله المفاجئ- رفيقُ دُرْب (وكتابي الحامل هذا العنوان لم يصدر بعد)؛ فما من نهار عَبرَ، إلا وكانت نهايته - بين السابعة والتاسعة ليلاً- في مقهى الحمراء على ضفاف زيتونة بيروت التي لا تنام، حول كأس ونارجيلة وطاوله زهر وشعر، أو حول خطاب لمُسوِّد من مُسوِّدي العصر، نصوغه له وفقاً لمناسبة رسمية ما...

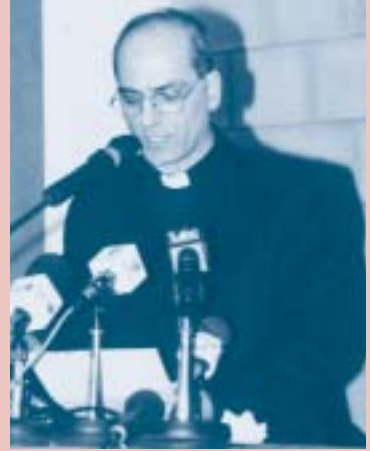
قال لي ذات أمسية، ونحن في طريقنا من مكتبه -تجاه البرلمان- إلى مقرنا المعروف في الحمراء، لننعم باحتفالنا اليومي المعتاد، وللترويح عن النفس: نحن الليلة على موعد مع جورج سكاف صاحب «كُرمنا في عليْن»، عند الساعة التاسعة، إذ نكون قد انتهينا من الواجب الذي ما أخلفنا مواعده يوماً. لننصرف إلى العشاء بعد ذلك واحتساء رحيق الخمرة من الكرمة العلينية. لكن الأحداث تكاثرت تلك الليلة، ولم يشأ الصحفي المؤمن برسالته أن يغادر مكتبه في الجريدة قبل أن ينتهي من آخر كلمة فيها، فجاء بعد منتصف الليل معتذراً، وعلى مُحيّاه علامات الضنى وراحة الضمير...

فأكبرت وأنطون مواقف أصحاب الرسائل.

جورج سكاف الصحفي، أديب يسهر على نتاجه الأدبي سهره على أمانته الصحفية، عروف بالكلمة كيف تنتقى، بالتركيب كيف يُنزل، بالبناء كيف يكتمل، بالوجدان كيف يشتغل، بالرائعة كيف تُغزل وتُنحت وتُوقَّع، من هنا كانت ديباجته وفقاً على صاحبها، رهناً بناسجها، لا تَمَسْ، ولا ينزاح ألق فيها إلا بإرادة واهبها الطابع الشخصي.

يقيني أن بين كُرمنا في عليْن، الذي أسهرنا تلك الليلة حتى انبثاق الفجر، وبين

# إِلَى ذَاتِ مَرْيَمَ



الأب الياس كسرواني

يَا خَالِقَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،  
وَحَايِكَ الزَّمَنِ لِهَمًّا رِءَاءً،  
بِكَ الْكَائِنُ يَكُونُ، وَبِكَ لَا يَكُونُ.  
مِنْ رُوحِكَ يَصْعَدُ الْوَلِيدُ صَرْخَةَ الْأَلَمِ الْأُولَى،  
وَإِلَى رُوحِكَ يَخْبُو صَمْتٌ لِسَانِهِ الْأَخِيرِ.  
إِذْ شِئْتَ، قَطَطْتَ غِلَالَ الْأَعْمَارِ،  
وَاعْتَصَرْتَ شَهْدَ الثَّوَانِي مِنْ حَيَاةٍ صَنَعَ يَدَيْكَ،  
تَسْتَعِيدُهُ إِلَيْكَ.

بِكَ الْحَقُّ يَشْتَرِعُ مَسَالِكَ الْعَدْلِ،  
وَبِكَ يَنْعَقِدُ الْأَبَدُ مَعَ الْأَزَلِ فِي هُنَيْهَةِ الزَّمَنِ  
السَّرْمَدِيَّةِ.

لَوْ حَسَبْتَ أَيَّامِي بِدَوْرَاتِ الْكَوَاكِبِ،  
لَكُنْتُ عُمْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَثِيرِ،  
وَسَارَعْتُ إِلَى مَحْوِهِ، الطَّوَالُ لِيَالِي،  
كَمَا بَلْمَسَةَ كَفِّ نَسَمَةٍ عَابِرَةٍ؛  
لَكِنِّي حَسَبْتُ عُمْرِي بِلِقَاءِ أَبِي إِيَّاكَ.

أَنْتَ أَحَلَّتَ الْغَدَّ وَالْيَوْمَ أَمْسًا،

لِتُبْقِيَ عَلَيَّ صَبَابَكَ نَضِيرًا.  
أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَإِذْ أَعُوذُ إِلَيْكَ،  
أَسْتَعِيدُ دَوْرِي فِي خَلْقِكَ :

أَكُونُ خُلُودَكَ وَنَظِيرِي مِنْ بَشَرٍ، مِنْ شِلْعِ  
أَعْمَارِنَا.

فَكَلَّمْنَا رَجَعَ أَحَدُنَا إِلَيْكَ،

أَعَادَ إِلَيَّ صَدْرَكَ ضَلْعًا كُنْتَ اسْتَلْتَهُ

لِتَزْرَعَ الْكُونُ بَشْرًا عَلَيَّ صُورَتِكَ،

وَشِئْتَ أَنْ كُلُّ بَشَرٍ يَعُودُ إِلَيْكَ، يَزِيدُ قَدْرَهُ مِنْ عُمْرِ  
اللَّهِ،

إِذْ، مَنْ يَعْرِفُكَ، غَيْرَ الْبَشَرِ، سِوَاكَ ؟

وَتَبَقَى أَنْتَ فَيَضًا مِنْ خَلْقٍ وَعَطَاءٍ،

عَرَفْتُ، يَا سَيِّدِي، لِمَ نَادَيْتَ مَرْيَمَتَنَا، فَلَبَّتْ  
لِلْحَالِ،

أَتَيْتَهَا أَنْ تُطِيلَ عُمْرَكَ حَيًّا وَهَيَّاءً.

عَرَفْتُ، يَا سَيِّدِي، كَيْفَ نَادَيْتَ مَرْيَمَتَنَا فَلَبَّتْ  
لِلْحَالِ؟

لَقَدْ أَشْدَدْتَ لَهَا نَشِيدَ الْأَنْشِيدِ،

أَغْرَيْتَهَا بِحُكِّكَ، قَلْتَ لَهَا :

« قَدْ خَلَبْتَ قَلْبِي يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ،

أَرَيْتَنِي مُحْيَاكَ يَا حَبِيبَتِي الَّتِي فِي نَخَارِيبِ  
الصَّخْرِ،

أَسْمِعِينِي صَوْتَكَ، إِنْ صَوْتِكَ لَطِيفٌ وَمُحْيَاكَ  
جَمِيلٌ. »

وَهِيَ الَّتِي يَطْفُرُ مِنْ يَدَيْهَا الْخَيْرُ كَالْغُدْرَانِ،

وَفِي قَلْبِهَا يَزْهَرُ السُّوسَنُ كَمَا فِي سَفْحِ جَبَلِكَ  
لُبْنَانِ،

وَخَلْفَ أَقْدَامِهَا تَجْرِي دُرُوبُ الْإِسْتِقَامَةِ، سَدِيدَةٌ  
السَّعْيِ إِلَيْكَ.

وَإِذْ أَلَحَّ عَلَيْهَا الْحَيْنُ إِلَى صَدْرِكَ الرَّضِيِّ،

أَبَتْ كَالطَّيْرِ قَبْلَ مَغِيبِ الْعُمْرِ،

لِكَأَنَّهَا ضَاقَتْ بِهَا مَمَرَاتُ الْوُجُودِ،

قَذَفَتْهَا عَنْ دَرْبِ الْحَيَاةِ إِلَيْكَ قَذْفًا.

– كَيْفَ تَرَكْتَ مَرْيَمَتَنَا عَوَالِيهَا ؟

– هَا أَنْتَ وَأَقِفْ كَالصَّائِدِ أَمَامَ عَتَبَةِ قَصْرِ  
السَّمَاءِ،

فَمَا كَادَ يَنْبَسِمُ تَغْرُ الزَّمَنِ،  
حَتَّى التَّمَتَّهَا كَلِمَةً حُبًّا، بِشَفْتِي الْوَعْدِ،  
اعْتَمَرَتْهَا بِشِدَّةٍ،

وَلَمْ تُطَلِّقْهَا إِلَيَّ أَنْ اسْتَقَرَّتْ فِي خَدْرِ حُبِّكَ.

كَسَوَتْ فِيهَا مَطَارِحَ السَّمَاءِ حُبُورًا،

لَأَنَّهَا ذَاتُ نِعْمَةٍ.

أَثَرْتُ أَنْ سَلَيْتَنَا ابْنَةَ الْحِكْمَةِ وَالْفَرَحِ،

لَأَنَّهَا سَلَكْتَ بِالْحَقِّ، كَعَمُودٍ مِنْ بَحُورِ أَمَامِ  
مُحْيَاكَ،

وَفَاحَ عَرَفَ الْخَيْرِ مِنْ فِيهَا، أَمَامَ أَتْرَابِهَا مِنْ  
بَنِي الْبَشَرِ.

اخْتَصَرْتَ فِي مَرْيَمَتِنَا الْمَرْيَمَاتِ كُلَّهِنَّ :

مِنْ حَقِّ طَيْبٍ إِلَيَّ حِضْنِ أُمِّ.

أَتْرَاهُ حَسَنَ فِي عَيْنَيْكَ أَنْ تَرْجِعَ طِفْلًا،

فَاقْتَرَضْتَ مِنَ الْأَرْضِ غُنْجًا سَمَاوِيًّا!

بُورِكَ لَكَ بِهِ.

أَسْتَأْذِنُكَ، سَيِّدِي أَنْ أُخَاطِبَ حَبِيبَتِكَ مَرْيَمَ،  
بَعْدَمَا اسْتَرْقَتْهَا.

أَسْتَأْذِنُكَ سَيِّدِي، أَنْتَ الْهَائِمُ بِهَا!

« أَيَا مَرْيَمُ! مَا يَزَالُ سَلَامُكَ طَيِّ يَدَيَّ،

أُودِعِيهِ، رَجُوتُكَ، يَدَ سَيِّدِ السَّلَامِ. »

وَيَا مَرْيَمَتَنَا، أَشْبَعِي ابْنَ السَّمَاءِ حَنَانًا،

لَطَالَمَا تَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْذُ فَارَقَ حِضْنَ أُمِّهِ،

فَأُمُّهُ، وَكَلَاكُمَا مَرْيَمُ،

سَتُظَلُّ نَبِيكَ بِالْحُبِّ وَالْحَنَانِ وَالْأُمُومَةِ.

أَقِيمِي، لِلْحَمْلِ النَّهْيِيِّ، عَلَى مَا اعْتَدْتِ،

مَهْرَجَانًا مِنْ وَلَايِمٍ وَأَفْرَاحِ،

لَقَدْ أَبَ النَّحْلُ هُنَا، دُونَ أَنْ يَرَعَى الْعَسَلِ،

وَجَعَّتِ الْعِنَاقِيذُ، فَلَا نَبِيذَ فِي الْكُرُومِ،

وَتَقَصَّفَتِ الْكَلِمَاتُ عَلَى شِفَاهِ الْأَجِيَّةِ،

وَأَقَمْنَا لَكَ، مَهْرَجَانًا ذَا جَلْبَةِ،

مِنْ غِنَاءٍ وَبَحُورٍ وَصَلَاةٍ.

# تلك المسحوق

أحدكم مشهد غياب الشمس؟ فكل صورة تكشف لوحة مختلفة، والاختلاف ليس نقصاً إنما غنى، والفرادة ليست ضعفاً إنما قوة... وبين الفريد والثابت علاقة أزلية: فبين الوقت والشمس التي تغيب هناك لقاء حميم، فالشمس تغيب لتعود بحياة جديدة لأنها لا تغيب إنما نحن من نغيب، والوقت يذهب ليعود بخبرة جديدة والوقت لا يذهب إنما الوقت ثابت ونحن متحركون فيه... نحن نتحرك بواقعنا نحو أزلية هي فينا ولأجلنا... وحركتنا هذه تتجلى بمظهرين: الأول هو الحركة الشخصية، أي النمو الفردي الذي يخدم الخليقة والحقيقة والذي يبرز بالفرادة جمال الله الساكن فيه... والثاني هو الحركة الكونية التي تنمو فيها الخبرة الإنسانية فتنتقل من إنسانية مخلوقة بالحب إلى إنسانية بالحب تختار أن تكون مخلوقة...

الفرادة هي الكلمة التي يصوغها الشاعر لتعبر عن لحظة وخبرة، هي البسمة التي نبتسمها لأول حب، هي صوت جميل لا يتكرر أبداً عبر التاريخ، هي صرخة الطفل عندما يدخل الحياة، هي اللحظة الهاربة مع كل لحظة، هي الفكر الذي يترابط بالأفكار ليعطي فكراً جديداً، هي لقاء نظرات متعاقبة بين أصدقاء، هي دمة بكيها في حدث فجر عواطف الحنان فينا، هي كل إنسان بعيونه وأفكاره وأحاسيسه ووقته وانتماءاته وتصرفاته، هي أنا من وقت سبق وأنا في الوقت الحاضر وأنا السر في انتظار المستقبل، هي عطية لا تتكرر، هي نظرة الله التي تتعاطى مع كل نفس وكأنها الوحيدة الموجودة في هذا العالم، هي نجوم في ليلة ساحرة، وغيوم في يوم عاصف، وقمح يستمتع بلفح نور الشمس، هي كل شيء لم يصنعه الإنسان، وكل شيء صنعه الإنسان عندما كان منفتحاً على سر الخلق والحب والحقيقة...

بالفرادة نكون ناتنا: الفرادة لا تتكرر. لذلك علينا أن نحبها. وحبنا لها لا يجب أن يكون صدى لماض، أو مجرد ملاحظة لحاضر، ولا انتظار لغد قد لا يأتي أبداً... الفرادة تتطلب وعياً منا نحن الناس، فنفهم أننا سر اللحظة وأن الوقت الذي يمر لم ولن يتكرر. لذلك، علينا أن نكتشف سر الفرادة في سر هذه الحياة العظيمة، التي فيها نكتشف حب الخلق، وفرادة التجسد والصليب والقيامة، فرادة الله الذي صار إنساناً ويدعوني لأفهم أنني ما خلقت لأكون ما ليس أنا، إنما لأكون ذاتي بكمالها.

كم من مرة رأيت تلامذة يجتهدون ليعرفوا ما يعرفه أساتذتهم، وأقصى طموحهم هو أن يكونوا كمعلمهم قلباً ومضموناً؛ فيفهمون ما فهمه الآخرون، ويقبلون ما قبلوه فينتقل العلم بالذاكرة من دون تدخل العقول والعواطف، بمعنى أن العلم يصبح واقعاً وليس قناعة، ولا يحولون العلم المكتسب إلى طريق تحملهم للتعبير عن أسرارهم وغناهم الخاص... كم من مرة سمعت مبشرين يخبرون عن الحقيقة متبجحين بما سمعوه فقط، فيطربوا أذان السامعين بكلمات طنانة، ولكن الكلمة تبقى بعيدة كل البعد عن العيش إذا لم تكن صدى لخبرة شخصية واعية. والحقيقة التي لا تكلم الواقع وترفعه إلى أقصى درجات الكرامة تبقى ثرثرة... لذلك، علينا أن نعيد حساباتنا، فنعرف أننا أبناء السماء، نتفرد بهوية خاصة مميزة لا يماثلها شيء في الأرض ولا في السماء. نحن إرادة بعيدة كل البعد عن معامل الكذب التي تردد نفسها. نحن أبناء الملكوت، ولسنا سوى إرادة الله وحكمته ووعيه. لسنا أدوات يستعملها الوجود ويلفظها الموت... لذلك، يكون حزن الله كبيراً عندما يفقد نفساً، لأنه فقد من جمال قلبه قيمة لا يستطيع بأن يصنع غيرها لأنها فريدة جداً...

انظروا معي يا أصدقائي!!! هل صدف أن رأيتم شجرة تشبه أخرى، أو غصناً يشبه آخر؟... هل صادفتم وردة تشبه وردة أو عطراً يماثل عطراً؟... هل شاهدتم سماء هي نفسها بغيومها وألوانها تتكرر كل لحظة؟... هل ذهب يوماً نور الشمس وعاد نفسه ليلون بشرتكم؟ هل عشتم لحظة، وكانت اللحظة التي تبعثها هي نفسها؟... هل رأيتم عيناً تشبه عيناً، أو قلباً يشبه قلباً، أو جمالاً يشابه جمالاً، أو لطفاً يقاس بنفس مقاييس لطف آخر؟... كم كتب أناس عن الحب وبقي الحب وكأنه لم يكتب عنه قط لأنه في كل مرة يكون فريداً... هل استطاع أحد أن يصطاد نفس نقطة الماء من قلب المحيط، حتى ولو أنه اصطادها بلحظة وأعادها بلحظة ليصطادها بعد لحظة؟... هل استطاع أحد أن يعيد الشمس إلى فجرها كل يوم وكأنها لم تغب بمغيب فريد في اليوم السابق؟... الوقت لا يتكرر لأن النمو يترك كل لحظة «أنا» ليبنى «أنا» أخرى أكثر فرادةً وأجمل وأعمق... هل صدف أن صور

## نشيد مغارة جعيتا

جورج شكور

### ها هنا للحسن معبد

كلّ شيءٍ باتَ حيّ  
ذلك النُحْتُ البهيّ



مَقْصِدُ الْعَالَمِينَ  
بِلِقَاءِ الْعَاشِقِينَ



وَمِثَالاً لِلْمَلَا حَةَ  
فِيكَ تَحْوَلِي السِّيَاحَةَ

قال: «مِ الْمَاءِ جَعَلْنَا  
وَمِنَ الْحَلْمِ حَمَلْنَا

ها هنا للحسن معبد  
وجمال يتجدد

دُمْتُ، يَا لِبْنَانُ، جَنَّةً  
وَاهِباً مِنْ غَيْرِ مِئَّةٍ

وَعَدَا الْمَاءُ شُمُوعُ  
جُمِدَتْ فِيهِ الدَّمُوعُ

وخيالات عجب  
في تماثيل الذهب

كَرَوَى فِي بَالِ شَاعِرٍ  
وَكأنَ اللهُ أَمِيرٍ



ها هنا ماج الحجر  
يا لنحت مبتكر

رُوعَةٌ هَذِي الْمَغَارَةُ  
مَثَلَتْ زَهْوُ النَّضَارَةُ

أَيُّ لُوحَاتِ بَدِيعَةٍ  
رَسَمَتْ كَفُ الطَّبِيعَةِ



كي يعمّ الحبُّ في الدنيا  
ويرعاها السلامُ  
كي تصير الأرضُ أفراساً  
وورداً وخزامُ  
كي يضيء النيرانُ  
حيثما الأبناءُ  
وفي كلِّ مكانٍ  
ويفيض الله ما تبغين  
خيراً وحناناً،  
تجمعين الشملَ أجيالاً وأطفالاً  
على مرِّ الزمانِ.

## فيك كلّ الأمّهات

المحامي ريمون عازار

أنتِ أمُّ فاضٍ منكِ الحبُّ  
أم أنتِ صلاةُ  
أم جناحانِ ملاكانِ ونورُ  
تَلْدِينِ النُّورِ  
تُعْطِينَ الحَيَاةَ  
أنتِ عَيْنُ اللهِ لَا تَغْفُو  
وكلُّ البركاتِ  
أترى قد جمعتِ  
فيكِ كلُّ الأمّهاتِ

كلُّ حرفٍ إذ تناجين دُعاءً  
كلُّ خفقٍ في حناياكِ ابتهالٍ ورجاءٍ  
كلِّما هلَّ صباحُ  
كلِّما جفَّتْ يَنابيعُ العطاءِ  
تُنزِلِينَ النِّعَمَ السَّمْحَاءَ  
تُدنِينَ السَّمَاءَ





جورج مغماس

## عَنْصَرَةُ الْوَجْدِ

أقولُ: أباي  
تُزهرُ رمانةُ البيتِ الذي كانُ  
تلوُّنُ فراشةُ عيدانِ الشجرِ  
يُرخي السكونُ صَلاتَهُ  
يرحلُّ الليلُ عناكبَ الضجرِ  
وفي المدى  
تحت قناطرِ الزمانِ  
يغني الضوءُ  
يَندي  
يراقصُ شقوةَ الصبرِ في الحجرِ

أقولُ: أباي  
موسمٌ من العنبِ  
وزيتٌ  
سُلافُ العمرِ والثُّرْبِ  
سُرَى  
عَنْصَرَةُ الْوَجْدِ والتعبِ  
هَمُّ الرَبِيِّ  
هَمُّ الْوُلْدِ والقَبِيبِ  
وَكُتْبُ تَوَالِي  
من مفاتنِ الكُتُبِ

أقولُ: أباي  
ذَكَرَاكَ  
ها عيني تقبُّلُ  
أشرعُ ذاكرتي  
أصافي النفسَ  
الأمسُ  
أتلصُّسُ  
أصغي  
دنيا من الحبِّ تَبْتَلُ

أقولُ: أباي  
وجهك السَّمْحُ  
صَبْحُ بدا  
بلبلٌ من طبعِ الحناتِ  
خَطُّ الفضا  
غَبُّ الندى  
شال الشدا  
وتشهد  
وقع الشروقِ في مُحيا الجناتِ  
.. آه أباي  
وكفك الأعطتُ  
سختُ  
في القلبِ حلاها

# بين سُنبلَة وعوسجة



أنور صابر

فأنا، في عطائي، لا أموت. بل أحيأ في دورة الحياة وأتجدد معها.

أما أنت، في إجمامك ورفضك وأنانيتك، فتموتين حتى ولو بقيت حيّة. فجرّبي أن تخرجي من أنانيتك وحقدك، وأقبلّي على الحياة والحبّ والعطاء، وسوف تترين الانقلاب الجميل في حياتك.

فَوَجَمَت العوسجة، وطأطأت أشواكها مفكّرةً، مُستعرضةً حياتها السلبية الفارغة. وكمن أفاق على واقع جديد، قالت للسنبلة:

- لقد أقنعتني أيتها الصغيرة. إنك تجعلين لحياتك القصيرة معنى. أما أنا، وخلال سنواتي الطويلة، فلم أجد أي معنى لوجودي. ولكن، أنا لست أنت، إذ أنني لا أفيد في شيء ولست مؤهلة للعطاء. فمن يأكل عوسجة؟...

فقاطعتها السنبلة قائلة:

- لا يا عزيزتي، أنت مخطئة. فكلّ خليفة براها الله تفيد في ناحية من النواحي. وما على الخليفة سوى أن تكون مستعدة لأن تقبل مشيئته.

**وأشرق** الصباح التالي على عوسجة مجلّوة باسمه، أعجبت صاحب البيدر، فاخترها وقطّعها ليجعل منها مكنسةً متينة يجمع بها حبوب القمح على بيدرهِ.

دوساً، تحطمين، وتُفركين، وتُنثرين، ويطير بعضُ منكٍ أشلاءً في الهواء. ثمّ تؤخذ أجزاءُ منكٍ إلى النار طعاماً أو إلى البهائم علفاً. أما حبوبك فتؤخذ إلى الطاحونة حيث تُسحق سحناً وتطحن طحناً، وبعدها تُحوّلين عجيناً يحترق بالنار ليصبح خبزاً ويقدم طعاماً لذلك المتجبر الذي يدعى الإنسان.

ها هي سيرة حياتك المأساوية، أيتها الحمقاء. قول لي، برّبك، أين هي مدعاة سرورك وبهجتك، وكيف تستمرّين بحمد الله لأنه خلقك هكذا؟

فتبسّمت السنبلة بوداعة، وأحنت رأسها بهدوء، وقالت:

- أنا لستُ مسرورة فقط، بل سعيدة يا أختي العوسجة. وسبب سعادتي هو أنني أعرف أنني محبوبة من الإنسان، وأعرف مدى أهميتي له، وبالتالي لدورة الحياة. فلو كان ما يهمني حياتي فقط، لكنت أصبحت أنانيةً بغیضة، ولكانت أنانيتي انعكست على طباعي، فأصبحت كارهةً ومكرهة، يائسةً ومزعجة، وحيدةً ومرذولة، شريرةً ومُتجنّبة.

أما حقيقتي فهي، والحمد لله، عكس ذلك.

فأنا معطاءة، مُحبّة، أبذل نفسي في سبيل الآخرين، وأسعى إلى إسعادهم...

أنا، يا أختي، لا أقبل سوى بأن أوسم بكلمة واحدة: المحبّة. ولا محبّة من دون العطاء، حتى بذل الذات.

هذا هو سرّ سعادتي...

في ظهيرة أحد أيّام حزيران الحارّة، وحقلُ السنابل يركن هادناً تحت أوار القيقظ، نظرت عوسجة شمطاء إلى أقرب سنبلةٍ إليها وبادرتها قائلة:

- كيف أنت اليوم يا سنبلة القمح؟

فأجابتها السنبلة:

- بأحسن حال، والحمد لله!

فحملت العوسجة بها، وقالت بازدياء:

- أوليس عندك غير هذا الجواب، تطالعيني به كلّ يوم؟

- وماذا تريدني أن أقول سوى ما أشعر به؟ فأنا بألف خير.

فاستشاطت العوسجة غضباً وصرخت:

- ما أنت، يا مجنونة؟ لديك حظٌ ولا أسوأ، ونصيبك في الحياة هو الأوهى بين كلّ نبات الأرض، ومع ذلك لا أراك سوى مبتسمة فرحة. فلم أنت على هذه الدرجة من الحماقّة؟ فأجابتها السنبلة:

- ومن قال لك إنني أعتبر حظّي سيئاً؟

- لا أعرف ماذا تعتبرين، أيتها المخبولة. ولكنني، أنا، أعتبر ما أعرف أنه الحقيقة.

فأنت تزرعين، مع رفاقك، ولا حرية لك في اختيار مكان عيشك وزمانه. وتُفركين، هناك، في حقلك، خلال قيقظ الصيف، ولا من يقدم لك نقطة ماء. وغداً يأتي الحصادون ومعهم مناجلهم الحادة، ويقطعونك، مع رفاقك، قطعاً. يحصدونك، ثمّ يحملونك إلى البيدر، فتُداسين

# العلم العراقي النهبي



د. فاطمة درويش

وَالْقَلْبُ مُعْتَصِرٌ، يَجْتَاحُهُ أَلَمُ  
الْآتِهِمْ، حِقْدُهُمْ يَغْزُو، فَلَا سَلِمُوا  
مَزَارَهُمْ قِبْلَةً، وَالطُّهْرُ وَالْحَرَمُ  
يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ إِنَّ النَّارَ تَضْطَرِمُ  
أَتُسْتَبَاحُ وَشَمْسُ الْحَقِّ تَنْعَدِمُ؟  
تَصُبُّ نِيرَانَهَا، فَالْكُونُ مُحْتَدِمُ.  
لِكَيْ يُدَاسَ بِهَا شَعْبٌ هُوَ الْحَرَمُ  
تَعِجُ بِالطُّفْلِ، وَالْأَلْعَابِ... تَنْهَدِمُ!  
فِي قَلْبِ صَنْدُوقٍ، كَأَنَّهُ الرَّحِمُ!  
عَلَا بَرَاءَتَهُمْ، فِي نَوْمِهِمْ، سَقَمُ  
أُمِّ مِنَ الْهَوْلِ تَكْلِي، مَسَّهَا لَمَمُ!  
وَجُوهُ أَبْنَائِهَا، فِي حِجْرِهَا رُجِمُوا  
وَدَمْعُ عَيْنَيْكَ أَمْطَارٌ، وَذَا أَلَمُ!  
يُمَزَّقُ الطُّفْلُ وَالْأَوْطَانُ وَالْعِلْمُ؟!  
قَدْ ذَاقَ فِيهَا زَوْأَمَاءَ، وَالْفِدَاءُ دَمُ!  
بَنِيهِ مِنْ بَعْدِمَا أَيْدِي سَبَا انْقَسَمُوا!  
وَالْغَاصِبُونَ دُحُورٌ، عَارَهُمْ وَصَمُوا  
وَالْعَرَبُ إِرْهَابًا... خَابَتْ ظُنُونُهُمْ  
وَالْعِلْمُ عِنْدَ ذَوِي الْأَبْيَابِ حُلْمُهُمْ  
هَتَكَ الْجَمَالَ... فَرَّاحَ الْحَقِّ وَالشِّيمُ  
هَامَاتُهُمْ دَانَتْ... هَانَتْ نَفُوسُهُمْ  
لَمَّا عَلَى شَطِّهِ سَالَتْ دِمَاؤُهُمْ  
كُؤُوسَهَا بِيَدِمٍ فِي مَزْجِهِ حِمَمُ  
طَلَائِعَ النُّورِ... مَا عَادَ يَبْتَسِمُ  
مِنَ الْكُرَى، صُورٌ تَرْتَدُّ، تَصْطَدِمُ  
تَبًّا لَمَّا عَقَدُوا... تَبَّتْ، أَذِي قِمَمُ؟!  
أَهْكَذَا تُسَدِّلُ السُّتَائِرَ الْأُمَمُ؟!  
يُفَاخِرُونَ، وَأَيْنَ الْعِزْمُ وَالشِّمَمُ؟  
أَفِي ثَوَانٍ يَزُولُ الْعِزُّ وَالْهَمَمُ؟  
فَأَيْنَ مَنْ سَادُوا، بَلْ أَيْنَ مَنْ حَكَمُوا؟  
يُهْدَدُ «الْعُلْجُ»، يَفْنِي الْغَزْوُ، يَحْتَدِمُ؟!  
أَصَوَاتُهُمْ مِثْلَ تَمَثَالٍ، وَقَدْ عُدِمُوا!  
قَبْلَ الْهَجُومِ، وَفِي هَرُوبِهِمْ سَلِمُوا؟!  
وَالْمَخْرَجُونَ لَهُمْ مِنْ دَخْلِهَا قِسْمُ  
فَالْحَرْبُ شَرٌّ، وَإِفْنَاءُ لِمَنْ ظَلَمُوا  
أَيْنَ الطَّرِيقُ، وَأَيْنَ الْعَرَبُ... أَيْنَ هُمْ؟.

عِراقُ «أه» على صَدْرِي تَمَزَّقْنِي  
حَيْثُ الْحَضَارَةُ وَالشَّرَائِعُ انْبَثَقَتْ  
حَيْثُ الْأُمَمَةُ فِي إِنْعَامِ مَرَقْدِهِمْ  
تُعِيدُ «طِفًا» بِذَبْحِ النَّاسِ، تَقْتَلُهُمْ  
تِلْكَ الْقِيَابُ الشُّمُّ فِي مَنَائِرِهَا  
وَفِي سَمَائِكَ سِرْبٌ مِنْ طَيُورِ أَدَى  
نِعَالُ «أَنْجَلُو» «بِسَامِ الشَّرِّ» اتَّحَدَتْ  
مَنَازِلُ الْأُمَمِ كَانَتْ فِي مَجَالِسِهَا  
جُسُومُ أَطْفَالِهَا مِثْلَ الدَّمَى جُمِعَتْ  
شَابَتْ رُؤُوسٌ لَهُمْ فِي الْمَهْدِ مِنْ قَتْرٍ  
وَإِغْبَرَتْ ثُوبٌ وَ«دَانْتِيلاً» تَزِينُهُ  
وَتِلْكَ أَرْمَلَةٌ، كَانَتْ لَهَا أَمَلًا  
يَا أُمَّ مَا جَفَّ لِي دَمْعٌ وَلَا قَلَمُ  
بِأَيِّ شَرِّعٍ، بَلْ بِأَيَّةِ شَرِّعَةٍ  
مَرَّتْ عَلَى وَطَنِي لِبْنَانِ مَأْسَاةٍ  
ثُمَّ اسْتَفَاقَ، وَكَانَتْ نَهْضَةٌ جَمَعَتْ  
قُمْ يَا عِراقُ سَلِمْتِ مِنْ حَزَنِ  
ظَنُّوا الْحَضَارَةَ وَلَّتْ فِي مَنَابِتِهَا  
فَالنِّفْطُ غَايَتْهُمْ، وَالْمَالُ قَبِلَتْهُمْ  
بَغْدَادُ قَوْلِي لَنَا: لِمَ تَأْذِنِينَ لَهُمْ  
تِلْكَ الْمَوَاكِبُ لِلْأَسْرَى وَقَدْ ذَلَّتْ  
وَذَاكَ دِجْلَةٌ فِي أَمْوَاهِهِ غَضَبٌ  
أَعْرَاسُ أَمْجَادِهِ أَضْحَتْ مُضْمَخَةً  
وَالْأَقْحَوَانُ الَّذِي كَانَتْ بِشَائِرِهِ  
وَالْحُلْمُ سَافِرٌ، وَالْأَمَالُ فِي سِنَةِ  
وَقِمَّةٌ عَقِدَتْ لِلْعَرَبِ فِي عَجَلٍ  
إِنَّ الْغَزَاةَ هُنَا، فِي مَأْمَنِ نَعِمُوا  
أَيْنَ الصَّمُودُ، وَقَدْ كَانَ الْأَبَاءُ بِهِ  
فَالسَّاحُ فِي دَهَشٍ، وَالنَّخْلُ مِنْذَهَلٍ  
وَالشَّعْبُ فِي هَرْجٍ، ضَاعَتْ مَكَاسِبُهُ  
أَيْنَ الَّذِي بِالْفَمِ الْمَلَانَ يُقْنِعُنَا  
فَهَلْ طَوَى مَوْتَهُمْ أَصْدَاءَهُمْ، فَهَوَتْ  
أَمْ إِنَّ صَفْفَاتٍ بَيْعٍ عُلِبَتْ لَهُمْ  
قُمْ يَا عِراقُ فَإِنَّ الْحَرْبَ مَسْرُوحَةٌ  
يُحَقِّقُ السَّلْمُ نَاسٌ يُؤْمِنُونَ بِهِ  
مَاذَا بُعِيدَ الْعِراقُ فِي خَرِيطَتِهِمْ





## يا «أبونا»... في عيد الأبوة

بمناسبة عيد الأب، تدفقت الأفكار واختلطت بمشاعر كثيرة من حبٍ وتقدير واحترام وشكر لك يا «بيي» الأب الرئيس، الصخرة التي تتكسّر عليها أمواج مشاكلنا وأحزاننا وهمومنا؛ وللآباء الذين يساعدونك، إذ تقفون معاً صامدين تزرعون الأمل والإنسانية المسيحية المحبّة المتأججة على طيف التضحية والتواضع.

لا يسعنا أن نبقي صامتين في هذا العيد، بعد كل ما فعلتم لنا. لقد أعطيتونا حياة جديدة، إذ كسرتم الأبواب المغلقة وقطعتم سلاسل الخوف التي تقيّدنا، وحافظتم على عائلاتنا عندما فتحتم لنا قلب هذه الجامعة فانضممنا إلى عائلاتكم، عائلة السيّدة العذراء، وبتنا تحت جناحها.

لذلك، نعايدكم اليوم، وهدايانا باقة زهر من قلوب أفراد عائلاتنا، وبالأخصّ الصغار. هي باقة زينت بقلوب تعرف الولاء والشكر وعرفان الجميل. إنها قلوبنا تطير فرحاً لتقدّم أحرّ التمنّيات والصلوات التي لا حدود لها، لأنّ من نبع المحبّة.

لك شكرنا يا أب الجميع. لك حبنا وولاؤنا. صلواتنا ترتفع إلى سيّدة اللويزة لتقدّم لك باقة النعم السماوية تفوح بالحبّ والقداسة.

**بناتك وبنوك**

في جامعة سيّدة اللويزة



لويس ب. نصر

## رَبِيعٌ.. وَقَلْبٌ..

أَفِقْ، يا قَلْبُ..

ها قد عاد نَيْسَانُ.

وعادت إلى المَرْوجِ والرَّبِي

بِسْمَةِ الأَمَلِ الأَخْضَرِ.

الشِّتَاءُ العَجُوزُ، تَوَارَى

في فَيَافِي الفِضَاءِ..

وافترَّتْ ثَغْرُ السَّمَاءِ.

وَأَمَكَ الأَرْضُ،

مَسَحَتِ الكَأَبَةَ عن مَحِيَّاهَا،

فبَدَتِ مَوَاجَةَ بألوانِ الفَرَحِ..

مَوَارَةَ بِالذِّفَاءِ وَالضِّيَاءِ!

أَفِقْ، يا قَلْبُ..

فالأفنانُ نُورَتْ بِرَاعِمِهَا.

والنَسَائِمُ اللطيفةُ، حَمَلَتْ إِلَيْكَ

أريجَ الصَّنوبرِ، وَنَفَحَ الأَزَاهيرُ..

وتغاريدَ أسرابِ العَصَافيرِ!

الحُصُونُ، عادَ يُوقَعُ على قيثارةِ الرَّبِيعِ

للحُبِّ مُنَاغاةً.. وللسَّلَامِ أناشيداً!

ورِفاقه، طيورٌ مُلَوَّنَةٌ الجِناحِ،

سَرَتِ فِيهَا رِيشَةُ النُّشُوءِ،

فَتَعَالَتْ زَقَرَقَاتُهَا.. فوق جَنَاحِ الأثيرِ..

أَفِقْ.. يا قَلْبُ..

واِتَّبِعِ الفَرَاشَاتِ الباهيةَ،

إلى الفَراديسِ البعيدةِ..

إلى مُرُوجِ السُّنْدُسِ الحالمةِ تحت

الشَّمْسِ..

رافلَةً بِحُلِّ الجَمالِ،

عابقةً بأَنفاسِ الوُرُودِ..

هنا، النِّقَاءُ يَهْفُو إِلَيْكَ..

ومباسِمُ الحُسنِ، تَحْنُو عَلَيْكَ!

ها هي «رَفِيقَتُكَ»، زَهْرَةُ البَحُورِ.

مَلِكَةُ الأَزَاهيرِ، وَناسِكَةُ الصَّخُورِ..

هَلْمْ، واخْشَعْ، أمامَ البِهَاءِ!

تَرَشَّفْ رَحِيقَ الطَّهْرِ

تَضَمَّخْ بِطِيبِ الصِّفَاءِ!

بارِكِ اليَدَ التي أَدْعَتِ

حُسْنَهَا النِّصِيرِ..

واتلُ صلاةَ الشُّكْرِ والعَرِفاءِ

للخالقِ المُبْدِعِ..

لِلوَاهِبِ الحَنانِ..

إذ مَنَحَكَ مِنَ العُمُرِ

مَدَى تَحْيَاهُ نُوراً وَحُبوراً،

في سِحْرِ هذا الوجودِ،

يا قَلْبُ!



## General Public Interest Series

Since its first publication in 1994, this series has formed a documentary register for all the seminars and workshops organized by the Public Relations Office at the University and dealing with the concerns of the public and their daily, social, political and economical problems. One of its advantages is that it gathers researches supervised by Dr. Abdo Kahi, or surveys of public opinion undertaken by Reach Mass Institute under his supervision as well. Also, it gathers specialists with managers, administrators and politicians to discuss the current popular concerns: infrastructure, education, health, transportation, water and electricity, political freedom, parliamentary elections and democracy. This is in addition, of course, to cultural issues and the role of the university in treating these issues in the service of the upcoming Lebanese generations. These publications are issued with each seminar or conference or workshop and have become a vibrant register of thoughts and visions, which covers an extensive range of statistics of the different aspects of Lebanese life and its problems during the past ten years.

## Humanities Series

This series was established in order to record all the university activities taking place in literary, intellectual, cultural and national events. It developed to include works of philosophy, religion, history, science and technology. Hence, it is no more confined to belles-lettres, or sciences alone. Its horizon has gradually widened to encompass the human sciences – Humanities – in all their aspects and facets. In the beginning, we tried to divide the publications in this series into detailed categories set distinctly apart. We succeeded with some and failed with others because there was more than one kind of literature and art. Some books deal with history, literature and religion; others, with politics, economics and society. That is why we deemed it appropriate to group them under one general category, "Humanities" which includes all topics individually and collectively. Among the features characterizing this series is the fact that it is not confined to public interest but rather surpasses it to include intellectual topics that transcend spacio-temporal limitations and discusses the facets of knowledge via different aspects of thought, art and aesthetics.

## Lebanese Manuscripts Series

When the university decided to venture into the publication of Lebanese manuscripts dating from the 17th century up till today, it was aware that this pioneering endeavor would require much perseverance, research and patience. But it has overcome all impediments and causes of hesitation because of its belief and conviction in the goals of this enormous project.

One of the goals is to steer some university researches towards reviving the intellectual heritage on different levels: philosophy, theology, literature, politics, and history. The other is to revive the Renaissance Enlightenment and to return to its historical roots in the 17th century. The project intends to shed light on the scholarship which spread from Lebanon to other parts of the Orient through the studies of scientists, researchers, scholars and clergy who devoted themselves to the quest for knowledge and truth in the causes of science and faith. Therefore, lest this heritage be lost, we began the publication of chosen manuscripts on different subjects, which have nothing in common but the search for the role of the innovative and creative mind on the road that leads it to God via the trails of logic, science, freedom, literature, ethics and knowledge. This project was established in 2001 with an average of one manuscript per year, and publications will carry on in the framework of the above goals. Furthermore, it is through this courageous step that the University is confirming its unique identity day after day, book after book.

## University Textbooks Series

Despite the fact that most of the textbooks used in Notre Dame University (NDU) are of a specialized nature and are published in the United States, the University has adopted the practice of local writing and publication in the following cases: First, if the material is directly related to a Lebanese or Arab or Oriental topic, since in such a case the writing will be closer to the social, cultural and environmental situation, and more related to the main sources of the subject. Second: if the general scientific material, which is more or less universal, is presenting applications that are within the scope of our environment, heritage, and social and cultural problems.

From here, these textbooks published by NDU are designed to be adapted to applications and examples based on our society, our land and our country. They also deal with various topics of science, mathematics, economics, architecture, engineering, media, and hotel and tourism with special consideration for their applications in Lebanon and the Middle East. Moreover they endeavor to bridge the gap left by some university textbooks in Lebanon.

## سلسلة الشأن العام

تشكّل هذه السلسلة منذ انطلاقتها في العام ١٩٩٤، سجلاً وثائقياً للحلقات الدراسية التي ينظمها مكتب العلاقات العامة في الجامعة حول قضايا الناس وشؤونهم الحياتية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. ومن مزاياها أنها تجمع، الى الأبحاث التي يتولاها الباحث عبدو كاهي أو استطلاعات الرأي التي تجريها مؤسسة "ريتش ماس" بإشرافه، أهل الاختصاص إلى أهل الإدارة وذوي المسؤوليات السياسية لمناقشة الهموم الشعبية المطروحة. وذلك يشمل البنى التحتية في لبنان، وقضايا التربية، والصحة، والمواصلات، والطاقة المائية والكهربائية، والحرريات السياسية، والانتخابات النيابية، والديمقراطية، إلى جانب الشؤون الثقافية ودور الجامعة في معالجة هذه القضايا خدمة للأجيال الصاعدة من اللبنانيين. وتتوالى هذه الإصدارات، مع كل ندوة أو مؤتمر أو حلقة دراسية، بحيث باتت تشكل سجلاً نابضاً بالأراء والرؤى، مُعزّزاً بالإحصاءات، وذلك حول مختلف شؤون الحياة اللبنانية وشجونها في السنوات العشر الأخيرة.

## سلسلة الانسانيات

بدأت هذه السلسلة تسجلاً لنشاطات جامعية في مناسبات أدبية، وفكرية، وثقافية، ووطنية. ثم تطوّرت لتشمل مؤتمرات في الشأن الفلسفي، والديني، والتاريخي، والعلمي، والتكنولوجي. فلم تعد تقتصر على الآداب وحدها، أو العلوم دون سواها، بل اتسع أفقها تدريجياً إلى رحاب العلوم الإنسانية على اختلاف ضروبها وتداخلاتها. وقد حاولنا أن نوزع هذه المنشورات في الإنسانية إلى فئات تفصيلية تضم كل باب على حدة، فوفّقنا في بعضها ولم نوفّق في بعضها الآخر لأنه يضم أكثر من غرض واحد من الآداب والفنون. ففي بعض هذه الكتب شيء من التاريخ، وشيء من الأدب، وشيء من الدين. وفي البعض الآخر شيء من السياسة، وشيء من الاقتصاد والاجتماع. لذا أترنا أن نقيّمها ضمن التصنيف العام في باب الإنسانية الذي يشمل جميع هذه الأغراض منفردة ومتداخلة. ومن مزايا هذه السلسلة أنها لا تقتصر على الشأن المحلي، بل تتجاوزته إلى مواضيع فكرية تتخطى حدود الزمان والمكان، وتناقش وجوه المعرفة على غير معيار من معايير العقل والفن والجمال.

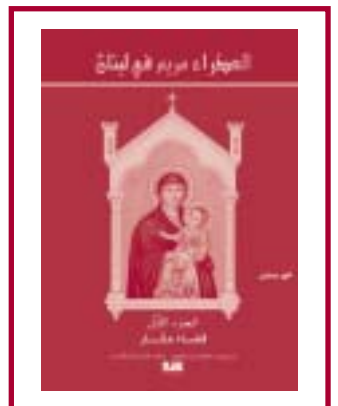
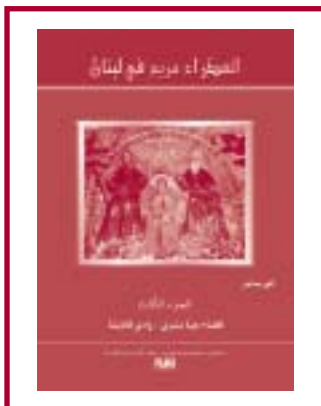
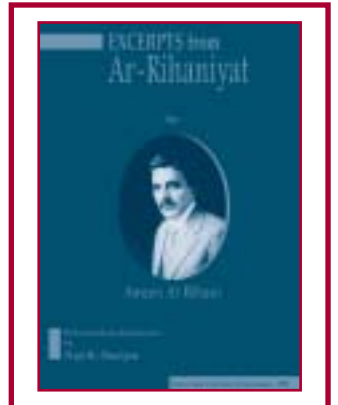
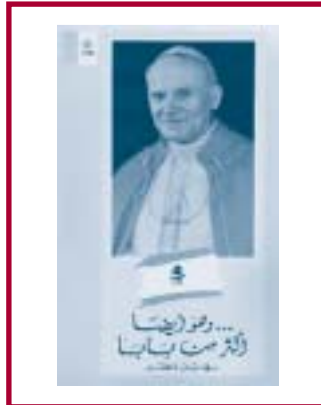
## سلسلة المخطوطات اللبنانية

يوم قرّرت جامعة سيّدة اللوزية المباشرة نشر مخطوطات لبنانية، منذ القرن السابع عشر حتى اليوم، كانت تدرك أن هذا العمل الريادي يتطلب الجدية والتعمق والتّمسّس الطويل. لكنّها تغلبت على أسباب التردد لقناعتها بأهداف متعدّدة لهذا المشروع الكبير. من تلك الأهداف توجيه بعض الأبحاث الجامعية باتجاه إحياء التراث الفكري على اختلاف وجوهه الفلسفية، واللأهوتية، والأدبية، والسياسية، والتاريخية. ومنها إعادة الاعتبار والتقييم للحركة التنويرية النهضوية، والعودة إلى جذورها التاريخية في القرن السابع عشر وحركة التأليف التي انطلقت من لبنان إلى المشرق العربي على أيدي علماء وباحثين من رجال دين ودينا نذروا أنفسهم في سبيل البحث عن المعرفة والحقيقة وأسباب العلم والإيمان. وخوفاً من ضياع هذا التراث، كانت المباشرة بنشر مخطوطات مختارة في مواضيع مختلفة لا يجمعها سوى البحث عن دور العقل الخلاّق في سلوك الدروب الفكرية المنتهية إلى الله عن طريق المنطق، والعلم، والحرية، والآداب، والأخلاق، والثقافة المستنيرة. بدأ هذا المشروع في العام ٢٠٠١ بمعدل مخطوط واحد في السنة الواحدة. وسيتوالى نشر هذه المخطوطات تحقيقاً للأهداف المذكورة أعلاه. ففي هذه الخطوة اللافتة كتشف الجامعة نفسها يوماً بعد يوم، وكتاباً بعد كتاب.

## سلسلة المقررات الجامعية

رغم أن معظم مقررات جامعة سيّدة اللوزية تعتمد المؤلفات المتخصصة والمنشورة في الولايات المتحدة الأميركية فقد أخذت الجامعة بمبدأ التأليف والنشر المحليين، وذلك: أولاً: إذا كانت المادة تتعلق بموضوع لبناني، أو عربي، أو مشرقى، بحيث يأتي التأليف المحلي أقرب إلى الواقع الاجتماعي والثقافي والبيئي، وأكثر تفهماً للمصادر الأولية الأساسية حول الموضوع؛ وثانياً: إذا كانت المادة العلمية العامة، التي تصح في كل مكان وزمان، تعاني من أمثلة تطبيقية خارجة عن بيئتنا، وتراثنا، ومشكلاتنا الاجتماعية والثقافية، فتأتي هذه المقررات الصادرة عن جامعة سيّدة اللوزية مراعية لتطبيقات وأمثلة مستمدة من مجتمعتنا، وأرضنا، والوطن. وتعالج هذه المؤلفات مواضيع في العلوم الرياضية والاقتصادية والهندسية والإعلامية، إلى جانب الشؤون السياحية والفندقية وتطبيقاتها في لبنان والشرق الأوسط. وهي تحاول سد فراغ في بعض المقررات الجامعية في لبنان.

# مساهمة الانسانيات

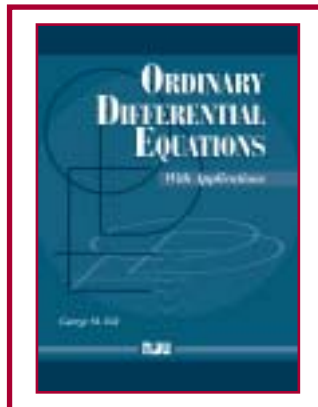
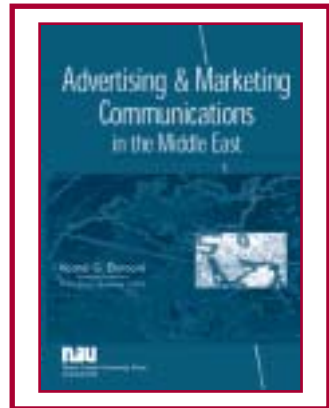
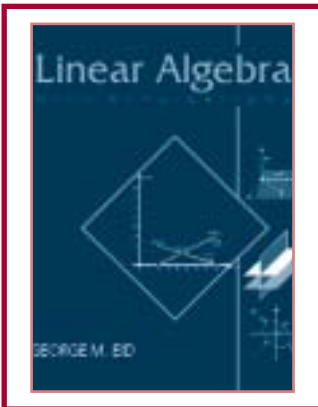




# سلسلة المخطوطات البنائية



## سلسلة المقررات الجامعية



# مساهمة الانهديات

